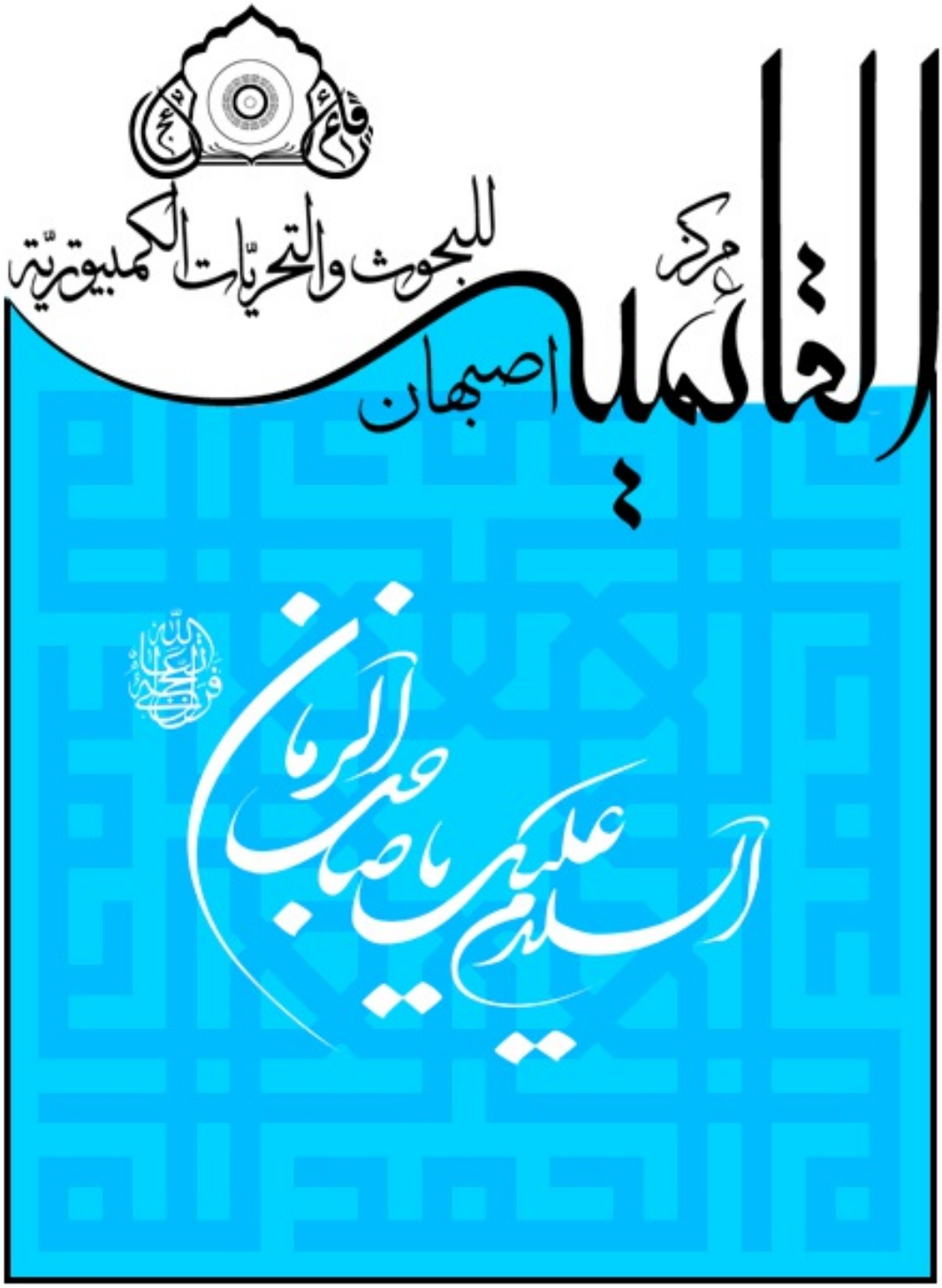

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الحياة السياسية والعسكرية والثقافية لأئمة أهل البيت عليهم السلام

١

تأليف
رسول جعفريان

منشورات
دار الحق
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة الفكريه و السياسيه لائمه اهل البيت عليهم السلام

كاتب:

رسول جعفريان

نشرت فى الطباعة:

دارالحق

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الحیاة الفکریة و السیاسیة لائمة اهل البیت علیهم السلام المجلد ۱ ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
مقدمة الناشر ----- ۱۰
[مقدمة السید جعفر عاملی] ----- ۱۱
دراسة حیاة الأئمة علیهم السّلام شمولا و عمقا ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
آفاق البحث ----- ۱۲
سؤال .. و سؤال آخر ----- ۱۲
تأریخان .. غیر متجانسین ----- ۱۳
التزویر .. و الاصالة: ----- ۱۳
بین الافراط .. و التفریط ----- ۱۴
مدخل دراسة، تعوزه الفهرسة ----- ۱۵
و النقاط هی التالیة: ----- ۱۶
[مقدمة المؤلف] ----- ۲۲
[اهل البیت علیهم السّلام] ----- ۲۷
الامام علیّ علیه السّلام ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
معرفة مختصرة ----- ۲۸
إیمان علیّ علیه السّلام ----- ۲۸
صحبة علیّ لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ----- ۲۹
سیاسة الامام ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۳

خلافته ----- ۳۳
المبادئ و الاصول السیاسیة للإمام طیلة حکمه ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
الف: اصلاح نظام الحکم و تقدیمه علی الفتوحات: ----- ۳۴
ب- الاستفادة من الاسس الاسلامیة و الاخلاقیة فی اصلاح الانحرافات: ----- ۳۵
ج- جمیع الجهود لحفظ الاسلام: ----- ۳۶
مصیر السیاسة فی حکومة امیر المؤمنین علیه السّلام ----- ۳۷
تحرّک الامام لاحیاء الدین ----- ۳۹
البعد العلمی للامام علی علیه السّلام ----- ۴۲
نمط حیاة الامام علیه السّلام ----- ۴۳
الامام الحسن علیه السّلام ----- ۴۵
اشارة ----- ۴۵
المشارکة فی حروب الجمل و صفین و النهروان ----- ۴۷
مسئولیة الامامة ----- ۴۹
رغبة الامام القاطعة فی محاربة معاویة رغم الموقف الضعیف لاهل العراق ----- ۵۰
حرکة اهل العراق البطیئة المحاربة القاسطین: ----- ۵۲
الصلح المفروض من قبل معاویة و تحلیل أسبابه ----- ۵۳
الصلح المفروض و بنوده ----- ۵۶
خطبة الامام علیه السّلام بعد دخول معاویة الی الکوفة ----- ۵۹
الامام و معاویة و محاربة الخوارج ----- ۵۹
خصائص الامام الحسن علیه السّلام ----- ۶۰
استشهاد الامام علیه السّلام ----- ۶۱
الامام الحسین علیه السّلام ----- ۶۲
اشارة ----- ۶۲

الامام الحسین علیه السّلام و مبایعة یزید ----- ۶۳
دور الانحراف الدینی فی واقعة کربلاء ----- ۷۰
طاعة الائمة، و وجوب حفظ الجماعة، و حرمة نقض البیعة ----- ۷۰
الاعتقاد بالجبر ----- ۷۲
موقف أهل الکوفة من واقعة کربلاء ----- ۷۳
ضغط ابن زیاد علی اهل الکوفة ----- ۷۴
فرار الناس و انحیازهم الی معسکر الحسین ----- ۷۶
تعلّق الناس بالعطاء ----- ۷۷
تقویم سفر الامام الحسین علیه السّلام الی العراق ----- ۷۸
الجواب علی الاعتراضات ----- ۷۹
عنصر الغیب فی حادثة کربلاء ----- ۸۳
دور واقعة کربلاء فی تکوین الشیعة ----- ۸۴
الامام السجّاد علیه السّلام ----- ۸۵
اشارة ----- ۸۵
أم الامام السجاد علیه السّلام ----- ۸۷
امامة السّجاد علیه السّلام ----- ۸۷
الشخصیة العلمیة و الاخلاقیة للامام السّجاد علیه السّلام ----- ۸۸
الامام السجاد علیه السّلام و الشیعة ----- ۹۱
العلاقة بین الامام و التوابین ----- ۹۲
علاقة الامام بالمختار ----- ۹۴
الامام السّجاد علیه السّلام و اصحابه ----- ۹۶
موقف الامام من الامویین ----- ۹۷
استفادته من سلاح الدعاء ----- ۱۰۰
الامام السجاد علیه السّلام و استقطاب الموالی ----- ۱۰۲

الامام الباقر علیه السّلام ----- ۱۰۵
اشارة ----- ۱۰۵
المکانة العلمیة للامام الباقر علیه السّلام ----- ۱۰۶
الامام و الاختلافات الفقهیة بین الفرق الاسلامیة ----- ۱۰۹
تصدّیه للافکار الیهودیة ----- ۱۱۲
التراث الثقافی للامام الباقر ----- ۱۱۳
اوضاع و مکانة الشیعة وفقا لرأی الامام ----- ۱۱۶
الامام و القضایا السیاسیة ----- ۱۲۰
الامام الصادق علیه السّلام ----- ۱۲۴
اشارة ----- ۱۲۴
شخصیة الامام الصادق علیه السّلام الفقهیة و الاخلاقیة ----- ۱۲۵
شیعة الامام الصادق علیه السّلام ----- ۱۲۹
الامام الصادق علیه السّلام و الغلاة ----- ۱۳۱
اشارة ----- ۱۳۱
۱- صیانة الشیعة الحقیقیین من الغلاة: ----- ۱۳۲
۲- تکذیب عقائد الغلاة: ----- ۱۳۲
۳- تکفیر الغلاة: ----- ۱۳۳
اعتماد الفقه الشیعی علی روایات اهل البیت علیهم السّلام ----- ۱۳۵
کتابة الحدیث فی عصر الامام الصادق علیه السّلام ----- ۱۴۱
الامام الصادق و الاحتجاجات الفقهیة لأهل السنّة ----- ۱۴۲
الضغط السیاسی علی الشیعة ----- ۱۴۲
الامام الصادق علیه السّلام و المسائل السیاسیة ----- ۱۴۳
ا- ثورة زید: ----- ۱۴۳
ب- الامام الصادق و دعوة ابی سلمة و ابی مسلم. ----- ۱۴۵

ج- الموقف تجاه المنصور. ---------- ۱۴۷

د- موقف الامام من محمد بن عبد اللّه بن الحسن (النفس الزكية). ---------- ۱۴۸

تعريف مركز القائمیة باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---------- ۱۴۹

الحياة الفكرية و السياسية لائمة اهل البيت عليهم السلام المجلد ۱

اشارة

سرشناسه : جعفريان، رسول، - ۱۳۴۳

عنوان و نام پديدآور : الحياة الفكريه و السياسيه لائمه اهل البيت عليهم السلام/ تاليف رسول جعفريان

مشخصات نشر : بيروت : دارالحق ، م۱۹۹۴ = .ق۱۴۱۴ = .۱۳۷۳.

مشخصات ظاهری : ج ۲

وضعيت فهرست نويسی : فهرستنويسی قبلی

يادداشت : عنوان اصلی: حيات فكری و سياسی امامان شيعه عليهم السلام.

موضوع : ائمه اثناعشر -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاريخ

رده بندی كنگره : BP۳۶/۵/ج۷ح۹۰۴۳ ۱۳۷۳

شماره كتابشناسی ملی : م۸۱-۹۰۶۱

زبان: عربی

موضوع: دوازده امام عليهم السلام

نوبت چاپ: اوّل

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين.

برغم ضخامة المؤلف عن حياة الأئمة عليهم السّلام الذى تارة أخذ شكل المجاميع الروائية أو الأخبار التأريخية، لم تأخذ حقها من الدراسة كحياة عظماء جسّدوا الاسلام و اعطوا المثال الأروع عنه، و ذلك نتيجة ابعاد الاسلام الاصيل عن الساحة، و تصدى النموذج الأبعد عن الاسلام للأمر.

و بعد بزوغ فجر الاسلام من جديد و عودته إلى دوره، كان لزاما إعادة النظر فى جميع مجالات الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و العسكرية، و دراستها لاستكشاف رأى الاسلام و منهجه، و بلورة مفهوم صحيح و صالح عنه. و هو شأن المفكرين و ذوى الاختصاص.

و من أهم الجوانب التى يجب التركيز عليها حياة المثال الأروع و المسجد الحقيقى للاسلام الأئمة عليهم السّلام و الكتاب الذى بين يديك- عزيزى القارئ- جهد مشكور قام به أحد علمائنا الأفاضل، يتناول الجانب الفكرى و السياسى للأئمة عليهم السّلام، و دراسة حياتهم، و قد جمع فى مجلدين، تناول الجزء الأول حياة ستة من الأئمة، و تناول الجزء الثانى بقية الأئمة (سلام اللّه عليهم).

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶

و دار الحق للطباعة و النشر و التوزيع إذ تضع هذا الجهد بين يدى القارئ الكريم، تأمل من جميع المفكرين و ذوى الاختصاص، أن يكون هذا الكتاب بادرة للتوسع فى دراسات معمقة و متخصصة عن حياة أولئك العظماء، و من القارئ العزيز الاستفادة من هذه الثروة فى الاحتذاء و الاقتداء بأولئك الهداة.

نسأل اللّه دوام التوفيق.

دار الحق للطباعة و النشر و التوزيع

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷

[مقدمة السيد جعفر عاملى]

دراسة حياة الأئمة عليهم السّلام شمولا و عمقا

اشارة

«بداية:» بسم اللّه الرحمن الرحيم و الحمد للّه، و صلاته و سلامه على عباده الذين اصطفى، محمد و آله الطيبين الطاهرين ..

و بعد ...

فان الحديث عن الأئمة، و عن حياتهم، و مواقفهم و ممارساتهم ليس حديثا عن أشخاص لهم ميزات و خصائص محدودة، ذات طابع فردى تمتاز بها شخصية ما على حدّ ما عرفناه و الفناه.

و انما هو حديث عن الاسلام بشتى مجالاته، و مختلف ابعاده، و اروع

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸

خصائصه، و بكل ما فيه من شمولية، و أصالة و عمق.

انه حديث عن الحياة بحلوها و مرها، و بكل ما لها من اتّساع و امتداد، و غموض و وضوح و هو أيضا حديث عن هذا الكون الرحب، و عن كل ما فيه من عجائب و غرائب و آيات بينات.

حديث عن الدنيا و الآخرة بآفاقهما الرحبة، و بجميع ما فيهما و لهما من ميزات، و سمات.

اذن .. فليس بوسع اى باحث أو مؤرخ ان يستوعب حياتهم عليهم السّلام. و لا أن يعكس لنا الصورة الدقيقة و الطافحة بكل النبضات الحية فى شخصيتهم، و فى مواقفهم و مجمل سلوكهم، الا اذا استطاع ان يدرك بعمق كل حقائق الاسلام، و يقف على واقع تأثيراته فى كل حياتهم، و فى كنه شخصياتهم، و من ثم انعكاساته على سائر المواقف، و على كل المفردات، و الحركات، و السلوك، و التعامل مع كل ما و من يحيط بهم.

و لا نظن احدا يستطيع ان يدعى انه قد بلغ هذا المستوى او وفّق لمثل هذا المقام الرفيع، الا ان كان واحد منهم عليهم السّلام، أو من يدانيهم فكرا و علما، و فضيلة و خلوصا، و صفاء، كسلمان الفارسى و ابى ذر و اضرابهما و اين و انّى لنا بأمثال هؤلاء، أو بمن هم دونهم بمراتب.

و لكن ذلك لا- يعنى ان نقف هكذا عاجزين، و لا- ان نرتد خائبين. بل لا بد من خوض غمار البحث، و اقتحام هذا العباب الزاخر بالخير و البركات، و العبر و العظات، من اجل ان يستفيد كل منا حسب ما تؤهله له قدراته، و تسمح له به امكاناته، فان ذلك نور على نور و هو محض الخير الذى من شأنه ان يؤهل لخير

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹

اوفى و أوفر و اكبر و لبركات أعم و اتم و اكثر.

و ليست هذه المحاولة من الاخ الفاضل و المهذب الكامل حجة الاسلام الشيخ رسول جعفريان، الا من اجل أنه اراد ان يقتحم آفاق النور لتلامس اشراقته قلبه، و يغمر لجين سناه عقله و روحه، فعاد بالخير الكثير، و بالعطاء الوفير، فشكر اللّه سعيه، و وفقه و هداه سبل الخير و الرشاد، و الفلاح و السداد.

آفاق البحث

و إذ قد عرفنا: أن الحديث عن الأئمة عليهم السّلام ليس تأريخا لاشخاص، فيما نعرفه من مفردات التاريخ لهم.

و إنما هو تاريخ الرعاية الإلهية لهذا الانسان، الذى أراد اللّه له أن تتجسد فيه كل آمال الأنبياء و جهودهم، على امتداد التاريخ البشرى، فانهم عليهم السّلام هم التجسيد الحى، و النموذج الفذ للخلافة الالهية على الارض، بكل ما لهذه الكلمة من معنى، و بجميع، ما تحمله من مداليل. نعم لقد تجسد فى شخصيتهم الانسان الكامل الذى واجه الحياة، بالإرادة و الوعى و الحكمة، و الحزم، و واجهته الحياة بكل ما تملك من سلبيات، و ما تختزنه من مصاعب و مشكلات و ما انطوت عليه من مهالك، و آفات. فقهرتها إرادته، التى هى امتداد لارادة اللّه سبحانه، و احبط مكرها وعيه، لأنه ينظر بعين اللّه، و انتصرت عليها حكمته، و أناف على جبروتها حزمه، لأن ذلك منه كان بتعليم اللّه و تسديده، و توفيقه و تأييده.

و من هنا .. فانه يصبح من الوضوح بمكان حاجتنا إلى فهم حياة الأئمة عليهم السّلام من خلال فهم كل الظروف، و الاحوال التى ساهمت فى فرض واقع معين كان لا بد لهم من أن يعايشوه، و أن يتعاملوا معه، فى كل مجال، و على كل صعيد.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰

سواء فى ذلك ما ربما يعتبره البعض أنه يقع فى الدائرة الخاصة فى حياتهم الشخصية عليهم السّلام أو فى ما يفترض انه الدائرة الاوسع من الحياة العامة فى ظروف العمل السياسى و الاجتماعى و التربوى العام، و ما يرتبط بذلك أو ينتهى إليه، بسبيل، أو بآخر.

و كل ما تقدم إنما يدلّل على حقيقة واحدة، و يؤكدها، ألا و هى الصعوبة البالغة و حجم المشاق التى لا بد ان تواجه أى باحث يريد أن يفتح نافذة على الآفاق الرحبة فى حياتهم صلوات اللّه و سلامه عليهم، و يؤرخ لها و لو فى المستوى الادنى، مهما أراد أن يقتصد و يقتصر على الضرورى من الشواهد و الدلائل.

سؤال .. و سؤال آخر

و لكن ما تقدم يفرض علينا الاجابة على سؤال ملح، و هو:

هل يكفى ما بايدينا من نصوص و مصادر لهذا المهم، و يفى بهذا الغرض، و يحقق تلك الغاية؟! و إذا كانت الاجابة الصحيحة و الصريحة بالنفى، فان السؤال الآخر الذى يواجهنا هو:

هل استطعنا أن نوظف كل ما لدينا من نصوص؟ و هل استفدنا من جميع المصادر التى بحوزتنا بالشكل الكافى، و بالمستوى المطلوب؟! و طبيعى أن تكون الاجابة الصحيحة و الصريحة هى كالاجابة السابقة بالنفى أيضا، فان الكل يعلم: أننا لم نستطع أن نستثمر ما بأيدينا من نصوص فى مجال فهم حياتهم عليهم السّلام، و الانطلاق فى آفاقها الرحبة و اللامحدودة.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱

بل إننا لن نكون مسرفين فى القول، إذا قررنا: أننا حتى الآن لم نقم بما هو ضرورى فى مجال التحضير للاجواء و المناخات، و تقريب الوسائل التى تؤهلنا، و لو لأن نقدم معلومات عامة منسقة بصورة فنية صحيحة، أو فقل: لم نقم حتى بفهرسة اجمالية تقربنا إلى معرفة القيمة الحقيقية لما نملكه من تراث نافع فى هذا المجال، أو ذاك.

فضلا عن أن نقوم بدراسة النصوص و تمحيصها، ثم ربطها بمناشئها و تأثيراتها فى غاياتها بصورة علمية معمقة و مفيدة، و لو فى دائرة محدودة.

و إن كنا قد نجد لمحات و لمعات متناثرة هنا و هناك، لم تنل حظها من البحث و التقصى، و لا استطاعت أن تربط نفسها بما عداها، مما كانت لها تأثيرات- به أو فيه- بمستويات متفاوتة.

تأريخان .. غير متجانسين

و لعل مما يزيد الأمر صعوبة، و إشكالا: أننا إذا وضعنا تاريخ الأئمة عليهم السّلام، إلى جانب هذا التاريخ الذى يدعى أنه يسجل وقائع و احداث الفترة الزمنية التى عايشها الأئمة صلوات اللّه و سلامه عليهم،- لو وضعنا هما- أمام باحث أو ناقد لا يملك أية خلفيات تعطيه تصورا عن حقيقة تطورات الأحداث، و تأثير السياسات، فانه سيجد: أنهما تاريخان غير منسجمين، بل و حتى غير متجانسين، و لسوف يخيل إليه: أن الأئمة لا- يعيشون الاحداث و لا- يشعرون بما يحيط بهم بل لهم عالمهم الخاص بهم، المنغلق و المنطوى على نفسه، و للآخرين عالم آخر، لا يشبه ذاك العالم لا من قريب، و لا من بعيد.

و لكن الباحث الالمعى، و المدقق الخبير، الذى اطلع على حقيقة التطورات،

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲

و ما رسمته السياسات فى المجالات المختلفة، لسوف يجد عكس ذلك تماما، و لسوف يكتشف: أن الأئمة عليهم السلام يلامسون الواقع عن قرب، و يسجلون الموقف الرسالى المسئول، و الواعى، تجاه كل ما يجرى، و يدور حولهم.

و لعلهم عليهم السّلام يمثلون فى أحيان كثيرة أعمق العوامل تأثيرا فى مجمل الواقع السياسى، و الاجتماعى، و الثقافى، و التربوى، على مستوى الأمة باسرها، فضلا عن تأثيرهم العميق، فى الدائرة التى يبدو- للوهلة الأولى- أنهم يعيشون فيها، و يتعاملون معها.

التزوير .. و الاصالة:

و فى مجال فهم عوامل هذا الاختلاف الظاهر بين ذينك التاريخين، لا بد من التأكيد على الحقيقة التالية:

و هى: أن ذلك الفريق الذى اهتم بتسجيل بعض اللمحات من حياة الائمة و مواقفهم عليهم السّلام، يختلف كثيرا فى عقليته، و فى مفاهيمه، و فى طموحاته، ثم فى حوافزه و دوافعه، و كذلك فى اهدافه و غاياته- يختلف كثيرا- عن ذلك الفريق الذى تصدى للتأريخ لتلك الفترة الزمنية، التى عايشها الأئمة عليهم السّلام.

و الأهم من ذلك هو ذلك الاختلاف الظاهر، و الاساسى بين هذا الفريق و ذاك فى مجمل المعايير و المنطلقات التى رضيها كلّ لنفسه، و انطلق منها لتمييز الحق من الباطل، و الصحيح من السقيم، و على أساسها كان الرد أو القبول، و الخروج، و الدخول، فى مختلف المواقع و المواضع.

حيث وجدنا: أن المنطلقات، و المعايير، التى انطلق منها، و تحرك على أساسها أولئك الذين أرخوا لتلك الحقبة من الزمن، و كتبوا ما يسمى ب «التاريخ

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳

الاسلامى» قد كانت فى مجملها مزيفة و مضللة، أريد منها تكريس الانحراف، و تأكيده، و تبريره، و الحفاظ عليه، و تسديده.

و لا نقول ذلك تعصبا، و لا تجنيا على التاريخ و المؤرخين، ما دام أن الكل يعترف لنا بحقيقة:

أن التاريخ المكتوب ليس هو تاريخ الشعوب و الأمم، و لا- يملك القدرة على أن يعكس لنا آمالها، و لا آلامها، و لا معاناتها أو حركتها فى واقع الحياة.

و إنما هو تاريخ الحكام و السلاطين، و من يدور فى فلكهم.

و حتى تاريخ الحكام هذا؛ فانه لم يستطع أن يعكس واقعهم بامانة و دقة و نزاهة، ما دام أنه غير قادر إلا على تسجيل ما يرضى الحكام، و يصب فى مصلحتهم، و يقوى من سلطانهم، مهما كان ذلك محرفا غير نقى، أو مزورا و غير واقعى.

فلم يكن ثمة مؤرخ يملك حرية الرأى، و لا هو مطلق التصرف فيما يريد أن يقول أو يكتب. كيف و هو يرى بأم عينه كيف ان رواية واحدة يرويها أحدهم فى فضل على عليه السّلام، تثير عليه غضب الحاكم، فيصدر أمره بجلده مئات السياط.

و يروى الطبرى حديث الطبرى، فيرجم العامة داره، حتى كان على بابه تل من الحجارة.

و يروى أحدهم رواية حول مناظرة بين آدم و موسى عليهما السّلام، فيشكل الأمر على أحد الحاضرين و لا يعرف أين اجتمع آدم و موسى، و بين موت ذاك، و ولادة هذا المئات من السنين، فيدعو الخليفة له بالنطع و السيف، إلى آخر ما هنالك مما يحتاج استقصاؤه إلى وقت طويل و جهد وافر.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴

أضف إلى جميع ما تقدم: أن ما كتب و سجل، فانما كتب بعقلية خرافية، قاصرة و غير ناضجة فى احيان كثيرة.

و لا أقل من أن كثيرا منهم ينطلق من تعصبات مقيتة، أو من هوى مذهبى رخيص لا يلتزم بالمنطق السليم، و لا يهتدى بهدى العقل، و لا يؤمن بالحوار و الفكر كأسلوب أفضل للتوضيح و للتصحيح.

هذا .. إلى جانب اهواء و طموحات لا مشروعة و لا مسئولة، تتوسل بالتحوير و التزوير. لتتوصل إلى المناصب و المآرب.

و من خلال ذلك كله، و سواه، فانه يصبح من الطبيعى: أن لا يجد الباحث فى كتب التاريخ الملامح الحقيقية للشخصيات التى تقف فى موقع التحدى للحكام، و لمخططاتهم، و تتصدى لاصحاب الأهواء المذهبية، و التعصبات العرقية، و غيرها، و لانحرافاتهم.

هذه الشخصيات التى تركت آثارا عميقة و خطيرة فى واقع الحياة السياسية و الاجتماعية، و العلمية و التربوية و غير ذلك.

و من هنا .. فاننا نعرف: أنه لا بد من البحث عن الأيدى الامينة و المخلصة التى تستطيع أن ترسم الملامح الحقيقية لهؤلاء الافذاذ من الرجال. ثم محاولة التقاط ما تناثر هنا و هناك من لمعات، أو ندّ من لفتات و لمحات، لم يجد الحكام فيها خطرا، و لربما أراد المؤرخون ان يقضوا بها و طرا.

بين الافراط .. و التفريط

و بعد .. فاننا نشعر: أن من الضرورى الاشارة هنا إلى ذلك النهج من

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵

البحث، الذى يفرط فى الاعتماد على الغيب فى فهمه لمواقف الائمة عليهم السّلام، و تفسيرها.

و يفصلهم عن واقع الحياة و حركتها، و يصورهم على أنهم يحركون الحياة، و يتعاملون معها بصورة خفية، و من وراء الحجب، و لا تكاد تذكر له أمرا عن امام حتى يصدمك بالقول بأن ذاك امام له حكمه الخاص به حتى كأن الامام لا يجوز الائتمام به، و ليس قوله و فعله و تقريره حجة علينا و على الناس جميعا.

و ذلك إن دلّ على شىء، فانما يدل على أن صاحب هذا النهج من البحث و الفكر يعانى من مشكلة فهمه الخاطئ للأئمة عليهم السّلام، و لدورهم، الذى رصدهم اللّه للقيام به، الا و هو نفس دور الرسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، الذى ارسله اللّه سبحانه مبلغا و معلما، و مربيا، و قائدا، و قاضيا، و حاكما إلى آخر ما هنالك من مهمات صرح بها القرآن الكريم، و لهج بها النبى العظيم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

كما أنه لم يأخذ بنظر الاعتبار تأكيدات القرآن و الرسل على بشريتهم: قُلْ سُبْحانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا، وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا: أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا «۱».

وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا، وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ «۲».

إلى آخر ما هنالك من آيات لها هذا الطابع، أو تصب فى هذا الاتجاه.

و فى مقابل ذلك، فاننا لا نوافق الآخرين أبدا، بل نخطؤهم بقوة فى نظرتهم المادية إلى الأئمة عليهم السّلام، بعيدا عن عنصر الغيب، و الكرامات الالهية فيفسرون مواقفهم عليهم السّلام و كل سلوكهم، و أنحاء تعاملهم، و يفهمونها على أساس مادى،

(۱) الاسراء ۹۳ و ۹۴.

(۲) الانعام ۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶

خاضع لحسابات رياضية، له آثار و نتائج طبيعية و ذاتية بالدرجة الأولى.

و هم يتجاهلون بذلك النصوص التى لها طابع غيبى، على أساس الالطاف الخفية، و الكرامة الإلهية لعباد اللّه الاصفياء، و حججه على عباده، و امنائه فى بلاده.

فلا يكاد يقترب من تلك النصوص و الآثار التى تسجل- على سبيل المثال- حقيقة: أنه يوم قتل الحسين عليه السّلام لم يرفع حجر فى بيت المقدس الا و وجد تحته دم عبيط.

ثم ظهور الحمرة فى يوم عاشوراء، و قول زينب عليها السّلام لابن زياد أ فعجبتم أن مطرت السماء دما و لا يتصدى لبحث ذلك و تأييده، أو رده و تفنيده و ليفترض لنا أن زينب عليها السّلام إنما تفترض الحدث و لا تنقله و تسجله على أنه حقيقة واقعة.

و هم ابعد ما يكونون عن الحديث عن كلام الرأس المقدس فوق الرمح بالآية الكريمة: أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ، كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً.

بالاضافة الى حديث ارتفاع جدران المسجد، حينما همّت الزهراء عليها السّلام بالدعاء على الذين يضطهدون أمير المؤمنين عليه السّلام، و يغتصبون حقه، بعد ضربهم لها و اسقاطهم جنينها حين وفات أبيها الرسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

إلى غير ذلك من نصوص و آثار، تشير إلى ظهور الكرامات، و خوارق العادات لهم عليهم السّلام، و شمول اللّه لهم بالطافه الخفية، تماما كتلك المعجزات و الكرامات التى سجلها القرآن للانبياء، كما فى قضية عصا موسى، و نقل عرش ملكة سبأ، و غير ذلك.

نعم .. إن هؤلاء الباحثين و الكتاب، لا يكادون يقتربون من النصوص التى

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷

لها هذا الطابع، و تصب فى هذا الاتجاه، حتى كأنهم لا يريدون الاعتراف بها، أو أنهم يخجلون من وجودها. تماما كخجل البعض منهم و إبائه من طرح موضوع الامام المهدى الغائب صلوات اللّه و سلامه عليه و على آبائه الطيبين الطاهرين فى أى من كتبه و ابحاثه، متمحلا اعذارا واهية لا تسمن و لا تغنى من جوع.

و لا ندرى إن كان بعد ثبوت صحة هذه النصوص، و سلامتها، يمكن لهؤلاء أن لا يعتبروها جزءا من تاريخ الأئمة، و من حياتهم.

و أخيرا .. فاننا نؤكد لهؤلاء و لغيرهم على حقيقة: أن الائمة عليهم السّلام إنما يمثلون الرعاية الالهية لانسانية الانسان، من خلال الاعتراف بواقعية وجوده المادى، ثم الانطلاق بهذا الواقع بالذات، و السمو به إلى المطلق الى رحاب اللّه سبحانه، من خلال الامداد الغيبى حيث يكون ذلك ضروريا، و اكرامه بالكرامات الظاهرة و اكتنافه بالألطاف الالهية الخفية اللامحدودة، حيث يصبح محلّا و أهلا لها.

أما أولئك الذين يحجمون دور الأئمة، و يقصرونه على الاخلاق، مثلا أو على الدور الاجتماعى، أو خصوص التحرك السياسى مثلا، و يصبون كل تصوراتهم فى هذا القالب المحدود أو ذاك، فانما يقدمون للآخرين صورة تفقد معظم معالمها الاساسية، و لا يمكن أن يعكس بحث كهذا واقع حياتهم، و حقيقة دورهم عليهم السّلام.

مدخل دراسة، تعوزه الفهرسة

و لقد كان بودّى أن أسهم بدورى ببحوث تتناول بعض جوانب حياتهم عليهم السّلام. و هذه أمنية عزيزة على، و أثيرة لدى. و قد

كنت قبل سنوات قد سجلت بعض النقاط، المؤهلة للبحث بصورة اكثر الحاحا، على أن تمثل بمجموعها

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸

مدخلا معقولا لدراسة حياتهم عليهم السّلام، و إن كانت ربما تكون لا تستوعب كل ما يجب، و ما ينبغى.

و قد بقيت هذه النقاط متناثرة تائهة، يعوزها التنسيق، و التبويب و الفهرسة و قد سنح بخاطرى الآن ان أقدمها إلى القرّاء كما كانت عليه، علّ أن ينفع اللّه بها، من يسعفه التوفيق للبحث و التقصى فى حياتهم عليهم السّلام.

و النقاط هى التالية:

۱- إن من الطبيعى اعطاء لمحة عن تواريخهم عليهم السّلام كيوم الولادة، و يوم الوفاة، و السنة و الشهر، و محل السكنى و الاولاد و الزوجات، و الاصحاب و سائر النقاط التى تمثل الجانب الفردى و الشخص لهم عليهم السّلام.

و ذلك بصورة علمية صحيحة، فيها من التحقيق، ما يزيل كل شبهة و ريب أو ترديد.

۲- لما ذا تعدد الائمة عليهم السّلام، سؤال لا بد من الاجابة عليه .. و هل يمكن أن يكون لما نراه من اختلاف و تميّز المواقف لكل إمام بالنسبة للامام الآخر، فهذا تراه يهتم بالتربية العقائدية، و ذاك يهتم بنشر المعارف الفقهية، و ثالث يهتم بالناحية السياسية، إلى غير ذلك مما تفرضه عقليات، و حاجات الأمة فى الأزمنة المختلفة- هل يمكن أن يكون لذلك صلة بتعدد الائمة عليهم السّلام، أم أن ذلك لمحض الصدفة و اقتضاء الحالات و الظروف الطارئة؟ مع العلم بأن بعض الائمة قد تصدوا لاكثر من مجال أيضا.

۳- بيان الطرق التى اتبعها الأئمة لمعالجة الانحرافات الفكرية، و ايراد امثلة على ذلك، سواء فى النواحى العقائدية، أو الفقهية، أو فى التفسير، أو فى السلوك

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹

الانسانى، و الأخلاقيات، أو فى المواقف من القضايا الحساسة و المصيرية، و غير ذلك.

۴- محاولاتهم طرح الاسلام العملى، الذى يرتبط بالغيب، و يندفع نحوه، مع مقارنة بين ذلك و بين ظاهرة التصوف الذى اهتم بالرياضة الروحية، و أهمل الجانب الثقافى و العلمى. و بيان الفوارق بينهما و كذلك الحال بالنسبة لذلك الاسلام النظرى الذى اهتم بالناحية الثقافية و العلمية، و حشر المفاهيم الجافة و النظريات الفارغة من النفحات الروحية، و من الارتباط بالغيب.

۵- الملاحظة الدقيقة لموقفهم عليهم السّلام من أهل الحديث، و من المعتزلة، و سائر الحركات الدينية و الفكرية و الفرق المختلفة التى كانت تحاول فرض نفسها، و بلورة افكارها هذا بالاضافة إلى مواقفهم عليهم السّلام من الفقهاء المنحرفين، و علماء السوء، و وعاظ السلاطين.

۶- و لا بد أيضا من إلماحة سريعة إلى سرّ موقفهم عليهم السّلام السكوتى فى قضية خلق القرآن، و سبب أمرهم شيعتهم بعدم التدخل فى الجدل القائم حولها.

مع الماحة سريعة بأهداف طرح مسألة كهذه، ثم النتائج التى تحققت فى هذا الاتجاه.

۷- ثم هناك موقفهم عليهم السّلام من الثقافات الغريبة الوافدة عن طريق أهل الكتاب، و عن طريق الترجمات لكتب سائر الأمم، أو اختلاط المسلمين بعد الفتوحات، و غيرها بالأمم الأخرى، و اطلاعهم على ما عندها من أفكار و مذاهب.

و لا يجب أن ننسى مواقفهم عليهم السّلام من التحريفات، التى كان يتعرض لها

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰

الاسلام الخالص من قبل اليهود و النصارى الذين اظهروا الاسلام. و من قبل القصاصين، و أهل الحديث من طالبى الشهرة و المال. و كذلك تحريف الحكام و السلاطين للاسلام، ليوافق مذاهبهم و مشاربهم السياسية، و يخدم طموحاتهم، و توجهاتهم السياسية، و

مصالحهم الشخصية، أو القبلية و الإقليمية.

۸- و لا بد من بيان موقفهم من تفسير القرآن بصورة غير واقعية، و من التلاعب بالسنة النبوية الشريفة.

ثم التعرف على الموازين و المعايير و الضوابط التى اتبعوها أو أرشدوا إليها و التى يتمكن الناس من خلالها من معرفة ذلك الجانب العريض من النصوص، و استبعاده كما و يتمكن شيعتهم بواسطتها من فهم القرآن فهما سليما غير متأثر بما هو غريب عن الدين و تشريعاته، و عن الاسلام و مفاهيمه.

و دراسة قضية الكندى هنا تصبح ضرورية لفهم بعض أساليب الأئمة فى مواجهة حالات الانحراف الفكرى، إذا كانت منطلقة من شبهة، و لم يكن لها خلفيات، ذات طابع غير اخلاقى، و لا إنسانى.

۹- كما لا بد من دراسة السرّ فى أنهم عليهم السلام لم يتركوا للناس آثارا مكتوبة، ما دام أن ذلك يحسم النزاع فى أمور كثيرة. مع أن تدوين العلوم كان فى زمنهم على قدم و ساق، و رغم أن أمير المؤمنين عليه السّلام قد كتب الجفر و الجامعة و غير ذلك، لكن ما كتبه عليه السّلام قد بقى عندهم، و لم يتجاوزهم إلى غيرهم.

و ذلك يحتم دراسة صحيفة الرضا عليه السّلام، و غير ذلك مما ينسب إليهم عليهم السّلام لمعرفة إن كانت من املاءاته، أم أنها من مكتوباته، و قد بقيت لانه كان ثمة فرق بين هذا العلم و ذاك، أو بين عصر و آخر، لا بد من تحقيق ذلك و إيضاحه.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱

أضف إلى ذلك أننا نجدهم عليهم السّلام يشجعون شيعتهم باستمرار على تدوين العلوم، و اتقانها، لا بد من تفصيل وقائع ذلك بصورة واضحة.

۱۰- لا بد من البحث حول كرامات الأئمة عليهم السّلام، و الاجابة على سؤال: هل كان الأئمة بحاجة إلى ظهور تلك الكرامات على أيديهم؟ و ما الفرق بين الكرامة و المعجزة؟ ثم ما الفرق بين كراماتهم و بين ما ينسب الى غيرهم من المتصوفة و سواهم. و هل كل ذلك صحيح؟ أم أن كرامات الصوفية و غيرهم موضع شك و ريب؟ لا بد من ذكر مبررات ذلك إن كان. و إذا كان ثمة مبالغات غير معقولة، فلا بد من الاشارة إلى ذلك مع التركيز على فهم ظروفه و مبرراته.

كما أنه لا بد من دراسة ما ينسب إلى المرتاضين حتى من غير المسلمين من خوارق .. و كذا ما ربما يقال من حصوله لبعض غير المسلمين ممن لهم اعتقادات غير صحيحة.

و هل يدخل فى هذا المورد (الكرامات) اخباراتهم عليهم السّلام بالأمور الغيبية و عن المستقبل، و هل كانت ذلك من هذا الباب، أم أن بعضه من العلم الخاص، و بعضه ليس من هذا و لا ذاك، و إنما هو معرفة للنتائج من خلال دراسة الظروف الموضوعية بدقة و وعى؟! كما أنه لا بد من معرفة السبب فى أن عليا عليه السّلام قد كان يهتم باظهار هذا الأمر، اعنى الاخبار بالمغيبات، و قد بلغت اخباراته حدا جعل بعض الناس يتهمونه بالتكهن و حتى بالكذب- و العياذ باللّه-.

مع ذكر نماذج مما تحقق من اخباراته الغيبية عليه الصلاة و السلام.

۱۱- حدود علوم الأئمة صلوات اللّه و سلامه عليهم و كيفية علمهم مع

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲

تسجيل الملاحظة التى تقول: إنهم عليهم السّلام كانوا باستمرار يؤكدون على أن لديهم من العلوم و المعارف الخاصة ما ليس عند غيرهم، و أنهم إنما تلقوا ذلك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى هو مصدر الوحى، و من ذلك قولهم: إن عندهم الجفر و الجامعة «كتاب على عليه السّلام» و غير ذلك. و ما هو السر فى ذلك؟

۱۲- محاولة اعطاء وصف دقيق- مع الامثلة الكثيرة- لشخصياتهم فى ابعادها المختلفة، و ابراز فضائلهم و مزاياهم النفسية، بالاضافة إلى التعرف على سلوكهم الانسانى و الاخلاقى.

ثم إعطاء تصور عن حياتهم الخاصة، و وصف دقيق لتعاملهم مع ابنائهم و سائر أفراد عوائلهم، و حركاتهم داخل بيوتهم، و تصرفاتهم مطلقا، حتى مع ضيوفهم، أو حينما يكون ثمة ما يوجب فرحا و سرورا أو حزنا و جزعا.

۱۳- ملاحظة مصادر أموالهم و حجمها، من أين كانوا يحصلون عليها و كيف؟ و فى أى شىء كانوا ينفقونها؟ و ما هو مدى تأثير المال فى حياتهم و فى روحياتهم و نفسياتهم؟

ثم الاشارة إلى حقيقة موقفهم من عطايا الحكام، و متى تقبلوها، و لما ذا؟

و هل كان رفضهم لها يعنى- بنظر الحاكم الظالم- تحديا، و اعلانا للحرب ضده.

و لا بد من معرفة السر فى أن أمير المؤمنين عليه السّلام قد كان ينفق على نفسه من أمواله فى المدينة، و هل كان يأخذ من بيت المال عطاء، و فى أى شىء كان ينفقه، و كيف جاز له أخذ العطاء، إذا كان يملك من البساتين ما تقدر صدقته، أو غلته بأربعين ألف دينار فى السنة؟! و هل كانوا عليهم السّلام يتناولون من الخمس شيئا، و كذا من غيره من الحقوق الشرعية، و لما ذا؟

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳

هذا بالاضافة إلى توضيح كيف أنهم عليهم السّلام كانوا يصرون على العمل فى مزارعهم و بساتينهم بأنفسهم.

ثم البحث عن سرّ مطالباتهم ببعض ما انتزع منهم من أراض، و ما ذا كان مصير الخمس فى عهد على عليه السّلام.

۱۴- اساليبهم التربوية لشيعتهم، و أسس و أساليب تعاملهم معهم، و كيفيات ربطهم الناس بقضية أهل البيت عليهم السّلام، عقائديا و عاطفيا و ثقافيا و غير ذلك، و تأثيرات هذه المركزية الدينية على الحالة الفكرية و على الانسجام فى الفهم للامور و فى المواقف و التطلعات، و الآمال- هذا- إلى جانب موقفهم من كل الثقافات الأخرى و أن كل ما لا يخرج من هذا البيت فهو زخرف، و مدى تأثير ذلك فى صيانة الفكر و العقائد، و المفاهيم لدى الناس الذين كانوا مرتبطين بهم.

۱۵- هذا بالاضافة إلى تسليط الاضواء على الحالة التنظيمية الدقيقة التى ركزوها فيما بين شيعتهم، و الماحة الى دور وكلائهم فى مختلف الاقطار، و حدود صلاحيات و وظائف أولئك الوكلاء، ثم معالجات الأئمة عليهم السّلام للخلافات التى ربما كانت تنشأ فيما بين هؤلاء الوكلاء، مع التركيز الدقيق على الانضباطية فى الحالة التنظيمية، حتى إنهم ليرجعون الأموال لاحد الاشخاص، ليدفعه الى الوكيل الذى كان فى بلد ذلك الشخص.

۱۶- الاساليب الحربية، و مبادئ الحرب عندهم، هذا بالاضافة إلى المبررات التى كانت تكفى- فى رأيهم الذى هو رأى الاسلام- لخوض الحروب و مكابدة ويلاتها. هذا بالاضافة إلى بيان الحدود التى تفرض ايقاف تلك الحرب، و مبررات التخلى عنها.

و وصف دقيق لتعاملهم الانسانى مع أعدائهم، و رفض منطق التشفى،

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴

و اسباب ذلك و تأثيراته.

۱۷- ابراز اهتمام الأئمة عليهم السّلام بتربية متخصصين فى العلوم و الفنون، فهذا متكلم، و ذاك فقيه، و آخر كيميائى، و هكذا ... ثم اهتمامهم فى أن لا يتجاوز كل منهم حدود اختصاصه و ارجاع الآخرين حين تمس الحاجة إلى أصحاب الاختصاصات هذه كل حسب ما يتناسب مع ما يطلبه و يريده.

هذا .. إلى جانب ابراز المستوى الثقافى لاصحابهم عليهم السّلام حتى لقد أصبحوا فى عهد الامام الصادق، و الكاظم عليهما السّلام هم الطليعة المثقفة و الواعية، و ارباب الفكر و العلم فى الأمة الاسلامية، و هيمنوا على الثقافة العامة بصورة واضحة. و دراسة تأثيرات ذلك على صقل الفكر و انتقاء المقولات لدى أرباب الفرق و المذاهب الأخرى، هذا .. بالاضافة الى تأثيرات ذلك على السياسة و السياسيين و مواقفهم من الائمة عليهم السّلام، و من الشيعة بصورة عامة.

۱۸- بيان اهتمام الائمة عليهم السّلام بتعليل الاحكام الشرعية و غيرها، حتى لقد ألفت الكتب فيما روى عنهم عليهم السّلام من علل أو

من حكم و دراسة الطابع و الخصائص التى كانت تتميز به تلك التعليلات و الموضوعات و النواحى التى ابرزتها أكثر من غيرها.

۱۹- بيان أنهم عليهم السّلام كانوا لا يستعملون التقية فى بعض القضايا الحساسة، رغم خطورة ذلك على حياتهم، كقضية: أنهم الأحق بالإمامة من كل أحد، و قضية النص على على عليه السّلام فما هو سر ذلك؟ و ما هى الاساليب التى استفادوا منها لاقناع الناس بهذا الأمر الخطير. ثم إظهار أنهم كانوا يركزون فى اثبات ذلك على أمرين: أحدهما: اظهار و اثبات: أن لديهم علوما خاصة، ورثوها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لا توجد لدى أى كان من البشر. الثانى: قضية النص.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵

۲۰- كيف كان يتم الاتصال فيما بين الأئمة عليهم السّلام و بين القاعدة الشعبية، و بسائر أفراد شيعتهم، الذين كانوا فى ضيق شديد، و محنة عظيمة من قبل حكام الجور، و كثير منهم فى السجون، أو مشردون فى البلاد.

مع إعطاء لمحة عن الاساليب و الوسائل التى كان كبار شيعتهم يتوسلون بها للاتصال بهم و لا سيما فى الظروف الصعبة و الحرجة.

۲۱- لا بد من إعطاء لمحة عن نشاطات الائمة حينما كانوا فى سجون الطواغيت، سواء فى ذلك نشاطاتهم فيما بين الناس الذين يسيرون فى الخط الآخر، أى فى ركاب الحكام أو ينتمون إلى فرق أخرى ليست على علاقات طيبة مع خط اهل البيت عليهم السّلام، حتى لنجد يحيى بن خالد البرمكى يشكو إلى الرشيد بأن الامام الكاظم و هو تحت هيمنتهم، و رقابتهم قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم.

۲۲- و بعد .. فان الملاحظ هو: أن الامام السجاد عليه السّلام قد كان يهتم بالموالى و شرائهم و عتقهم بصورة متميزة عن باقى الأئمة باستثناء ما عرف عن امير المؤمنين عليه السّلام و كان يعلمهم و يثقفهم، و كان يكتب ذنوبهم فى كتاب، ثم يذكرهم بها و يعتقهم و قد اعتق الوفا كثيرة منهم. لا بد من دراسة دقائق تعامله عليه السّلام معهم و ظروف عتقه لهم و آثار هذا التعامل و دوافعه. مع الالتفات إلى أن هذا منه عليه السّلام يجىء فى وقت كان فيه الحكام يمارسون سياسة التمييز العنصرى، و تفضيل العرب على كل من سواهم.

ثم .. الالماح إلى دور الموالى فى نشر الاسلام و لا سيما التشيع لأهل البيت، ثم ما كان لهم من دور فى نشر الاسلام فى الامم الأخرى بصورة عامة.

كما أنه لا بد من دراسة ظاهرة تزوج نفس الأئمة عليهم السّلام بغير العربيات بكثرة، حتى ان عددا منهم قد ولد من هؤلاء النساء بالذات.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶

كما أن لمعرفة الائمة بلغات الأمم آثارا لها طابعها الخاص، لا بد من الاطلاع عليه و الالمام به و بمناشئه.

۲۳- ثم هناك موضوع التمهيد منهم عليهم السّلام لغيبة الامام المهدى صلوات اللّه و سلامه عليه، و كيف بدءوا يحتجبون عن الناس منذ عهد الامام الهادى عليه السّلام، ليعودوا شيعتهم على هذه الظاهرة. هذا بالاضافة إلى أن الإمام الجواد و الهادى قد تصديا لمقام الامامة فى سن مبكر جدا، أى فى الخامسة أو فوقها بسنوات معدودة. مع ملاحظة مدى تأثير ذلك على موقف الشيعة و على فكرهم، ثم على موقعهم بين أهل الملل الاخرى.

مع الاشارة إلى أن الامام المهدى قد غاب و هو صغير السن، و ذلك بعد وفاة والده عليه السّلام.

۲۴- و لا بد من الحديث عن مساهمة الأئمة عليهم السّلام فى النهضة العلمية، و عن تصريحاتهم أو تلميحاتهم إلى حقائق علمية، لم يمكن اكتشافها، أو فقل إدراكها الا بعد قرون من الزمن. و عن بعض القواعد و المبانى التى ساعدت على تحقق هذه النهضة العلمية، مع ذكر امثلة صريحة و يقينية فى هذا المجال، مع ملاحظة تنوع العلوم، و من اشتهر من اصحابه بالتصدى إليها كجابر بن حيان و غيره.

۲۵- و من الامور الجديرة بالبحث «الدعاء» عند الأئمة، و لا سيما بالنسبة لأمير المؤمنين، و السجاد، و الحسين عليهم السّلام، مع تقييم و بحث للصحيفة السجادية، و مضامينها المختلفة، و موضوعاتها المتنوعة، السياسية، و العقائدية، و التربوية، و الاخلاقية و غير ذلك. مع الاشارة إلى ما يلاحظ من المد و الجزر فى مستوى اعتمادهم صلوات اللّه و سلامه على طريقة الدعاء فى ابلاغ و تحقيق مقاصدهم

الاعلامية و التعليمية و التربوية.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷

كما لا بد من إلماحة و لو سريعة بما كان يعانى منه الناس من جهل مطبق، و تجهيل متعمد لهم بالاضافة إلى ظاهرة التحريف التى كانت تستهدف الاسلام و المسلمين فى تلك الفترة، حتى إن بنى هاشم، و هم أقرب الناس إلى مصدر الوحى و التنزيل كانوا إلى أن مضت سبع سنين من امامة الباقر عليه السّلام لا يعرفون كيف يصلون، و لا كيف يحجون.

كما أن من المفيد جدا تقديم دراسة لرسالة الحقوق للامام السجاد، و لعهد أمير المؤمنين عليه السّلام للاشتر، و توحيد المفضل، و الرسالة الطبية الذهبية.

۲۶- و إذا كنا نجد: أنه لم يكن يعترف بامامة السجاد سوى ثلاثة اشخاص، أو خمسة، حسب اختلاف النقل، فلا بد من معرفة الخطوات التى اتخذها الامام السجاد عليه السّلام لتهيئة الأجواء لمدرسة الباقر و الصادق عليهما السّلام.

مع أن الناس بعد قتل الحسين، و بسبب السياسة الأموية البغيضة قد انصرفوا عن اهل البيت، و لم يبق بينهم بنظرهم شخصية كبيرة تعنو لها الحياة بالتسليم و الخضوع و كيف استطاع السجاد عليه السّلام أن يصبح الرجل العظيم الذى يجله حتى أعداؤه و مخالفوه اكثر من أى إمام آخر، فهل كان ذلك لأنهم رأوا فيه انصرافا عن طلب الحكم و السلطة؟ أم لغير ذلك من أمور.

و ما هو مدى صحة ما يقال من أنه عليه السّلام قد غاب عن الناس عشر سنين ليعيش فى البادية، و ما هو تفسير ذلك على تقدير صحته.

۲۷- ما هى دوافع الحركات الشيعية و غيرها كالزيدية و كحركات الغلاة، و كذلك سائر الحركات التى قامت ضد الحكم و الحاكمين، مثل حركات الخوارج، و ما هو موقف الائمة عليهم السّلام من هذه الحركات، و كيف كانوا يوفقون بين آرائهم فيها، و بين حفظ موقعهم و هم يواجهون ظاهرة اندفاع الناس نحوها.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸

و لما ذا نهى على عليه السّلام عن قتال الخوارج بعده. و ما هو موقف الشيعة و الأئمة منهم.

۲۸- و لا بد أيضا من دراسة حقيقة موقف الأئمة من الحكام و موقف الحكام من الأئمة، و كيف امكن لهم الحفاظ على التشيع، مع أنه كان يواجه الحكام على مدى التاريخ، و مع أن التعاليم التى كان يؤمن بها الشيعة هى على النقيض تماما مما يسعى الحكام له، و يعملون من أجله.

و قد رأينا: أن حكومة الجبارين ما حاربت مذهبا إلا و خنقته فى مهده، و قطعت أوصاله، إلا أن يسير فى ركابها و يدور فى فلكها و يجند نفسه و يحرف تعاليمه لتصبح فى خدمتها، و قد كان المعتزلة فرقة قوية فى منطقها و كانت تملك هى مقاليد السلطة على مستوى الخلافة الاسلامية كلها، و لكنها حين رأت السلطة:

أنها فى غنى عنها و ناصرت خصومها فانها أصبحت فى خبر كان، و أصبح أصحاب نحلة أهل الحديث، و هى من السخافة بمكان هم المسيطرون، و هم الحاكمون، و بقيت نحلتهم و دامت، و قعدت و قامت، و إن كان الاشعرى قد حاول طلاء وجهها ببعض الأصباغ التى لم تستطع التخفيف من بشاعة ملامحها، حين يتأمل بها المتأملون، و يلتفت إلى ملامحها الشوهاء الواعون. و لا بد أيضا من التوقف عند الاساليب التى كان ينتهجها الحكام لابعاد الناس عن الأئمة، و منها اسلوب التخويف و الملاحقة كما أن من الضرورى الالفات إلى أن الشدة و غيرها من الاساليب التى كان الحكام يحاولون من خلالها ابعاد الناس عن أهل البيت عليهم السّلام، قد كانت تنتج عكس ما يريدون و خلاف ما كانوا إليه يطمحون، حيث يزداد الناس فى كثير من الأحيان تعلقا باهل البيت، ثم محاولة تفسير ذلك بالشكل المعقول و المقبول.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹

مع تقديم اطروحة كاملة عن نظرتهم عليهم السّلام إلى الحكم و الحاكمين، و عن الموقف الشرعى منهم، و أساليب التعامل معهم.

۲۹- و من اللازم أيضا تفسير ظاهرة عدم ثورة الأئمة بعد الحسين عليه السّلام على الحكام، مع وجود ثورات كثيرة قام بها الزيدية و غيرهم.

كما أن من الضرورى معرفة حقيقة موقف الائمة من ثورة زيد و المختار، و كذلك سائر الثورات التى كانت ترفع شعار الحق و العدل، كثورة الحسين الهرش و ثورة الحرة بالمدينة بالاضافة الى ثورة الحسين بن على فى المدينة، و سائر ثورات العلويين.

و لما ذا كانوا عليهم السّلام يرغبون باستمرار هذه الثورات، و يقولون لشيعتهم: «ما زالت الزيدية لكم وقاء أبدا»، و يقولون أيضا ما مضمونه: «ما زلت أنا و شيعتى بخير ما خرج الخارجى من آل محمد». أو نحو ذلك.

و كيف يمكن تفسير هذا الكلام، و على أى معنى يحمل. مع أننا لا نجد فى علاقات نفس هذا الامام بالثائرين، ما يشجع، أو ما يستحق أن يقال عنه: إنه علاقات طبيعية على أقل تقدير، و ذلك بسبب وجود كثير من الفجوات و المشاكل فيما بينه و بينهم.

۳۰- يضاف إلى ما تقدم: دراسة محاولاتهم عليهم السّلام إدخال بعض الشخصيات الشيعية- و لو مع التقية- إلى المراكز الحساسة فى الدولة التى يحكمها الظالمون، كما هو الحال فى ابن يقطين فى دولة الرشيد العباسى. و قد بقى بعض الشيعة يحاولون النفوذ إلى بعض المراكز فى الحكومات، حتى بعد عصر الأئمة الطاهرين صلوات اللّه و سلامه عليهم اجمعين.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۰

و لكنهم فى نفس الوقت يمنعون صفوان الجمال من كراء جماله لهارون الرشيد حتى لأداء فريضة الحج. فكيف نوفق بين هذين الموقفين.

و من المفيد جدا أيضا: التعرف على الاساليب العملية فى مجال الدعوة كالدعاء، و الشعر، و الكرامات، و الاخبار بالمغيبات.

بل نجد عطاياهم للشعراء مثيرة للعجب، لكثرتها، حتى ليرد سؤال: أ ليس الفقراء كانوا أولى بهذا المال من هذا الشاعر؟

كما لا بد من دراسة استشهادات على و الحسين عليهما السّلام كذلك لحديث الغدير فى رحبة الكوفة و فى منى و غير ذلك من المواضع.

و هناك أيضا موضوع تخصيص الامام الباقر عليه السّلام ثمانمائة درهم لنوادب يندبنه بعد موته فى منى فى موسم الحج لمدة عشر سنين.

هذا بالاضافة إلى حثهم الشديد و الاكيد على اقامة مجالس العزاء و البكاء على الحسين عليه السّلام.

إلى غير ذلك من أساليب تعليمية و إعلامية اختاروها فى مجال دعوتهم إلى اللّه سبحانه، و كلها مشروعة، و مؤثرة.

۳۲- و إذا كان الاهتمام بالابتعاد عن مذهب أهل البيت، و بالجعل و الاختلاق للحديث- قد تجلى فى القرن الأول أكثر منه فى الذى يليه فاننا نلاحظ قلة المأثورات فى الفقه فى القرن الأول، و لم يكن ثمة تحديد واضح لكثير من المسائل و الاحكام فى تلك الفترة، و قد يكون ذلك لأجل تفويت الفرصة على الوضاعين و أعداء الحق. و قد يكون لغير ذلك أيضا. ثم بدأ التركيز على المسائل الفقهية و تحديدها، و تحديد الحق فى غيرها من المسائل العقائدية منها و غيرها- قد

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۱

بدأ بعد ذلك القرن، أى من زمن الباقر عليه السّلام.

أو فقل بعد مضى سبع سنين من امامته كما أشارت إليه بعض النصوص.

كما أن إظهار الجانب العقائدى السياسى و التدبيرى قد كان فى عهد الامام على أمير المؤمنين عليه السّلام اكثر منه فى عهد سائر الائمة من ولده.

۳۳- كما لا بد من دراسة مواقفهم عليهم السّلام من الثقافات الوافدة، و المعابير التى رسموها لشيعتهم لقبول ما يمكن قبوله منها، ورد

ما يجب ردّه، مع بيان ما قبلوه مطلقا، و ما قبلوه بشرط، و ما لم يقبلوه مطلقا أيضا.

۳۴- و أخيرا .. لا بد من معالجة موضوع الغيبة و فوائدها و آثارها و كيف ربى الائمة شيعتهم على الاستقلال الفكرى، باعطائهم الضوابط و المعايير العامة التى تمكنهم- لو روعيت- من اتخاذ الموقف الصحيح فى مختلف الحالات و الظروف، و على مر الزمان.

كما لا بد من دراسة الزلزال الكبير الذى احدثته الغيبة رغم الاعداد لها بامامة الجواد و الهادى و هما صغيران، و باحتجاب العسكريين عن الناس أيضا تمهيدا لذلك، و غير ذلك مما يجده الباحث المتتبع.

جعفر مرتضى العاملى

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۳

[مقدمة المؤلف]

«بسم اللّه الرحمن الرحيم» قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى «۱» «اهل البيت عليهم السّلام» لقد تعرّضنا فى كتابنا هذا الى البحث عن المحاولات الفكرية و السياسية لأئمة الشيعة عليهم السّلام ... الأئمة الذين هم المصداق لأهل البيت عليهم السّلام و الابناء لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمير المؤمنين عليه السّلام. و ما هو مهمّ التعرّض إليه هنا هو الاجابة عن السبب الذى جعلنا نعتمد كلّ هذا الاعتماد على اهل البيت، فلما ذا يعتمد الشيعة على أهل البيت كلّ هذا الاعتماد؟ و لما ذا قبلوهم ائمة لهم و اعتبروا ولايتهم هى الولاية الاصيلة فقط؟.

الحقيقة إنّ اهل السنّة غير الناصبيين يحبّون اهل البيت أيضا و يحترمونهم أعظم الاحترام. غير أن الامر المهمّ فى المسألة هو الاساس الذى بنى عليه هذا

---

(۱) الشورى: ۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۴

«الحب» و «الاحترام» الواجب ابرازهما.

فهل اننا لو بنينا على الاكتفاء بابراز المودّة و المحبّة لهم، و حصرها فى حدود الاحترامات الظاهرية نكون قد التزمنا بهذا الواجب و امتثلنا الأمر بمحبّتهم؟ و هل أنّ ما بلغنا من روايات عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى فضيلة أهل البيت عليهم السّلام على كثرتها «۱»، و أمره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمحبتهم ينحصر فى هذا البعد الظاهرى من المحبة، و نظم أبيات من الشعر فى مدحهم؟.

بعيد جدّا أن يجيب عقل منطقىّ على هذه الاسئلة بالاثبات فيقول بأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اراد منا أن نحبّ قرابته فقط، و أنّه لم يأخذ فى هذه المحبّة امرا آخر، و أنّه إنّما وجبت علينا محبتهم احتراما للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنّهم قرابته!.

لا ريب انّ الانعطاف الذى يبديه عامّة المسلمين تجاه اهل البيت عليهم السّلام منشؤه هو التوصيات الصادرة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند اهل السنّة التى تتحدث عن أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جعل اهل البيت عليهم السّلام، ركنا للدين بعد القرآن لذا فمن غير الممكن لاحد أن يتجاهل اهل البيت عليهم السّلام حيث بلغ عدد الكتب المؤلفة باللغة العربية من قبل اهل السنّة و حدهم حوالى ۷۰۰ كتاب عن اهل البيت «۲».

لكن كيف انحرف هذا العدد العظيم من الناس رغم وجود هذا القدر من الفضائل الصحيحة بحيث آل الأمر «۳» فى نهاية المطاف و إثر اصرار جمع من

---

(۱) راجع كتاب «فضائل الخمسة فى صحاح الستة» لمؤلّفه آية اللّه الفيروزآبادى.

(۲) راجع مجلّة «تراثنا» مقالة «اهل البيت فى المكتبة العربية» لكاتبها السيد عبد العزيز الطباطبائى، و قد كان ما ألّف من الكتب لحد ذلك الحين يبلغ «۳۴۰» مذكورة بالترتيب حسب الحروف الهجائية و استنادا الى ما قاله الكاتب فى مقالته فإنّ عدد الكتب بلغ اخيرا ما يقرب من ۷۰۰ كتاب.

(۳) ينبغى الالتفات الى أنّ احمد بن حنبل وحده الذى ثبّت عليّا عليه السّلام خليفة رابعا فإلى زمانه لم يكن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۵

المحدّثين و الفقهاء امثال محمّد بن ادريس الشافعى الى أن يقف عند حدّ المحبّة حيث قال:

يا أهل بيت رسول اللّه حبّكم‌فرض من اللّه فى القرآن انزله

كفاكم من عظيم الشأن انّكم‌من لم يصلّ عليكم لا صلاة له «۱» و يسهل الجواب عن هذا السؤال لدى ملاحظة الوقائع التى جرت فى عصر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعد وفاته حتى اواسط القرن الثانى الهجرى. فهناك رواية تحكى عن مدى ما كانت قريش تضمره من العداء و النفرة لقرابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حياته.

فقد روى أنّ العبّاس عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال له يوما: «إنّ قريشا تلقى بعضها بعضا بوجه منبسط، فاذا رأتنا لقيتنا بغير الوجوه التى نعرفها». فغضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال: «و الذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبّكم للّه و لرسوله» «۲».

فهذه الرواية تدلّ على أنّ قريشا كانت ساخطة جدّا على قرابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى اواخر ايّامه. و قد جاء فى المثل أربعة لا تكون فى أربعة السخاء فى الزبيرىّ، و التواضع فى المخزومى، و صحة النسب فى الشامى، و حبّ آل محمّد فى القرشىّ «۳».

العثمانية- الذين اخذوا يحملون اسم السنة مع اختلاف يزيد و ينقص- يعتقدون بهذا الأمر راجع كتاب طبقات الحنابلة ج ۱، ص ۴۵.

(۱) راجع: كتاب القدر ج ۳ ص ۱۷۳، و الصواعق المحرقة ص ۸۷، و شرح المواهب ج ۷ ص ۷ و مشارق الانوار ص ۸۸، و الاتحاف ص ۲۹ و الاسعاف ص ۱۱۹.

(۲) المعرفة و التاريخ للفسوى ج ۱ ص ۲۹۵، ۴۹۷، ۴۹۹ و البداية و النهاية لابن كثير ج ۲ ص ۲۵۷.

(۳) ربيع الابرار للزمخشرى ج ۳ ص ۴۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۶

فالمستظهر من هذه الروايات انه كانت لقرابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منافسات و عداوات. اضافة الى ذلك فانّ ما حصل من مبايعة أبى بكر فى السقيفة التى تمّت بدوافع متعدّدة منها منافسة الانصار، و طلب عمر الشديد من جميع المخالفين البيعة، و تهديده عليا عليه السّلام و الزبير و آخرين بحرق دورهم عليهم اذا لم يبايعوا «۱»، كان من الطبيعى أن يعقبه موقف جدىّ من أهل البيت عليهم السّلام هذا الموقف الذى ازداد اتساعا بمخالفة الإمام لبيعة أبى بكر التى دامت ستة أشهر و ظهور الغضب و السخط فى وجه فاطمة عليها السّلام من الخليفة «۲» و هو ما ادّى الى أول نوع من الانقسام بين المسلمين ... الانقسام الذى كانت ثمرته مظلوميّة أهل البيت عليهم السّلام مظلومية بلغت أوجها فى كربلاء.

هذا و النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أوصى بهم مرارا على مسمع و مرأى من الناس، و طلب منهم معاملة عترته بالحسنى فضلا عن الكلمات الكثيرة التى قالها فى فضلهم عامّة و فضل كلّ واحد منهم على وجه الخصوص.

فقد روى «ابن شيبة» عن «عبد الرحمن بن عوف» فى حديث مسند أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عمد الى الطائف بعد فتح

مكّة، و حاصرها ثمانية عشر او تسعة عشر يوما فلم تفتح، و فى أحد الايام او احدى الليالى مشى قليلا ثم وقف و قال:

«أيّها الناس إنى فرط لكم فأوصيكم بعترتى خيرا. و إن موعدكم الحوض. و الذى نفسى بيده ليقيمنّ الصلاة و ليؤتنّ الزكاة، أو لأبعثنّ إليهم رجلا منّى او كنفسى فليضربنّ أعناق مقاتلتهم، و ليسبينّ ذراريهم» قال:

---

(۱) الامامة و السياسة لابن قتيبة ج ۱ ص ۱۱، ۱۳، و ابن أبى الحديد ج ۲ ص ۸، ۱۹.

(۲) راجع كتاب فضائل الخمسة ج ۳ ص ۱۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۷

فرأى الناس أنّه أبو بكر أو عمر، فأخذ بيد علىّ فقال: هذا» «۱».

و جاء فى رواية أخرى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال بعد أن ذكر كتاب اللّه و وجوب التمسّك به: «و أهل بيتى، اذكركم اللّه فى أهل بيتى» كرّرها ثلاث مرّات «۲».

و رغم هذه الوصايا، و تأكيد القرآن على تطهير اهل البيت، و فرض سهم ذوى القربى، و الصلاة على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى فسّرها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نفسه بأنّها الصلاة على محمد و آله، و اعتباره أجره من الناس المودّة فى القربى فانّ التعامل الفظّ لساسة المجتمع فى صدر الاسلام ادّى الى اعتزال الناس لأهل البيت حتى قال أمير المؤمنين عن ذلك: «إنّ الناس نسونا لفرط ما فعلوه بنا» «۳».

و لقد اخذ «أبو ذرّ» صديق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الحميم، الذى اطلق نداء التوحيد عند الكعبة فى أوج ظلم أبى سفيان، بمقابض الكعبة- وفقا لما رواه أهل السنة فى جوامعهم الحديثية- و صاح: «أيّها الناس، من عرفنى فقد عرفنى، و من من لم يعرفنى فأنا ابو ذرّ الغفارىّ. لا أحدّثكم الّا ما سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول، سمعته و هو يقول:

«أيّها الناس إنّى قد تركت فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتى اهل بيتى، و احدهما افضل من الآخر، و لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، و إنمّا مثلهما

---

(۱) ابن ابى شيبة ج ۱۴ ص ۵۰۸، ابن عساكر، تاريخ دمشق ج ۲، الحديث ۸۷۵ نقلا عن حاشية ابن ابى شيبة، المعرفة و التاريخ ج ۱ ص ۲۸۲، ۲۸۳.

(۲) المعرفة و التاريخ ج ۱ ص ۵۳۶.

(۳) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ۹، ص ۲۸، ۲۹ و ج ۲۰، ص ۲۹۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۸

كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، و من تركها غرق» «۱».

هذه هى روايتا الثّقلين و السفينة المشهورتان اللتان توكدان المكانة العليا لأهل البيت و لياقتهم فى قيادة المسلمين، و هذا هو ابو ذر الذى قال عنه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما اظلّت السماء و لا اقلّت الارض اصدق لهجة منه»، يدعو الناس لاهل البيت بهذه الطريقة التى احيا بها خاطرات صدر الاسلام فى مكّة.

و كما آذاه المشركون حين اطلق تلك الصرخة نفاه الآخرون حين اطلق صرخته هذه المرة!.

و هكذا فانّ احدا ما كان ليمكنه أن يبيّن مكانة اهل البيت على حقيقتها الّا فى المدّة القصيرة التى تولّى فيها الامام علىّ الخلافة. فأحيا فى رحبة مسجد الكوفة حديث الغدير، و عدّد فضائل و مناقب اهل البيت، و قد وردت كلماته الرائعة فى مكانة أهل البيت السامية فى كتاب نهج البلاغة و سائر كتب الحديث و الأدب، و قد قمنا بجمع نماذج من خطبه فى موضع آخر «۲».

غير أنّ تسلّط معاوية و بنى سفيان و بنى مروان، و سبّهم العلنىّ لعلىّ و آله من على المنابر- حتى أن عبد اللّه بن الزبير كان لا يصلّى على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لئلا- يعلو لاهل البيت شأن- ما كان ليؤدى الى نسيان أهل البيت و حسب، بل الى رفضهم من قبل الناس. اذ كيف يتوقع و الحال هذه أن يذكر شىء من مناقبهم التى نطق بها

---

(۱) المعرفة و التاريخ ج ۱، ص ۵۳۸، و الروايتان متواترتان. راجع كتاب عبقات الانوار ج ۲ من المجلد ۱۲ طبعة اصفهان سنة ۱۳۴۱.

(۲) الحق أن اكثر طرق حديث الغدير الذى رواه أهل السنة سببها ذلك العمل الذى قام به الامام فى رحبة مسجد الكوفة، و هذا يدلّ على أنّ الامام لو لم يكن قد فعل ذلك لآل امر هذا الحديث الى النسيان كما آلت إليه كثير من الامور الاخرى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۹

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين الناس؟.

فلم يكن ذاكر لعلىّ عليه السّلام غير الكوفة- و هى أيضا لم تخل من بغضه و عداوته- فهى وحدها التى أبقت ذكر علىّ حيّا، و اعتبرت آله احقّ بالخلافة من سائر الناس، و اقرّت لهم بها فى الباطن حتى اقرّ هشام بن عبد الملك بذلك «۱»، و اعترف فى نصوص أخرى بأنّ الناس كانوا على استعداد تامّ لقبولهم فى مقام القيادة «۲» لكنّ بنى العبّاس استغلوا هذه الفرصة فيما بعد، و فرضوا انفسهم باسم اهل البيت على الناس البسطاء.

و غير خفىّ أنّ تناقل مناقب و فضائل أهل البيت خصوصا حديث الغدير بين رواة الحديث و المحدّثين الذين ما كان لهم من الانصاف إلّا القليل دام و استمرّ الى يومنا ممّا جعلنا نملك ميراثا مثل «الغدير».

غير أنّه قد وقع ما كان يخشى وقوعه إذ انحرفت مسيرة المجتمع الاسلامى فغدا ذلك المجتمع الذى كان ينبغى له أن يتغذى من علوم اهل البيت و ينتفع بعلمهم يستند الى اعمال خاطئة و تصرّفات مرفوضة بينما و اصل اهل البيت عليهم السّلام العمل بما تقتضيه وظيفتهم و يملى عليهم واجبهم ضمن مساحة محدودة هم الشيعة الموالون لهم، و إن استفاد اهل السنّة من كلماتهم أحيانا.

---

(۱) الفتوح لابن أعثم ج ۴، ص ۲۳، يدلّ على ذلك صريحا ثورة التوابين و حركة التوّابين، و تفصيل القول فى ذلك تعرّضنا له فى كتابنا تاريخ الاسلام السياسى من العام ۴۰ الى العام ۱۰۰ الهجرى.

(۲) الكامل فى الادب للمبرّد ج ۱، ص حيث يهدّد خالد بن يزيد فى هذه الرواية عبد الملك بن مروان بأنّ زواج الحجّاج من بنت عبد اللّه بن جعفر غير صحيح لأنّ الناس يقولون عن بنى هاشم اشياء! فهذه الزواج ربما صار عاملا لزوال حكم بنى أميّة و تولّى الحجّاج الحكم، و هو ما جعل عبد الملك يجبر الحجّاج على تطليق بنت عبد اللّه بن جعفر خوفا من عقيدة اهل العراق فى بنى هاشم.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۴۰

و استمرّت استقامة الأئمة الاطهار فى الفكر و العمل رغم ما كانوا يعانون منه من ضغط و قمع و كبت، و استطاعوا بما كانوا يتمتّعون به من شخصيّة فذّة من الحفاظ على ميراث الشيعة الذى يستند الى القرآن و العترة. و قد حققت الشيعة عملا ما نادى به ابو ذرّ حيث واصلوا طريق ائمتهم العظام فى الفقه و التفسير و الاخلاق و السياسة.

و امّا اهل السنّة فقد أشرنا فيما مرّ الى أنهم كانوا يعلنون المودّة لاهل البيت، و يؤلّفون الكتب فى مدحهم و التعرض لمناقبهم، بل قد كتبوا كتبا فى سيرة حياتهم أيضا تعبيرا عن ذلك «۱». لكنّهم لم يكلّفوا انفسهم عناء السؤال و التحقيق عن واقعة الغدير هل كان لاثبات مودّة على فحسب؟

و عن الامامة التى يقول بها الشيعة لأئمتهم هل تفتقر الى اساس متين؟

و هل أنّ حديث «الثقلين» الذى ثبت تواتره لم يكن الّا بصدد الاشارة و الارشاد الى تلك المحبّة السطحيّة لأهل البيت عليهم السّلام؟

و هل أن حديث «السفينة» لا يعبر عن تشبيه بليغ فى وجوب التبعيّة لهم عليهم السّلام؟

و إنّ ما يثير العجب أنّ حديث «الأئمة اثنا عشر»- استنادا لما يذكره السيوطى و آخرون- حديث متواتر و إجماعىّ «٢». لكنّ أهل السنة راحوا يحملونه- خطأ- على بعض الخلفاء و ربّما ذكروا أن اربعة منهم مضوا و سيأتى الباقون.

أ ليس هذا يدلّ على أنّ هذه الرواية تنطبق على أئمة الشيعة فقط؟. و انهم الذين

---

(١) من هذه الكتب تذكرة الخواصّ، و الاتحاف، و ينابيع المودّة، و الائمة الاثنا عشر لابن طولون و غيرها مما ذكره السيّد الطباطبائى فى فهرسه المتقدّم فى مجلّة «تراثنا».

(٢) تأريخ الخلفاء ص ١٠- ١٢ و الصواعق المحرّقة ص ٧- ١٠.

امتدح الجاحظ الذى عاصر الامام الحسن العسكرىّ عليه السّلام احد عشر إماما منهم حيث وصفهم بأنّهم «العلماء، الزهّاد النسّاك، الشجعان الطهرة» و أنهم اللائقون بمنصب الخلافة «١»؟

لقد كان للأئمة عليهم السّلام من العظمة أنّه حين ذكر اسم الامام الرضا عليه السّلام عند تنصيبه وليّا للعهد فقيل: «علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن على بن ابى طالب» قيل: «و اللّه لو انّ هذه الاسماء قرئت على اصمّ أو أبكم لشفى بأذن اللّه» «٢».

و ما كان بين أهل السنّة من يدرك اهميّة هذا البيت الّا عدد قليل منهم، و أما اكثرهم فكانوا يبدون نفرتهم من مقام اهل البيت عليهم السّلام الشامخ. إذ جاء فى رواياتهم أنّه قيل لزائدة- و هو من رواة الحديث-: لما ذا لا تروى عن جابر الجعفى و ابن ابى ليلى، و الكلبىّ؟ فقال: «... و أمّا الكلبىّ فقد كنت اذهب عنده و اقرأ القرآن فسمعته يوما يقول: لقد مرضت زمانا فنسيت ما كنت حفظته، فذهبت عند آل محمّد فبصق فى فمى فعاد إلىّ كلّ ما كنت نسيته» يقول زائدة: «فلم ارو عنه بعد ذلك أبدا» «٣». و منه يعلم السبب فى مخالفة زائدة للكلبىّ! و قد كان الشهرستانى- و هو من أهل السنّة و الجماعة- يرى لأهل البيت

---

(١) آثار الجاحظ ص ٢٣۵ نقلا عن حياة الامام الرضا عليه السّلام ص ١۴٧، و الجاحظ من اكابر الادباء و كتّاب اهل السنّة فى القرن الثالث الهجرى.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام للشيخ الصدوق ج ٢ ص ۴٧، ١۴۵، و كتاب مقاتل الطالبيين ص ٣٧۵ و مناقب ابن شهرآشوب ج ٢ ص ٣٣٩.

(٣) تاريخ يحيى بن معين ج ١ ص ٢٨٩.

منزلة خاصّة و مكانة عظيمة و يعتقد أنّ علم القرآن عندهم فقط «١».

و حقيقة الأمر أنّ أهل البيت عليهم السّلام كانوا الحفظة الحقيقيين لسنة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لذا جعلهم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بموازاة القرآن و قال: «إنهما لا يفترقان».

و قد ذكرنا فى بحوثنا التاريخية عن الحياة الفكرية لأئمة الشيعة مسألة حفظ السنّة تفصيلا. و نذكر هنا امثلة ثلاثة على ذلك ليتّضح بها المعنى المراد.

- قال أمير المؤمنين: «إن كان الدين يدرك بالعقل فباطن القدم اولى بالمسح من ظاهرها لكنّى رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يمسح ظاهر قدميه» «٢».

فهذا إحياء لسنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مقابل تحكيم «الرأى».

- ينقل ابو موسى الاشعرى: «صلّى بنا علىّ يوم الجمل صلاة ذكرناها صلاة رسول اللّه فإمّا نكون نسيناها أو نكون تركناها عمدا» «۳».

- كان الامام السّجاد عليه السّلام إذا اذّن فبلغ «حىّ على الفلاح» ابتعها بلا فصل قوله:

«حىّ على خير العمل»- التى تركها اهل السنّة- و قال: «هو الاذان الاوّل» «۴» و ذلك ليعلم الناس انهم حرّفوا الاذان بحذفهم هذه الجملة.

و هذه التصرّفات و امثالها ممّا يرجع إلى سنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كثير عند الأئمة. و اعتماد الشيعة كلّ هذا الاعتماد على أهل البيت عليهم السّلام و استنادهم الى اقوالهم و افعالهم انما هو لتأكيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على ذلك من جهة و لسيرتهم فى حفظ

---

(۱) راجع مجلّة «تراثنا» العدد ۱۲ مقالة آذرشب حول تفسير الشهرستانى.

(۲) مصنّف ابن ابى شيبة ج ۱ ص ۱۸۱.

(۳) نفس المصدر السابق ج ۱ ص ۲۴۱.

(۴) نفس المصدر السابق ج ۱ ص ۲۱۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۴۳

كيان الدين و قاعدته من جهة اخرى.

و لا بأس باستثمار الفرصة هنا لأقدّم النصيحة لعشّاق الحق و طالبيه من أهل السنّة و ادعوهم للتحقيق و تحرّى الدقة فيما يخصّ أهل البيت عليهم السّلام و التفكير فى حقيقة المناقب و الفضائل المنقولة بحقّهم و التبعات الفكرية لها فربّما هدانا اللّه الى التمسك بهم، و وفّقنا للجواز على الصراط المستقيم «۱».

و بعد تقديم الشكر الجزيل لاستاذى العزيز العلّامة السيّد جعفر مرتضى العاملى الذى كتب مقدّمة ثرّة و معطاءة لهذا الكتاب اقدّم بحثى المختصر هذ حول حياة الائمة عليهم السّلام الى طلّاب طريق الائمة الاطهار.

رسول جعفريان ربيع الاول/ ۱۴۱۰ ه

---

(۱) يمكن ذكر كتابيين هنا: احدهما كتاب (فى مدرسة أهل البيت) و هو من تأليف دار التوحيد. و قد ترجمه الى الفارسية السيد محمد تقى رهبر و طبعت ترجمته منظمة الاعلام الاسلامى. و اما الكتاب الآخر فهو كتاب (اهل البيت او الوجوه المنيرة) من تأليف العلمين المرحوم شهاب الدين الاشراقى و آية اللّه فاضل لنكرانى و قد تمّ نشره من قبل مكتب نشر الثقافة الاسلامية.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۴۵

[اهل البيت عليهم السّلام]

الامام علىّ عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۴۷

قال الحسن البصرى فى وصف الامام علىّ عليه السّلام:

«اراهم السبيل، و اقام لهم الدين إذا اعوجّ» «١» قد يدّعى البعض منّا أنّه يعرف أمير المؤمنين علىّ بن ابى طالب عليه السّلام أكثر من معرفته بأى شىء آخر، و قد تكون معرفتنا به افضل من سائر الائمة عليهم السّلام. غير أننا و إن كنّا جميعا نعرف عليّا لكنّ معرفتنا الحقيقية بحياة علىّ الواقعيّة ضئيلة جدّا. و الظاهر أنّ سبب ذلك هو قوّة الاشراق وسعة المساحة التى يتمتّع بها علىّ عليه السّلام ممّا يجعل الالمام بحياته و اعطاء خطّ بيانى كلّى عنه امرا مشكلا. و امّا معرفته كواحد فى كثير، و كثير هو فى الحقيقة فى شكل الواحد فلا يمكن أن يبين لنا من خلال عدد من المعلومات المشتّتة. بل لا بدّ من التفكير بسعة و شمولية مع المحافظة على عنصر التركيز و الدقّة فى حركات علىّ و خصاله و صفاته و دوافعه و اقواله و افعاله لنجد بعد كثير من التأمّل و الامعان أنّنا لم نعرف عن تلك الشخصية

---

(١) مصنّف ابن ابى شيبة ج ١٢ ص ٨٣.

الّا جانبا محدودا من شخصيته و انّا ما زلنا فى منعطف الطريق.

معرفة مختصرة

اسمه علىّ، و اسم ابيه ابو طالب (و إن كان يجب تسميته أبا علىّ)، أمّه فاطمة بنت أسد، مولده الكعبة الشريفة فى مكّة المكرّمة، سنة ولادته العام الرابع و العشرون قبل الهجرة، مكان نشأته بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث نشأ و ترعرع فى حضن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خديجة.

امضى فترة صباه فى بيت الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث كان أبوه لا يقوى على تحمّل العبء الثقيل لعائلته. فطلب رسول اللّه إليه إعانته بأن يكفل احد ابنائه لقاء الاتعاب التى بذلها ابو طالب بحقّ النبىّ حين كان يتيما، فكان على نصيبه. و هكذا قضت مشيّة اللّه سبحانه أن يكون لعلىّ عليه السّلام هذا الفخر الذى ما شاركه فيه احد غير فاطمة عليها السّلام.

إيمان علىّ عليه السّلام

استنادا الى اصحّ النصوص التاريخية و الحديثية فانّ الامام عليّا عليه السّلام هو أوّل من آمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إن تدخلت يد السياسة بعد ذلك فاثارت أوهاما و شكوكا حول الموضوع. و ما جاء فى كتب الحديث و التاريخ قديمها و حديثها صريح فى هذا الباب بما لا يدع مجالا للشكّ و الشبهة «١».

---

(١) راجع كتاب الغدير ج ٣ ص ٢٢١ و ما بعدها حيث يصرّح الامام نفسه فى عدة مواضع فيقول فى موضع: «أنا أوّل رجل اسلم مع رسول اللّه»، شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد، ج ٣ ص ٢٥٨ طبعة بيروت

و قد سعى بعض ممّن عرف هذه الحقيقة و صدّق بها الى التقليل من أهميّة الموضوع بادّعاء أنّ الإمام كان حينها طفلا لم يبلغ الرشد، لكنّ ثمّة شواهد مقنعة تدلّ بوضوح على نضجه الفكرىّ آنذاك، بل إنّ عمره يدلّ بوضوح على ذلك.

و قد خصّص محمّد بن عبد اللّه الإسكافى فى كتابه القيّم (المعيار و الموازنة) موضوعا للبحث فى هذا الأمر نذكر فيما يلى خلاصته حيث كتب يقول:

«حين نلاحظ النبىّ كيف يدعو عليّا الى الاسلام يمكننا أن ندرك بوضوح أنّه كان حينها بالغا و عاقلا و ان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يرى اعتناقه للاسلام واجبا عليه. و لو كان علىّ عليه السّلام طفلا آنذاك لم يجب عليه حكم خصوصا و الاسلام فى بدايته

فى ذلك الحين. كما لم يكن المجتمع مجتمعا اسلاميّا كى يقوم الناس بتعليم اطفالهم لقبول الاسلام. و كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ذلك الوقت محتاجا الى اسلام من يعتنق الاسلام عن علم و بصيرة».

(ثم يضيف فيقول:) «فان قيل: و كيف يكون بالغا و سن البلوغ فى الاسلام هو اكمال السنة الخامسة عشرة من العمر فى الذكر؟ قلنا: إنّ آخر حدّ البلوغ فى الاسلام هو السنّ المذكور، اذ به يحصل البلوغ حتى لاضعف الناس عقلا من الرجال. و لا ريب أن لكل أخير أوّلا و وسطا فيصحّ معه قبول بلوغ إنسان لم يبلغ سنّ الخامسة عشر.

و قد كان لأمير المؤمنين من العمر حين آمن بالاسلام ثلاث عشرة سنة و هو ما يعتبر اوّل مراتب البلوغ.

أو يقول: «أنا أوّل من صلّى مع رسول اللّه»، الاستيعاب ج ۲ ص ۴۵۸، و فى موضع ثالث يقول أيضا:

«اسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين» الرياض النضرة ج ۲ ص ۱۵۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۰

و يستمر الإسكافىّ فى حديثه فينقل رواية عن أهل السنّة مفادها: أنّ عليّا عليه السّلام سأل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ما رآه يصلى ما ذا يفعل؟ فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

هذا دين اللّه يا علىّ.

ثم عرض عليه الاسلام فقال له علىّ بن ابى طالب عليه السّلام: انظرنى حتى اتفكّر فيه ليلة» ثم يقول الاسكافى: «و بعيد عن طفل مثل هذا الجواب» «۱».

و توجد اقوال متضاربة فى السنّ التى آمن معها علىّ عليه السّلام حيث أن المنقول إيمانه ما بين ۸ سنين و ۱۶ سنة. و الذى يبدو من عبارة الاسكافى المتقدمة أنّ الامام عليه السّلام اعتنق الاسلام و عمره ۱۲ سنة «۲».

غير أنه يبدو لى أنّ الزيادة و الانقاص فى عمر الامام عليه السّلام رغم ما يعتريه من عدم الاطلاع الدقيق بذلك، له دوافعه الخاصة التى منها اظهار الامام طفلا غير بالغ عند إيمانه إما بدافع التقليل من شأن هذا الأمر، أو لاثبات أنّ الامام لم يكن له عهد بالجاهلية (و ان كان عمره عند إيمانه بالاسلام ۱۳ سنة) و عكس هذا يأتى بالنسبة الى فرض الزيادة فى عمره.

و اذا كنّا من القائلين بالاخذ باوسط الامور فانّ علينا أن نقبل بقول الاسكافىّ أى أن نقبل بأنه كان لعلىّ عليه السّلام حين اسلامه ثلاث عشرة سنة. خصوصا و أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اوكل إليه امر اعداد الطعام فى واقعة الانذار «۳». فلا بدّ أن يكون علىّ فى ذلك الوقت- بعد ثلاث سنين من البعثة الشريفة- فى سنّ يتوقع منه

---

(۱) المعيار و الموازنة، ص ۶۷ و ما بعدها، طبع بيروت تحقيق المحمودى.

(۲) راجع كتاب: ترجمة الامام علىّ بن ابى طالب من تاريخ دمشق ج ۱ ص ۴۱- ۴۶.

(۳) هى حادثة الدعوة التى دعا فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عشيرته و اهل قرابته الى منزله و دعاهم الى الاسلام إشارة الى الآية الكريمة: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۱

صدور مثل هذا العمل منه.

صحبة علىّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

يمكن تقسيم حياة الامام الى مراحل عدّة:

«المرحلة الاولى:» و تبدأ من زمان النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تستمرّ الى حين وفاته.

فخلال هذه المدّة الطويلة لم ير عليّ عليه السّلام بعيدا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الّا نادرا، و ما من امر حدث الّا كان لعليّ فيه معلم و اثر. و اذا شئنا أن نقوم بتحليل واقعيّ عن علاقة الاخوّة التى اوجدها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بينه و بين عليّ عليه السّلام فى السنين المتأخرة لكان علينا ان نعتبرها آية على صداقة و صحبة طويلة بينهما- كأخوين- تمتدّ الى جميع مراحل الحياة.

و قد عبّر الامام عن هذه الصحبة بعبارات مختلفة و ضمّنها قالب تشبيهات جميلة. و انعكست آثار هذه الصحبة و تمثّلت بانتقال علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عمله إليه و تجلّى كمالاته فيه، قال عليّ عليه السّلام:

«و لقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمّه» «۱».

و كانت نتيجة هذا الارتباط الوثيق بين الرجلين ما كان من قوله:

«إنى لم اردّ على اللّه و لا رسوله ساعة قطّ» «۲».

و قد منح هذا القرب الذى بينهما الفرصة للامام عليه السّلام لينهل من بحر علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى لا يقف عند حدّ كما قال هو عن ذلك:

---

(۱) نهج البلاغة الخطبة ۱۹۰.

(۲) الخطبة ۱۹۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۲

«و كان لا يمرّ بى من ذلك شىء الّا سألته عنه و حفظته» «۱».

و طبيعيّ انّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اذا كان مدينة العلم فإنّ عليّا يجب أنّ يكون بابها لانه الوحيد الذى كان على اتصال مباشر بهذا البحر من العلم.

و قد اختاره النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخا له لتزداد هذه العلاقة وثوقا و متانة و قال فى ذلك: «علىّ منّى» و قال جبرئيل: «و أنا منكما» «۲» و لمّا راى الناس ما لعليّ من المنزلة فقد جعلوه واسطتهم عند النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جعلوا يقدّمون اسئلتهم الى رسول اللّه من خلاله «۳».

يقول ابو سعيد الخدرى فى وصف هذه العلاقة: «كانت لعليّ درجة لم تكن لاحد من الناس» «۴».

و عند ما يسأل الامام لما ذا تروى من حديث النبى اكثر مما يرويه سائر الصحابة فيجيب: «لانّى كنت اذا سألته انبأنى، و اذا سكتّ ابتدأنى» «۵».

و من جملة الادلة التى تؤكّد وجود هكذا علاقة لعليّ بالنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و آثارها البارزة فى علم الامام معرفته بشأن نزول الآيات القرآنية و تفسيره الدقيق لها. قال على عليه السّلام: «و اللّه ما نزلت آية الّا و قد علمت فيما نزلت و أين نزلت» «۶».

و كان الامام خلال الفترة التى كان فيها النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مشغولا بالدعوة الى

---

(۱) الخطبة ۲۰۸ من نهج البلاغة.

(۲) حياة الصحابة ج ۱ ص ۵۵۹.

(۳) التراتيب الادارية ج ۱ ص ۵۸- ۵۹.

(۴) انساب الاشراف ج ۱ ص ۹۸ تحقيق المحمودى، مصنف عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۱۴۱.

(۵) نفس المصدر السابق ج ۱ ص ۹۸.

(۶) نفس المصدر السابق ج ۱ ص ۹۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۳

الاسلام و التبليغ يعد نفسه للدفاع و التضحية من اجله.

و عند ما بلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأمر باعلان دعوته، و اراد ان يدعو قرابته كان عليّ عليه السّلام نعم العون له، يهيئ الاستعدادات اللازمة للمجلس و يبدى بين القوم وفاءه و اخلاصه.

و حين كان بعض الافراد امثال ابى ذر تائهين فى مكّة بحثا عن بيت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان عليّ عليه السّلام الفتى الشجاع يأخذهم الى منزله سرّا مراعيا رغم ذلك اساليب العمل السرى الدقيقة.

و عند ما قاطعت قريش النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اقتصاديا و اجتماعيا و حاصرته فى شعب ابى طالب كان عليّ من جملة من كانوا يتحمّلون الصعاب و يسلكون الطرق الوعرة لتوفير الموادّ الغذائية للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سائر الصحابة «۱».

و حين كان رسول اللّه يتّجه صوب الطائف و المناطق الواقعة اطراف مكّة ليعمل بواجبه فى تبليغ الرسالة الالهية كان عليّ هو الذى يرافقه لكيلا يبقى النبيّ وحيدا و ليعينه عند تعرضه للمشكلات.

و حين عزم المشركون- الذين وقعوا تحت ضغط دعوة الرسول و تبليغه و رأوا فى استمرارها زوال سلطتهم- على قتله كان ناصر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المضحى معه يعدّان خطة لمواجهة هذه المؤامرة تحتاج الى تضحية و فداء، و كان فى قلب عليّ عليه السّلام من الحبّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما جعله يرضى من صميم قلبه أن يعرّض نفسه الى خطر الموت لينجو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الخطر الذى يتهدّده.

---

(۱) المعيار و الموازنة ص ۸۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۴

و بعد ما هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الى المدينة بايام كان عليّ عليه السّلام اقرب الناس إليه يتولى مسئولية حمل عائلة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى كانت عرضة لتهديد المشركين الى المدينة إضافة الى مسئولية ردّ امانات الناس (التى كانت عند النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الى اهلها). و قد لبث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مترقّبا على مقربة من يثرب حتى يعود اخوه على عليه السّلام من السفر ليدخل المدينة معه.

و قد ازدادت هذه العلاقات قوّة و استحكاما بزواج عليّ من فاطمة الزهراء عليها السّلام بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كانت ثمرة الزواج المبارك اولادا كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يحبّهم اعظم الحبّ و يسمّيهم ابناءه «۱» و لم يكن ذلك لاجل فاطمة عليها السّلام وحدها بل لاجل عليّ عليه السّلام أيضا. لأن النبيّ كان يعتبر نفسه و عليا من شجرة و باقى الناس من اشجار أخر.

و قد سئلت عائشة عن احبّ الناس الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت: «امّا من الرجال فعليّ و امّا من النساء ففاطمة» «۲».

و كان بيت عليّ عليه السّلام من القرب الى بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما جعل عبد اللّه بن عمر يعتبر ذلك شاهدا على العلاقة الوطيدة بينه و بين النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۳» تلك العلاقة التى كان زيد بن ثابت يقبلها رغم كل المعارضة التى كان يبديها لعليّ «۴».

و اما عن اشتراك الامام فى الحروب فى صدر الاسلام فقد قيل فى ذلك الكثير فبدر و أحد و الخندق ثم معركة حنين كلّها ملاحم رائعة سطّر فيها الامام

(۱) و هو ما انكره فيما بعد بنو أميّة و بنو العباس- راجع كتاب الحياة السياسية للامام الحسن عليه السّلام.

(۲) تاريخ جرجان ص ۲۱۸، ربيع الابرار ج ۱ ص ۸۲۱.

(۳) انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۸۱- ۱۸۲.

(۴) مصنف عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۱۴۱، فتوح ابن اعثم ج ۲ ص ۱۶۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۵

تضحياته و بطولاته فان نصف قتلى بدر لقوا حتفهم على يديه.

و حينما فرّ اكثر المسلمين من ساحة المعركة فى أحد، ظل هو و عدد قليل منهم الى جوار رسول اللّه يدافع عنه و عن الاسلام. و فى معركة الخندق كان على قد ادّخر من الأجر بقتله عمرو بن عبد ودّ ما يعدل عبادة الثقلين و كان فى اكثر المعارك و الحروب حاملا لواء جيش الاسلام «۱».

إن من يعرف حياة علىّ عليه السّلام و قربه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يفهم كم بذل من الجهود و تحمّل من المشاق من اجل استقرار الاسلام و انتشاره. اجل لقد كان هو و ابوه ابو طالب و اخوه جعفر اكثر الناس عزما و سعيا من اجل الحفاظ على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الاسلام «۲».

و كانت لعلىّ من الشجاعة فى الحروب ما جعل بعض العرب يقولون: «كنا كلما هجمت طائفة فيها علىّ عليه السّلام اوصى احدنا الآخر» «۳».

و كان احمد بن حنبل اذا اراد أن يصف عليّا يقول: «ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالاسانيد الصحاح مثل ما لعلىّ رضى اللّه عنه» «۴».

كما كان اذا دار الحديث فى مجلسه- و هو احد ائمة المذاهب الاربعة- عن على و الخلفاء الثلاثة قال: «إنّ ابن ابى طالب لا يقاس به احد» «۵».

(۱) حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۱۴، ۵۱۵، انساب الاشراف ج ۲ ص ۹۱، ۹۴.

(۲) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ۷ ص ۱۷۴.

(۳) ربيع الابرار ج ۳ ص ۳۱۹.

(۴) مناقب احمد بن حنبل لابن الجوزى ص ۱۶۲- ۱۶۳، ابن ابى يعلى، طبقات الحنابلة ج ۱ ص ۳۱۹.

(۵) نفس المصدر السابق ص ۱۶۰- ۱۶۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۶

و لا بأس أن ننقل هنا احدى فضائل الامام بتفسير امام الحنابلة فقد روى محمّد بن منصور الطوسى قال: «كنّا عند احمد بن حنبل فسأله شخص: ما ذا تقول فى الحديث المروىّ عن علىّ عليه السّلام انّه قال: انا قسيم النار».

فقال احمد: و لما ذا تنكرونه اما روينا ان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لعلىّ عليه السّلام: «لا يحبّك الّا مؤمن و لا يبغضك الّا منافق»؟ فقلنا: بلى. فقال: فاين يكون المؤمن؟ قلنا: فى الجنّة. قال: فالمنافق؟ قلنا: فى النار، قال: فعلىّ قسيم النار» «۱».

و قد منع بنو أميّة من نقل اغلب هذه الفضائل فيما بعد و لم يكن يجرأ على نقلها الّا عدّة معدودة. و كان عبد العزيز ابو (عمر بن عبد العزيز) الذى كان احد خلفاء بنى أميّة يقول لولده: «لو علم هؤلاء الحمير ما نعلمه عن علىّ ما تبعنا اثنان» «۲».

سياسة الامام

اشارة

اذا التفتنا الى طبيعة العلاقات التى كانت تربط امير المؤمنين برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الدور المشرّف الذى كان الامام يقوم به لنشر الاسلام منذ اوائل ايامه و الى زمان رحيل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المعبّر عن الايثار و التضحية من اجل الاسلام فسوف نفهم انّ الامام كان من الشخصيات العظيمة و اصحاب النفوذ فى زمان حياة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و رغم هذه المكانة الخاصّة التى كان الامام يتمتع بها تمكّن الآخرون- الذين لم تكن لهم هذه المكانة بأدلة ستتضح فى حينها- ان يقيّدوا حركة

---

(۱) طبقات الحنابلة لابن ابى يعلى ج ۱ ص ۳۲۰، حديث لا يحبّك الّا مؤمن، من الاحاديث المتواترة فى فضل امير المؤمنين عليه السّلام راجع كتاب ربيع الابرار ج ۱ ص ۴۸۸.

(۲) ربيع الأبرار للزمخشرى ج ۱ ص ۴۹۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۷

الامام و يستولوا على السلطة بتنفيذ بعض الحيل السياسية الخاصة، و كان من أهمّ ما عملوه فى هذه الفترة محو المكانة المتميّزة و الفريدة التى كانت لعلىّ عليه السّلام من المجتمع الاسلامى، لذا راحوا يسعون و بما كان فى ايديهم من امكانات الى تضعيف شخصية علىّ عليه السّلام، و تمكنوا من فرض العزلة عليه و هذا الامر اعلنه الامام و غيره بصراحة و وضوح «۱».

و كان الامام الذى يرى حقّه ضاع منه قد قام معترضا فى بداية الامر لكنّه حين رأى المخالفات ثارت من اطراف و انحاء الجزيرة العربية كفّ عن المعارضة من اجل حفظ الاسلام. و ان كان يبدى بين الحين و الآخر احقيته فى الخلافة «۲».

و كان اذا استشاره الخلفاء فى أمر او رجعوا إليه فى قضاء يسدى نصائحه إن رأى فى ذلك فائدة. و ان كان فى بعض الموارد الاخرى يأبى ذلك لعلمه بعدم المصلحة فى الامر. و كان عليه فى مثل هذه الحالات أن يواجه سيلا من التهم و الانتقادات «۳»، و لذا تعرضت علاقاته بالخليفة الثالث لحالات من التشنّج لان الامام كان فى كثير من فتاوى الخليفة يبدى آراء مخالفة «۴».

خلافته

و بمرور الزمان و تفاقم المشكلات و الحوادث و عجز الخليفة و مساعديه السياسيين و العلماء عن حلّها راح الخلفاء يمدّون ايديهم الى الامام طلبا فى

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ۹ ص ۲۸، ۲۹، ج ۲۰ ص ۲۹۹، و الجمل للشيخ المفيد ص ۹۲.

(۲) الغارات ج ۱ ص ۳۰۷.

(۳) مسند احمد بن حنبل ج ۱ ص ۱۰۰.

(۴) مسند احمد بن حنبل ج ۱ ص ۱۰۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۸

المساعدة، و كان هذا سببا فى لفت الانظار الى مكانته العلمية فى المجتمع الاسلامى و جعل الناس. ينظرون إليه على انه خزانة علوم الاسلام و اسراره المنقذة. و من وجهة النظر السياسية فانّ هناك عددا من الواعين ممن كانوا يعتقدون أن السياسات الجارية لا تصبّ

فی مصالح الاسلام اختاروه ليكون مرشّحا للخلافة اضافة الى أن عددا من الشيعة الذين كانوا يرون الارضية مناسبة، قد ضاعفوا من نشاطهم للكشف عن وجه الامام الناصع و راحوا يبذلون جهودا حثيثة و مساعى سياسية متواصلة ليتولّى الامام الحكم، كما أن سائر طبقات الشعب أيضا اعرضوا عن الخليفة الثالث لأنهم كانوا يرون مسيرة الحكم لا تتفق مع آمالهم و اهدافهم من وجهة النظر الدينية و السياسية لذا فانهم أظهروا الحبّ و البيعة و الولاء لامير المؤمنين. و قد ادّت هذه العوامل جميعا الى أن يهجم الناس بعد عثمان على بيت على عليه السّلام ليجلسوه على كرسى الخلافة، و هذه هى المرة الاولى التى يبايع الناس فيها شخصا ثم يتولّى امور الخلافة بصورة رسمية خلافا للمرات السابقة التى كان ينصب فيها الخلفاء اوّلا ثم يدعى الناس لمبايعتهم.

المبادئ و الاصول السياسية للإمام طيلة حكمه

اشارة

انّ من اهم ثمرات حكومة الامام امير المؤمنين- التى دامت خمس سنوات فقط- اتخاذه سياسات كان الامام يهدف من خلالها الى تنظيم امور البلاد و تطبيق الوقائع الاجتماعية المهمة عليها، تلك السياسات الاسلامية التى بنيت على اساس من التعاليم الدينية و القيم الانسانية العامّة، و لم يكن الامام مستعدا للعدول ذرّة عنها. نذكر فيما يلى باختصار نماذج منها:

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۹

الف: اصلاح نظام الحكم و تقديمه على الفتوحات:

ان من احدى المبادئ السياسية عند الامام بنحو قابل لأن يعطى انطباعا عاما لجميع مساعى الامام عليه السّلام فى ايام حكومته هى مبادرته لاصلاح الفساد السياسى المتفشى بين المسلمين، و تقديمه على الفتوحات الاسلامية و توسعة المناطق التابعة للدولة الاسلامية. فقد كان الإمام يفضّل أن تبقى الدولة الاسلامية منحصرة ضمن مساحة جغرافية محدودة و لا يسود فى داخلها الفساد السياسى و انما يتولّى مسئولية الحكم على الناس فيها عناصر لا شك فى صلاحيتهم الدينية و السياسية، و لذا فانّ الامام حين عرض عليه جماعة أن يصبر على معاوية و امثاله رفض ذلك و قال: «ما وجدت الّا قتال القوم او الكفر بما جاء به محمّد» «۱».

و قال أيضا: «لم يكن اللّه يرانى اتّخذ المضلّين عضدا» «۲».

و لهذا السبب كفّ يده طيلة مدّة امامته عن الاستمرار فى الفتوحات و حاول تنفيذ سياساته، فعند ما خالفه اشخاص مثل الناكثين هاجر الى العراق، و حصل على عون الكوفيين «۳» و اسرع لقتالهم و تمكّن فى الحرب التى نشبت من قتل قادة الناكثين، و القضاء على حركة راكبة الجمل التى قادت المعركة. و كان الامام يرى نفسه موظّفا لمقاتلة العناصر الداخلية المخلّة بالامن و النظام و كان يقول: «أمرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين» «۴».

و ما كان يصبر على معاوية و لم يرض ان يكون حاكما على الشام و لو

---

(۱) الانساب ج ۱ ص ۲۳۶ المحمودى، المعيار و الموازنة ص ۱۳۶، ۵۴، و كتاب الفتوح ج ۲ ص ۲۶۶.

(۲) وقعة صفين ص ۵۲، الطبرى ج ۳ ص ۴۶۰.

(۳) اذ إن الاموال و الرجال بالعراق، الاخبار الطوال ص ۱۵۳، الفتوح ج ۲ ص ۲۶۸.

(۴) الانساب ج ۱ ص ۱۳۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۰

لساعة واحدة. فلذا بذل قصارى جهده لازالة هذه العقبة عن طريق الاسلام، و هو و إن وفّق الى حدّ كبير فى ذلك لكن الضعف الذى ابداه اهل العراق، و اغترارهم بالشعارات الكاذبة التى اطلقها معاوية افقد الامام القدرة على ازالته.

و طبيعى أن تكون نتيجة هذا الضعف الفكرىّ الذى اوصل القدرة القتالية لجيش الكوفة الى درجة الصفر هو تسلط معاوية على العراق بعد استشهاده. لكنّ سنّة الامام فى الحرب مع القاسطين و الظالمين صارت اصلا دينيّا مسلّما عند جميع المسلمين و اسّست قاعدة فى الاحكام الشرعية فيما يخص حرب البغاة.

و فى قتاله المارقين «۱» عند ما وجد الامام ان جماعة قد خدعتهم التأويلات الخاطئة للآيات القرآنية و انهم سيجرون المجتمع الاسلامى نحو الفساد اقدم لتفريق جمعهم فحطّم قدرتهم العسكرية. و إن ساعد الحكم الجائر لبنى اميّة فيما بعد على انتشار افكار الخوارج المنحرفة مرة اخرى و اتسعت دائرة عملهم السياسى لكنهم لم يقووا على الوقوف بوجه على عليه السّلام فقد قمعوا و دمّروا على يديه.

و كان الامام يسير بسيرته هذه فى جماعة من المسلمين ابتلوا بانحراف فى الدين و وقعوا- عن علم و غير علم- فى حبائل الشيطان و صاروا منافقين، يقول الامام فى هذا الصدد:

«و لكنّا إنمّا اصبحنا نقاتل اخواننا فى الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ و الاعوجاج و الشبهة و التأويل» «۲».

لكنّه كان يعتبر الحرب واجبا لاصلاح العناصر المفسدة بين المسلمين التى

---

(۱) مرق عن الدين اى خرج عنه.

(۲) الخطبة ۱۲۰ وفقا لتصنيف نهج البلاغة ص ۵۰۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۱

تريد انتهاز الفرصة للاستيلاء على الحكم و يقول:

«فانّ رأيى قتال المحلّين حتى القى اللّه، لا يزيدنى كثرة الناس حولى عزة، و لا تفرّقهم عنى وحشة» «۱».

طبيعىّ انه لو كان التصالح مع المعارضين ممكنا و اعلنوا فروض الطاعة للامام و توجيهاته ما خاض الامام حربا ضدهم لكنهم اوجدوا ظروفا لم يكن لدى الامام معها خيار سوى الحرب فقد روى طارق بن شهاب عن الامام قوله:

«و اللّه ما وجدت من القتال بدّا» «۲».

ب- الاستفادة من الاسس الاسلامية و الاخلاقية فى اصلاح الانحرافات:

و كان من جملة السياسات الاصولية للامام انه لم يكن يعتمد على الطرق و الاساليب غير الشرعية فى سياسته. و قد اقترح عليه مرارا ان يوقّر شرفاء القوم ليأمن خطر مخالفتهم و يستمدّ العون منهم لكنّ الامام كان يأبى ذلك «۳». إذ لو كان يريد أن يفعل ذلك لسالم معاوية لكنه كان يردّد هذه الجملة دائما و يعتبرها اصلا مهمّا فى حكمه حيث يقول: «أ تأمرونى أن أطلب النصر بالجور؟» «۴».

لقد كان دأب علىّ عليه السّلام على شرح سياساته للناس لذا فانّه كان يبيّن الخطوط العامّة لسياسته فى خطبه المفصّلة التى كان يلقيها فى الناس طيلة مدّة خلافته. و كان يحاول بذلك أن يكون اقدام الناس عن وعى و اختيار. و كان كلما

(۱) الخطبة ۲۷۵ وفقا لتصنيف نهج البلاغة ص ۳۸۸.

(۲) التاريخ الكبير للبخارى ج ۲ ص ۶۷.

(۳) الغارات ج ۱ ص ۴۵.

(۴) الغارات ج ۱ ص ۶۷۵، بهج الصباغة ج ۱۲ ص ۱۹۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۲

خالفوه فى امر سعى لتوضيحه لهم. فاذا وجدهم لم يقبلوه لم يفرض عليهم مراده و يقول: «ليس لى أن احملكم على ما تكرهون» «۱».

و فى مقام آخر قال بعد أن ذكر محاولاته لاصلاح الامر من طرق مختلفة:

«لا يصلحكم الّا السيف و هيهات ان يكون صلاحكم بفسادى» «۲».

لقد كان الامام ملتزما بهذه الضابطة. و لذا فإنّه حين رأى نفسه بين اصلاح الناس و إفساد نفسه باعتباره قائدا صمّم على ترك الاستفادة من الاساليب الجائرة لاصلاح الناس كيلا يفقد صلاحه. فهو لم يكن يريد أن يستعمل الحيلة و المكر لتحقيق اغراضه السياسية و بذلك يقوّى موقعيّته بين الناس فقد كتب فخرى يقول: «و لم يكن الخدع و الحيل من مذهب علىّ».

لكنّ معاوية لم يكن كذلك، و لذلك اتّهم الامام بضعف الرؤية السياسية و عرف معاوية بقوّتها عنده. و قد قال الامام فى الاشارة الى ذلك:

«و اللّه ما معاوية بادهى منّى لكنّه يغدر و يفجر، و لو لا كراهيّة الغدر لكنت من ادهى الناس» «۳».

و لهذا السبب كان ابن عبّاس يقول: «ما رأيت رئيسا يوزن بعلىّ» «۴».

ج- جميع الجهود لحفظ الاسلام:

انّ من جملة المبادئ السياسية عند الامام سعيه لحفظ الاسلام فاذا اقدم

---

(۱) نهج البلاغة الخطبة ۲۰۸.

(۲) الارشاد ص ۱۳۴ طبع المطبعة الاسلامية.

(۳) الخطبة ۱۹۸ وفقا لتصنيف نهج البلاغة ص ۳۷۹، المعيار و الموازنة ص ۲۶۶، الغارات ج ۱ ص ۲۹۶.

(۴) عيون الاخبار ج ۱ ص ۱۱۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۳

على امر معيّن فانّه يقدم عليه باعتباره مقدّمة لبقاء الاسلام، فحين وقعت حادثة السقيفة كان الامام يشهد ضياع حقّه، لكنّه اختار السكوت لكيلا يتزعزع ايمان سكّان جزيرة العرب الحديث، و يصاب الاسلام العزيز بالضرر، فقد كتب فى رسالته الى محمّد بن ابى بكر يقول:

«فخشيت إن لم انصر الاسلام و اهله أن أرى فيه ثلما او هدما تكون المصيبة به علىّ اعظم من فوت ولايتكم التى إنّما هى متاع أيام قلائل ...» «۱».

هذا فى الوقت الذى لم يمتنع الامام ابدا عن اعلان احقّيته بالخلافة وحده «۲» و كان كثيرا ما يعدّد فضائل اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لينبه الناس على تقدّمهم على غيرهم. و فى نهج البلاغة عبارات و كلمات له فى هذا الصدد تصرّح بذلك بوضوح. هذا مضافا الى مساعى الامام الاخرى لتثبيت اسس امامته الالهية بالطرق و الاساليب المختلفة «۳».

مصير السياسة فى حكومة امير المؤمنين عليه السّلام

لقد كان طيلة مدّة حكومة امير المؤمنين تناقض اساسىّ بين جهاز القيادة السالم الصحيح و بين ما اعتاد عليه الناس و عملوا به.

فمن جهة كان الامام يريد أن يصلح امر المجتمع وفقا للمعايير الشرعية و يحكّم الضوابط الدينية فى العلاقات الاجتماعية بين الناس، و يلزم من ذلك أن يستخدم لهذا الغرض اسلوبه الاسلامى و الاخلاقى الخاص، بأن لا يقدم على امر

---

(۱) الغارات ج ۱ ص ۳۰۷، انساب الاشراف ج ۱ ص ۲۸۱ تحقيق المحمودى، و نهج البلاغة الكتاب ۸۱.

(۲) راجع كتاب نهج البلاغة ص ۴۱۹ الى ۴۲۲، ۴۲۶، ۴۲۷. انساب الاشراف ص ۱۷۷.

(۳) راجع كتاب تاريخ الاسلام السياسى حتى العام ۴۰ الهجرى ص ۴۳۰ الى ۴۳۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۴

خارج عن حدود الدين- كما ذكر- للوصول الى اهدافه.

و من جهة اخرى فانّ الناس خلال سنين طويلة جعلوا لهم معايير أخرى تكوّنت فى ظلّ مجتمع مرفّه متجه الى احياء القيم الجاهلية و كان تطبيق هذه المعايير معلولا لامرين:

۱- استمرار الفتوحات و زيادة الغنائم.

۲- عدم اعتناء الحكّام بتربية الناس تربية اصيلة.

و خلاصة الامر أن الناس كانوا يريدون شيئا، و الامام يريد شيئا آخر، و هو ما جعل تناقضا بين الارادتين. لذا لم يكن إصلاحهم بغير السيف ممكنا، و لم يكن لعلىّ أن يسوقهم الى الاسلام بغيره فما ذا يتوقع لسياسة كهذه من مصير؟

لقد سعى الامام أن يدلّ الناس على الطريق، و ينزلهم عند حكم العقل، و يرشدهم بإيضاح اسس التقوى الى الهدف المقدس الذى ابتعدوا عنه. لكن نشوب الحروب الداخلية زاد من وطأة الضغط الذى يعانى منه الناس اذ انّ هذه الضغوط ليست لا تتلاءم مع نفسية ذلك المجتمع الميّالة نحو الرخاء فحسب، و انما تنافيها أيضا، لانّ المعارك التى كان الناس يخوضونها ضد المشركين كانت تعود عليهم بالغنائم.

و امّا الحروب الداخلية التى خاضها علىّ ضد الناكثين و القاسطين و المارقين فلا تعود عليهم بشىء و هو ما جعل الناس بل كثيرا من الراغبين ظاهرا فى تطبيق الاسلام عاجزين عن الوفاء بتعهّداتهم، فعدلوا عن مواضعهم و اعلنوا مخالفتهم، و تركوا عليّا عليه السّلام وحده، و لم يثبت معه الّا من كان يعرفه و يعرف طريقه معرفة حقّة.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۵

و كان الامام امير المؤمنين عليه السّلام يتوقّع مثل هذا اليوم و لذا كان فى أوّل الامر يأبى أن ينصاع لطلب الناس، و يرفض قبول حكومتهم، لأنه يعلم انهم لا يثبتون على تنفيذ سياساته و اجراء برامجه، اذ كان يقول:

«دعونى و التمسوا غيرى فإنّا مستقبلون امرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول» «۱».

لكنّه قال فى آخر الامر جملة تؤكّد تحقق توقّعه السابق و تثبت صحة رأيه الأول بعد أن اختبر الناس رأيه حيث قال: «اعلموا أنه قد وقع الامر الذى كنت احذركم إيّاه، و أنّ الفتنة كالنار كلّما اسعرت ازدادت، و إنّما سأمسك هذا الأمر ما أتمسّك فاذا لم اجد بدّا فآخر الدواء الكىّ» «۲».

و كانت عاقبة هذا الحكم على خلاف السنن الجارية فى المجتمعات البشريّة حيث صار الحاكم مظلوما و الرعية ظلمة بدلا من أن يكون هو الظالم و هى المظلومة كما هو المتعارف، و غدا الناس امراء له بدلا من أن يكون هو اميرهم.

و واضح ما ذا يكون عليه مصير حكومة كهذه. قال على عليه السّلام:

«لقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها، و اصبحت أخاف ظلم رعيّتى» «۳».

و قد ازدادت حركة الامّة و خروجها من الطاعة الى عدم الطاعة خلال الحروب الداخلية الثلاث شيئا فشيئا. فقد بلغ اقبال الناس و هجومهم عليه فى أول الامر حدّا كاد ان يسحق معه ابناه و يهلكا تحت ضغط الجمع الحاشد حتى

---

(۱) نهج البلاغة، لصبحى الصالح ص ۱۳۶.

(۲) الفتوح لابن اعثم ج ۲ ص ۲۷۲.

(۳) الخطبة ۹۵ من نهج البلاغة، وفقا لتصنيف نهج البلاغة ص ۳۸۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۶

اضطر فى نهاية المطاف و اثر المزيد من الاصرار أن يقبل الخلافة معلّلا ذلك بقوله عليه السّلام:

«و لكنّى آسى أن يلى امر هذه الامّة سفهاؤها و فجّارها فيتخذوا مال اللّه دولا و عباده خولا و الصالحين حربا و الفاسقين حزبا» «۱».

و لكن لمّا كان أوّل الناس بيعة له قد اعلن مخالفته قبل غيره و الامر ما زال فى أوّله، فان من الطبيعى أن يلحق به آخرون و يزداد عدد مخالفيه بالتدريج، فقد انقاد الناس فى حرب الجمل للامام، و اطاعوا امره و ان عصاه فى الكوفة ابو موسى الاشعرى و دعا الناس الى القعود، فقعد عن القتال معه بعض ظانا انه بذلك حفظ دينه لكنّه لم ينصر الحقّ طبعا و لذلك نرى الامام يصفهم بدقة بهذا الوصف فيقول:

«خذلوا الحقّ و لم ينصروا الباطل» «۲».

و رغم انّ الناس فى حرب صفين كانوا على اطمئنان كامل بصحّة مسيرهم فى أول الأمر لكنّ ضغط الحرب اضعف عقيدتهم، و لان من عزمهم، و ادّى بهم الى التراجع عن التزاماتهم و تعهّداتهم السابقة و سحقها، عند ما رجّحوا قول معاوية على قول علىّ و اعتبروا معاوية مع القرآن و عاملا به دون علىّ.

و فى المرحلة اللاحقة شكّل المخالفون للامام علىّ عليه السّلام صفّا أمامه حيث أنهم إذا كانوا يرفضون قتال معاوية معه فى صفين، فقد خرجوا عليه هذه المرّة ليخرجوا بذلك عن الدين.

و قد قصرت يد الامام فى الأيام الأخيرة عن القيام باى عمل و عجز حتى

---

(۱) الكتاب ۶۱ من نهج البلاغة.

(۲) تصنيف نهج البلاغة ص ۵۷۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۷

عن الدفاع ازاء الهجمات التى كان معاوية يشنّها على المناطق الخاضعة لحكومته، كما ضعف ايمان الناس أيضا حتى لم يعودوا مستعدين لسماع كلام الامام، بل كانوا يرون انفسهم عاجزين عن الدفاع عن بلاد العراق تحت ضغوط هجمات معاوية.

اما الخوارج هؤلاء المتعصبون الجهلة، فقد كان فهمهم للدين يتّسم بالجمود فلم يكونوا يعرفون الدين و لا يفهمون للمتديّن معنى، و هو ما أدى بهم فى نهاية المطاف الى أن يرتكبوا تلك الجريمة البشعة باراقتهم لدم علىّ هذا المثال الانسانى الكامل الذى ستبقى البشرية عاجزة عن الاتيان بمثله، و بذلك كانت الخاتمة للحياة السياسية لامير المؤمنين.

ان مثل هذه النتيجة- و كما توقّعها الامام- كانت هى المآل الطبيعى لمجتمع خرج عن مساره الاوّل، واضحى اشبه ما يكون ببناء دعائمه منهارة و جدرانه متزلزلة بحيث ان المكث فيه يعد بحكم الانتحار. و رغم ان الامام لم يكن قادرا على التخلى عن الساحة عند

هجوم الناس على داره لأن ذلك كان بمثابة الاهمال لارادة الناس و عدم الاهتمام بمطاليبهم، الّا أنه فعل ذلك من اجل أن تبقى تلك التجربة، و ليكون من جانب آخر قد ادى واجبه و مسئوليته فى الامامة. و ان اصراره على عدم الاستجابة لارادة الناس هو اهم دليل لدينا على تكوين مثل هذه الرؤية بشأن حياة الامام فى الحكم.

لقد كانت حصيلة هذه الحكومة هى بلورة المبادئ الاسلامية للسياسة التى ينبغى أن تطبق على المجتمعات البشرية فى المستقبل و عند ما تتاح لها الفرصة المناسبة. و قد كانت فيها- بلا شك- تجارب و دروس ضرورية لتسير على ضوئها الاجيال القادمة و تنأى بنفسها عن حب الدنيا و تلتزم طريق الاستقامة و التقوى و تتمسك بتطبيق الاحكام الالهية. فالخطب البليغة فى وصفه للمفسدين الظالمين

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۸

و الخوارج و الناكثين و المارقين، و الكلمات القصار التى تنطوى كل واحدة على عالم واسع من المشاعر و الرؤى و تعتبر باجمعها ارثا ثقافيا و دينيا و سياسيا. و قد تكون هى اهم ثمرة انتجتها خلافة امير المؤمنين التى دامت مدة خمس سنوات.

تحرّك الامام لاحياء الدين

حينما بدأت الفتوحات فى اعقاب وفاة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، تركّزت مساعى الحكام آنذاك على السيطرة على اكبر مساحة ممكنة من الارض، و توسيع رقعة الدولة الاسلامية. و رغم الجهود التى بذلها المسلمون آنذاك فى سبيل مواجهة الكفر و الشرك، الّا انهم- و لاسباب عديدة- لم يتمكنوا و للأسف من التخلص من منحدر الانحرافات الدينية التى كانت شائعة آنذاك عن جهل أو عن قصد أحيانا. و لقد كانت هذه الانحرافات تتسع يوما بعد آخر، و تهجر سنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الى جانب كتاب اللّه، و يحل محلّها الرأى و البدعة التى اصطلح عليها بالبدعة الحسنة! و لقد بدأ اهتمام الناس يتضاءل بهذه المسألة من اجل الحصول على الغنائم و الوصول الى حالة الرفاه، و بدأت اصوات المعارضة ترتفع فقط، حينما شعروا ان الغنائم الحربية الهائلة توزّع على عائلة خليفة المسلمين عثمان فى غيابهم! و كان من بين الناس اشخاص و اعوان أيضا. و قد بدءوا بالتمرد للتخلص من الظلم و الاستبداد الذى لحقهم من ولاة الخليفة فى الولايات و الامصار المختلفة. و قد انضم اصحاب على عليه السّلام الى هذه الحركة أيضا من اجل تحقيق اهدافهم المتمثلة بتطبيق الاسلام الحقيقى.

و لمّا جلس امير المؤمنين على كرسى الامامة و الخلافة، تركّز جلّ اهتمامه- كما اشير الى ذلك فيما سبق- على اصلاح الفساد الداخلى. و لو صرفنا النظر عن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۹

الاصلاحات السياسية التى نتجت عنها الصراعات المشهورة فى عهد الامام عليه السّلام فإنّه عليه السّلام قد بدأ جهودا حثيثة أيضا فى مجال الاصلاحات الدينية.

و لقد كان من ابرز الانحرافات الدينية هو زوال الرؤية الدينية، و اضمحلال مشاعر التدين بين عامة الناس، الامر الذى ادى بهم الى السعى لا- من أجل تحقيق اهداف الدين المبين، بل لاجل الحصول على اكبر حصّة ممكنة من بيت المال، و تنظيم شكل و ماهية حياتهم ضمن هذا السياق أيضا.

و لقد صعد الامام من وتيرة خطبه العميقة الجامعة من اجل ازالة الدوافع غير الدينية و قد ركّز فى كلامه و خطبه البليغة المثيرة التى كان يلقيها فى صلاة الجمعة او الموارد الاخرى على التقوى، و يحثّ الناس على ضرورة عدم الانغماس فى الدنيا، و يحذّر طلاب الدنيا و يقرّعهم. و لو ان احدا اراد تدوين ثقافة التقوى لوجد أغنى مفاهيمها و كلماتها فى رحاب نهج البلاغة. صحيح ان النصيحة و الدعوة الى التقوى هى من المستلزمات المعروفة لكل خطبة و هى امر عادى أيضا، الا أن كل هذا التأكيد من قبل الامام عليها، و كل هذه الايضاحات التى اوردها بشأنها، انما يدل على أنه كان يهدف بطرحها الى اصلاح مجتمع ملوّث بالدوافع غير الدينية، و لا يحمل

شيئا من همّ الدين، بل همّه الاكبر اكتساب المال و جمع الغنائم و قبض اكبر سهم ممكن من بيت المال.

و بالاضافة الى التقوى، يشتمل نهج البلاغة على قضايا كثيرة، و ذات اهمية بالغة لفهم الدين، و تبيان الكثير من جوانبه، و الخطب التى تتناول معرفة اللّه على درجة كبيرة من السعة، و ذات عمق عقلى و علمى، و هى جميلة و جمالها يشكّل تلك الصورة الرائعة الجذّابة لنهج البلاغة.

و قد سعى الامام عليه السّلام فى شتّى الجوانب الدينية لاحياء القرآن و سنّة رسول

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۰

اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا جهاض السياسات الفكرية الخاصّة التى ادّت الى ظهور البدع و اندثار السنن الالهية. فحينما قلّ التذاكر بالحديث امر الامام بتذاكره و نقله، و لما كان الآخرون يمنعون من تدوين الحديث لأسباب واهية، كان الامام ينادى من على المنبر: «من يشترى علما بدرهم» «۱». فاشترى حارث الاعور رقعة و كتب عليها؛ قال الامام: «يا أهل الكوفة غلبكم نصف رجل» «۲».

و كذلك كان الحسن بن على يوصى ابناءه بكتابة الحديث حتى و ان مزّق الآخرون ما كانوا قد كتبوه.

و سنشير الى هذه القصة المأساوية فى مكان آخر من الكتاب «۳».

و لهذه الأسباب أيضا تم تناقل الحديث الحقيقى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- الذى كان على لسان اهل البيت- بصورة مكتوبة، و بهذه الشاكلة بقيت احاديث الشيعة فى مأمن من التحريف الذى طال احاديث اهل السنة. و حينما تغلغلت ثقافة اهل الكتاب الى المجتمع الاسلامى فى قالب الاسرائيليات و اتبع البعض اساليب خاصّة فى نشرها و الترويج لها، ابرز الامام معارضته الصريحة و راح يحذّر الناس من اتباع ثقافة و تراث اهل الكتاب «۴».

كان الامام يشير الى هذه الانحرافات بصراحة، و يرى فى المجتمع الذى عاصره تجربة عصر الجاهلية تتكرر فيه من جديد.

---

(۱) التراتيب الادارية ج ۲ ص ۲۲.

(۲) تقييد العلم ص ۹۰، ربيع الابرار ج ۳ ص ۲۲۶.

(۳) نشرية نور العلم، الاعداد ۹، ۱۱، ۱۲ من الدورة الثانية.

(۴) التراتيب الادارية، ج ۱ ص ۷۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۱

«ألا و ان بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث اللّه نبيّه» «۱».

و قال أيضا فى موضع آخر: «اعلموا انكم بعد أن هاجرتم عدتم الى روحيتكم البدوية، و بعد أن عقدتم اواصر الولاية بينكم اتبعتم سبيل الفرقة ..

ما تتعلقون من الاسلام الّا باسمه، و ما تعرفون من الاسلام الا رسمه .. الا و قد قطعتم قيد الاسلام، و عطّلتم حدوده و أمتّم أحكامه» «۲».

و هذه العبارة تعكس رؤية الامام و نظرته الى ذلك المجتمع، و تبرز العلل التى من اجلها سعى الامام الى احياء الدين، و التى تحدث الامام نفسه عنها قائلا:

«قد ركزت فيكم راية الايمان، و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام» «۳».

و حينما كان ابو ذر تلميذ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على عليه السّلام المخلص الذى ما اظلّت السماء و لا اقلّت الخضراء اصدق لهجة منه، يريد وصف الامام بكلام كان يقول:

«علىّ زرّ الدين» «۴» (اى قوامه).

و كان يقول للناس: «ستكون فتنة فإن ادركتموها فعليكم بكتاب اللّه و عليّ عليه السّلام» «۵».

و التلميذ الآخر لهذه المدرسة- الا و هو عمار بن ياسر- كان يتحدث عن النهج الذى سلكه على عليه السّلام. واصفا إيّاه بالعبارة الرائعة التالية:

---

(۱) نهج البلاغة- ص ۵۷.

(۲) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ۱۳ ص ۱۷۹.

(۳) نفس المصدر السابق ج ۱ ص ۳۷۳.

(۴) الفائق فى غريب الحديث ج ۲ ص ۱۰۸.

(۵) انساب الاشراف- ج ۱- ص ۱۱۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۲

«لو لم يعمل عملا و لم يصنع شيئا الّا انه أحيا التكبيرتين عند السجود لكان قد اصاب بذلك فضلا عظيما» «۱».

و هذه العبارة تشير الى ان اهم الاعمال فى رأى على و اصحابه هى احياء دين النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى ان عملا كالذى ذكره عمّار صار يعدّ من اعظم الانجازات التى حققها الامام.

و لهذا السبب فقد قال عنه عمر و حسب معرفته به: «انّى لأرى أنّه ان ولّى شيئا من امركم سيحملكم على طريق الحق» «۲».

و مما يؤسف له أن الخليفة نفسه لم يكن يرضى أن يعدّ الارضية التى تمكن الامام من تطبيق آرائه عمليا. و فى مورد آخر لما اراد الحكم بين على و خصم له، فنادى عليا بكنيته و اعترض الامام عليه على مناداته له بكنيته بحضور خصمه و احترامه بشكل لم يفعله مع خصمه قال عمر للامام: «بأبى بكم هدانا اللّه و بكم اخرجنا من الظلمات الى النور» «۳».

لقد كان الامام شديدا فى امر الدين، و لم يكن الدافع لذلك سوى حفظ الدين فى المجتمع اذ كان يقول: «و اللّه لا ادهنت فى دينى» «۴».

و عند ما كان اصحاب الامام يريدون وصف على بالشعر كان يقولون عنه:

---

(۱) انساب الاشراف- ج ۱ ص ۱۷۹- ۱۸۰، مصنف ابن ابى شيبة ج ۱ ص ۲۴۰.

(۲) انساب الاشراف- ج ۱ ص ۲۱۴؛ ادب المفرد للبخارى ص ۱۴۹.

(۳) الزمخشرى- ربيع الابرار- ج ۳ ص ۵۹۵.

(۴) نهج السعادة- ج ۲ ص ۲۰۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۳ اوضحت من ديننا ما كان مشتبهاجزاك ربّك عنّا فيه احسانا «۱»

و الحسن البصرى رغم انه لم يكن يحمل نظرة ايجابية عن الامام، الّا انه لما اراد وصف الامام بجملة قال: «أراهم السبيل و اقام لهم الدين اذا اعوج» «۲».

و هذا يظهر أن اهم الطروحات التى كان يرتئيها انما كانت تتمثل فيما يقوم به من أعمال فى سبيل احياء الدين، و كان يرى واجبه يتجسد فى ابلاغ كامل سنّة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لذلك فانه كان ينادى بأعلى صوته: «و اللّه ما أسمعكم الرسول شيئا الّا و ها انا ذا مسمعكموه» «۳».

و كان يرى نفسه منفّذا واعيا و مخلصا لسيرة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كان يقول عند رؤيته تمرّد بعض الناس: «لو غبت عنكم من يسير فيكم بهذه السيرة؟» «۴».

و لهذا السبب أيضا كان يؤكد على إيضاح سيرة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للناس فى مختلف جوانب الحياة، و كان يطبق ذلك بين الناس باسم السنة «۵».

و صلى ابو موسى خلف الامام على عليه السّلام بعد ۲۵ عاما من وفاة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: «ذكّرنا ابن ابى طالب صلاة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» «۶».

و من خلال امعان النظر فى الشواهد السالفة يمكن ان ندرك جيّدا أن احد

---

(۱) كشف الغمة- ص ۲۵.

(۲) مصنف ابن ابى شيبة ج ۱۲ ص ۸۳.

(۳) نهج البلاغة ص ۱۲۲.

(۴) المصنف لعبد الرزاق ج ۱۰ ص ۱۲۴.

(۵) نهج السعادة ج ۲ ص ۱۰۰.

(۶) البخارى، التاريخ الكبير ج ۴ ص ۳۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۴

اكثر الاعمال اهمية لدى الامام طوال حياته و التى يمكن اعتبارها سياسة و تعاملا منطقيا مع مسائل الحياة هى حفظ اصول و فروع الدين و جعل كتاب اللّه و سنّة رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المحور الوحيد الذى تدور عليه مساعيه و مساعى عامّة الناس.

البعد العلمى للامام على عليه السّلام

سمعنا كثيرا انه لا يوجد كلام بعد القرآن الكريم و حديث النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، مثل كلام امير المؤمنين. و يمكن معرفة مدى صحة هذا الادّعاء من خلال مراجعة كتاب نهج البلاغة الذى لا يضم الّا بعضا من كلام امير المؤمنين.

فالقضايا التى تناولها الامام فى مجالات معرفة اللّه و معرفة الدين و الشؤون الاجتماعية و السياسية و خاصة فى باب علم الاخلاق؛ تعد كل واحدة منها فريدة فى مجالها و لا نظير لها فى جمالها و روعتها، و يمكن الاستفادة منها فى صياغة اطروحة اساسية لبلورة العقائد الدينية، و رسم الخطوط العريضة فى السياسة الاسلامية، و تنظيم قواعد الاخلاق الدينية.

و قد اكّد صحابة النبى على هذه النقطة خلال حياته و طرحت بصور مختلفة، مثل: «على اعلم الناس بالكتاب و السنّة» «۱».

و قد كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعتمد على علىّ الى حد بعيد بحيث كان يأمره أن يعلّم الوضوء و السنّة «۲».

---

(۱) المعيار و الموازنة ص ۱۰۲ و نقل عن عائشة انها قالت: «على اعلم الناس بالسنّة» البخارى، التاريخ الكبير ج ۲ ص ۲۵۵.

(۲) الطبقات الكبرى. ج ۴ ص ۵۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۵

و لم يكن قد بلغ مرحلة متقدمة من شبابه حتى ارسله النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لتولّى القضاء فى اليمن. و أكّد احد الصحابة هذه القضية بقوله: «كنا نتحدث ان عليا اقضى اهل المدينة» «۱».

و قال ذلك الصحابى أيضا: «اعلم اهل المدينة بالفرائض على بن ابى طالب» «۲».

و قال الامام على عليه السّلام: «نحن اهل البيت اعلم الناس بما قاله اللّه و رسوله» «۳».

قال: «فما نسيت حديثا او شيئا سمعته من رسول اللّه» «۴».

و كان يقول أيضا: «و اللّه ما نزلت آية الّا و قد علمت فيما نزلت و اين نزلت» «۵».

و كان عبد اللّه بن عباس يقول، و هو ذو المنزلة السامية بين المحدّثين: «اذا حدّثنا ثقة عن على بفتيا لم نعدها» «۶».

و كان الامام يرى نفسه فى درجة من العلم بحيث يقول: «سلونى عن كتاب اللّه فانّه ليس آية الّا و قد عرفت أ بليل نزلت أم بنهار، فى سهل او جبل» «۷».

---

(۱) انساب الاشراف- ج ۱ ص ۹۷. و الاستيعاب- ج ۱ ص ۹- الطبقات. ج ۲ ص ۳۳۸. الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج۱ ۷۵ البعد العلمى للامام على عليه السلام ..... ص : ۷۴

(۲) انساب الاشراف ج ۱ ص ۱۱۲.

(۳) الطبقات الكبرى ج ۶ ص ۲۴۰.

(۴) انساب الاشراف ج ۱ ص ۱۲۱.

(۵) انساب الاشراف- ج ۱ ص ۹۹، حلية الاولياء- ج ۱ ص ۶۷.

(۶) انساب الاشراف- ج ۱ ص ۹۹.

(۷) انساب الاشراف ج ۱ ص ۹۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۶

و كذلك كان على يقول: «لو أردت أن اوقر على الفاتحة سبعين بعيرا لفعلت» «۱».

و كان مشهورا بين العلماء منذ القديم بأن أحدا لا يقول: «سلونى قبل أن تفقدونى» غير على عليه السّلام «۲».

و لهذا السبب كان من الطبيعى ان يعتبر الخليفة الثانى و طوال فترة خلافته عليا بمثابة مرجعه العلمى، مع انه لم يستفد من الامام كما ينبغى و هو مما يؤسف له طبعا، فقد كان عمر يقول: «لا ابقانى اللّه لمعضلة ليس بها ابو الحسن» «۳».

و نقل بشكل متواتر عن الخليفة الثانى انه قيل لعمر من اين أعتمر فقال:

«ائت عليا فاسأله» «۴».

بالاضافة الى ذلك، فالامام هو واضع علم النحو و هو من اهم الفروع الأدبية، و هو العلم الذى اصبح فيما بعد من اكثر الجوانب ضرورة لصيانة القرآن من التحريفات النحوية.

و الاقوال التى مرّ ذكرها لا تشكل الّا جزء ضيئلا من الاعترافات التى ذكرت بشأن علم الامام عليه السّلام، و نحن طبعا لسنا بصدد تقصى هذه الاقوال و العبارات هنا لكى نأتى على ذكرها باجمعها. و لو لم تكن اى من الاقوال السابقة موجودة لكان قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «انا مدينة العلم و على بابها» وحده كافيا

---

(۱) التراتيب الادارية. ج ۳ ص ۱۸۳.

(۲) جامع بيان العلم ج ۱ ص ۱۳۷.

(۳) الطبقات: ج ۲ ص ۳۳۹؛ أنساب الاشراف: ج ۱ ص ۱۰۰.

(۴) غريب الحديث ج ۳ ص ۴۰۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۷

و هى رواية متواترة عند السنّة و الشيعة.

نمط حياة الامام عليه السّلام

من المسلم به ان حياة الامام هى افضل انماط الحياة التى جربتها الانسانية على طوال فترة حياتها و لحد الآن، حياة الانسان الكامل الذى يعتبر اكثر افراد البشرية واقعية و إلهيّة و من الافراد النادرين الذين يليق اطلاق كلمة خليفة اللّه فى الارض عليهم. و هى حياة جذّابة الى ابعد الحدود بحيث صعدت بالمحب الى اقصى درجات المحبّة و اوصلت المبغض الى اقصى درجات البغض. و هى الشخصية التى قال عنها النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «يا علىّ يهلك فيك رجلان، محبّ مفرط، و رجل مفرّط» «۱».

فمن يتشيّع له يتنامى حبّ التشيّع فى قلبه حتى يبلغ حد الترفّض «۲»، و ان غفل عن نفسه اصبح عرضة لميول المغالاة و قلّما شوهد من نسب إليه الالوهية خلال حياته الّا انّ الامام تعرض لمثل هذه النسبة فى مجتمع تكررت فيه التأكيدات الالهية على الطبيعة البشرية لرسول اللّه، رغم تصدّى الامام العنيف لمثل هذه النسب و الشبهات.

و من المثل السامية فى حياة الامام الزهد الذى طغى على كل حياته، الزهد الذى يعنى الاعراض عن كلّ ما فى العالم فى الوقت الذى يكون مالكا له باسره، الزهد الذى يرجّح القناعة، و يجعل الصبر ذلولا خاضعا له امام المشاكل و الصعاب.

---

(۱) المعيار و الموازنة ص ۲۳ و يقول عليه السلام فى نهج البلاغة: هلك فىّ اثنان محب غال و مبغض قال.

(۲) اذا صار الشخص شيعة يزداد حتى يرفض. ركّ: المعيار و الموازنة ص ۳۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۸

تحدّث جماعة عند عمر بن عبد العزيز عن الزهّاد، و تساءلوا عن ازهد الناس فعدّ بعض الحاضرين اشخاصا من جملتهم ابو ذر، فقال عمر بن عبد العزيز:

«أزهد الناس على بن ابى طالب عليه السّلام» «۱».

كان الامام يجمع الفقراء حوله و يعاملهم برفق و احسان «۲»، و فى كثير من الاحيان كان يأتى الى الصلاة و يخطب بالناس و لا زال رداءه الوحيد يقطر ماء «۳» و هو على بدنه.

و بينما كان هو على رأس السلطة، و الاموال الطائلة المتأتية من الضرائب المختلفة و خراج الاراضى الشاسعة تتدفق على خزائن بيت المال من كل صوب، كان هو يتناول ابسط الاطعمة، حتى قيل له: «أ بالعراق تصنع هذا؟ العراق اكثر خيرا و طعاما».

الا أن ذلك كان يعدّ من المناقب بالنسبة للامام «۴». اذ كان يقول: «انا الذى اهنت الدنيا» «۵».

و عند ما كان يقسم بيت المال على المسلمين لم يكن يأخذ لنفسه شيئا، و كان يعود الى داره خالى اليدين، حتى ان بعض الناس كان يتردّد هل يعتبره ازهد الناس أم انّه «۶» .. فكان حقا خير مصداق لقوله: «خير القول ما صدّقه العمل» «۷».

---

(۱) المعيار و الموازنة ص ۲۴۰.

(۲) نفس المصدر السابق- ص ۲۴۰.

(۳) نفس المصدر السابق ص ۲۴۱.

(۴) نفس المصدر السابق- ص ۲۴۹.

(۵) حياة الصحابة ج ۲- ص ۳۱۰.

(۶) الغارات- ج ۱ ص ۵۵.

(۷) الغارات- ج ۱ ص ۲۴۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۹

يقول اسود بن قيس: «كان على عليه السّلام يطعم الناس بالكوفة الخبز و اللحم و كان له طعام على حدة. فقال قائل من الناس لو نظرنا الى طعام امير المؤمنين ما هو؟ فأشرفوا عليه فاذا طعامه ثريده بزيت مكللة بالعجوة، و كان ذلك طعامه، و كانت العجوة تحمل إليه من المدينة» «۸».

و يقول عقبة بن علقمة: «دخلت على علىّ عليه السّلام فاذا بين يديه لبن حامض آذتنى حموضته، و كسر يابسة، فقلت: يا امير المؤمنين أ تأكل مثل هذا؟

فقال لى: يا ابا الجنوب رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يأكل أيبس من هذا و يلبس اخشن من هذا، (و اشار الى ثيابه) فان أنا لم آخذ بما اخذ به خفت ان لا الحق به» «۹».

و جاء عن عدى بن ثابت انّه قال: «اتى على عليه السّلام بفالوذج فأبى أن يأكله» «۱۰».

و اورد ابو إسحاق الثقفى صفحات كثيرة من كتاب الغارات خصّصها لذكر الامثلة الدالة على زهد علىّ فى الملبس و المأكل و التعامل مع بيت المال و عدم الاسراف فى القضايا الاقتصادية و رعايته لحدود اللّه بدقّة.

لقد كانت شخصية الامام من السمو و الرفعة حتى ان معاوية كان يثنى عليه أيضا فى مجالسه الخاصّة «۱۱».

---

(۸) انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۸۷- ر. ك الغارات ج ۱ ص ۸۵- ۸۷- ۸۸.

(۹) الغارات- ج ۱ ص ۸۵.

(۱۰) الغارات- ج ۱ ص ۸۸.

(۱۱) ابن عدى- الكامل فى ضعفاء الرجال- ج ۵ ص ۲۴- ۱۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۰

يقول ابو سعيد الخدرى: «حضر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جنازة احد الانصار، و قال:

هل عليه دين؟ قالوا: بلى: فرجع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. فقال له على عليه السّلام: انا اضمن دينه، فقال له النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فك اللّه رقبتك كما فككت عن اخيك المسلم» «۱».

أجل هكذا كان علىّ يتصرف فى ماله الخاص، و لم يكن مستعدا لاعطاء اقل مبلغ لاقرب شيعته ما لم يكن له بحق «۲».

---

(۱) الزمخشرى، ربيع الابرار ج ۲ ص ۶۱۹.

(۲) ربيع الابرار ج ۳ ص ۷۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۱

الامام الحسن عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۳

قيل للحسن بن على: «فيك عظمة. قال: لا بل عزة قال اللّه تعالى: وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ» «۱» و يدور الحديث عن مظلوم آخر من اهل بيت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هو المظلوم الذى طالما تعرض الى ظلم التاريخ و عدم دقته، اذ بقيت الخطوط العامّة لسياسته فى فترة حكومته القصيرة و استشهاده محاطة بهالة من الغموض و الابهام نتيجة للدعايات المغرضة التى اشاعها الحكام

الامويون اعداء الانسانية و الاسلام و دسائس علماء السوء المأجورين او المغفلين.

ففى رواية ان امير المؤمنين عليه السّلام اراد فى يوم ولادة الحسن عليه السّلام ان يسميه (حربا) لكن النبى عارضه و قال: ما شأنه و الحرب؟ هو حسن» «۲».

---

(۱) ربيع الابرار ج ۳ ص ۱۷۷.

(۲) ابن سعد- الطبقات الكبرى، ترجمة الحسن بن على. تراثنا العدد ۱۱ ص ۱۲۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۴

ان استعمال مثل هذا التعبير قد يعرض شخصية على عليه السّلام للاستفسار من عدّة جوانب و من جملة ذلك انه:

لم يكن مقاتلا شجاعا بل كانت طبيعته ممتزجة بحب الحرب، و كان مبدئيا ذا شخصية ميّالة للعنف و تتّسم بحب المخاطرة (كما نقل هذا الرأى عن الجاحظ).

انه لمن السذاجة حقّا ان نتصور ان الامام كانت له حقيقة مثل هذه الشخصية لأن عطفه و انسانيته التى اعطت لتاريخ البشرية جمالا خاصا لا تنسجم مع مثل هذه الاوصاف السقيمة حيث كان فى ميدان الوغى محاربا شجاعا لكنّه كان شديد التسامح و العفو مع عدوّه المهزوم، و يجلب للارامل و اليتامى الطعام و يشاطرهم الحزن و يحمل همّهم و ... و هذا من عجائب الخلق ان تجتمع فى شخص واحد مثل هذه الصفات المتضادة و لا تتغلب على شخصيته صفة واحدة منها (فالجاحظ) و امثاله لم يتمكنوا من التخلّص من تأثير وجهة النظر التى وضعها بنو أميّة امام انظارهم، و لذلك لم يستطيعوا تقديم وصف صحيح عن شخصية كشخصية امير المؤمنين، خاصة و انهم قالوا انه تمسك بنفس الموقف ازاء تسمية الامام الحسين عليه السّلام.

تربّى الحسن فى حجر رسول عظيم كرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اب و أم كعلى عليه السّلام و الزهراء عليها السّلام و كان النبى يعتبره و اخاه الحسين كأبنائه و كان يؤكد على ذلك ايما تأكيد، و يتحدث عنه بمنتهى الصراحة بحيث لا يبقى هنالك اىّ مجال امام الدعايات «۱» المضادّة لأهل البيت التى يبثّها و يروّجها ادعياء الخلافة كبنى امية و بنى العباس و لكى لا يتمكن محترفو السياسة هؤلاء من المساس او الاساءة الى

---

(۱) العلّامة السيد جعفر مرتضى العاملى، الحياة السياسية للامام الحسن، ص ۲۷ و ما بعدها.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۵

اسمى و اقوى الوشائج الروحية و النسبية التى تربط بين امير المؤمنين عليه السّلام و الحسنين عليهما السّلام برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لكى لا يتمكن امثال هؤلاء من اخراج محبّة اهل البيت من قلوب الناس. فحضوره و اخوه الحسين فى المباهلة و استعمال كلمة (ابناءنا) «۱» بشأنهما يعتبر وثيقة فخر و اعتزاز اخرى لهما، و شهادة تعكس قداستهما الذاتية.

و نزول آية التطهير بشأنهم- النبى و على و فاطمة و الحسن و الحسين- تأكيدا آخر يثبت نفس تلك الحقيقة و يؤكدها، كما كان الامام يؤكدها أيضا «۲».

و اما من حيث الشكل فانه كما ذكر انس بن مالك، لم يكن أحد من اهل البيت اشبه منه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۳».

و قد استخدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الطف و ارق التعابير فى مدحه، و كان يحبه الى درجة كبيرة حتى ان اعداء اهل البيت كانوا اذا تذكّروا معاملة رسول اللّه له تملّكهم احترام عميق له و بان عليهم الخضوع امامه.

يقول عمير بن إسحاق: «رأيت أبا هريرة التقى بالحسن بن على عليه السّلام فقال له: اكشف لى بطنك حتى أقبّل حيث رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقبّل منه، قال:

فكشف عن بطنه فقبّله» «۴».

هذا السلوك من ابى هريرة و امثاله لا يعتبر امرا غريبا اذا اخذنا بنظر

---

(۱) آل عمران: ۶۱.

(۲) ابن سعد- الطبقات ص ۱۶۷؛ الاربلى- كشف الغمة ج ۱ ص ۵۳۸.

(۳) تاريخ ابى زرعة الدمشقى، ج ۲ ص ۵۸۷.

(۴) مسند احمد- ج ۲ ص ۴۲۷ و ۴۴۸؛ و الطبرانى فى المعجم الكبير ج ۳ ص ۱۹ رقم ۲۶۹۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۶

الاعتبار الحب الذى كان يبديه له النبى.

فقد قال عنه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «لو كان العقل رجلا لكان الحسن» «۱».

و لم يكن تكريم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهذين الأخوين ناتجا عن القرابة النسبية، بل ان احترام النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مداراته للحسن على اعين الناس من على المنبر و فى وسط الصلاة (عند ما كان الحسن فى دور الطفولة صعد على ظهر النبى اثناء الصلاة و هو فى حالة السجود فصبر النبى حتى نزل من على ظهره من تلقاء ذاته) كان له هدف خاص، هو اثبات احقية الحسن و اهل بيته فى خلافة النبى و قيادة الامة الاسلامية من بعده.

و لما كان الامام الحسن عليه السّلام يخطب من على المنبر بعد استشهاد امير المؤمنين عليه السّلام و كان بحاجة الى محفّز يحثّ الناس على بيعته، قام رجل من قبيلة الازد و صاح: «رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم واضعا الحسن فى حبوته و هو يقول: من أحبّنى فليحبّه و ليبلغ الشاهد منكم الغائب و لو لا عزمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما حدّثت احدا شيئا ثم قعد» «۲».

من المؤكد أن هذا الحديث كان احد الدوافع وراء مبايعته الّا ان الناس قد قصّروا فيما بعد فى الدفاع عنه لأسباب سنشير إليها فى محلّها «۳».

و بغض النظر عن محبّة امير المؤمنين عليه السّلام للامام المجتبى باعتباره ولده، فهو

---

(۱) فرائد السمطين- ج ۲ ص ۶۸.

(۲) البخارى- التاريخ الكبير ج ۳ ص ۴۲۸، مسند احمد بن حنبل ج ۵ ص ۳۶۶.

(۳) الروايات الواردة فى فضله كثيرة و لا داعى لذكرها هنا بأجمعها، يمكن مراجعتها لمن يشاء فى مظانّها.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۷

كان ينظر إليه و الى اخيه على أن فى بقائهما امتدادا لنسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فلم يكن يسمح فى الحروب بأن يتعرضا لظرف يهدد حياتهما بالخطر، فى وقت كان هو يخوض الحرب فى قلب جيش العدو «۱».

المشاركة فى حروب الجمل و صفين و النهروان

من المشاهد المهمّة التى اقترنت بالظهور السياسى للامام فى المجتمع هى مشاركته الفعّالة فى حرب الناكثين. فقد بعثه امير المؤمنين عليه السّلام كممثل عنه الى الكوفة «۲» لكى يعلم الناس هناك بخروج الناكثين على حكومة الحق و يدعوهم للمشاركة الفعّالة فى تصدى امير المؤمنين لاصحاب الجمل. و أوّل ما قام به الامام انه عزل ابا موسى الاشعرى الذى كان يثبط الناس عن قبول دعوة امير المؤمنين عليه السّلام بحجّة حقن الدماء. ثم القى عليه السّلام خطبة مثيرة اجّجت مشاعر الناس فحشد عشرة آلاف رجل من اهالى

الكوفة للمشاركة فى الحرب.

و فى صفين كان الامام الحسن عليه السّلام أيضا احد المقاتلين الذين ابدوا نشاطا منقطع النظير فى إثارة الناس ضد القاسطين. فقد خطب مرّة بجيش الكوفة يحثّهم على الحرب و الثبات فيها حيث قال فيها:

«فاحتشدوا فى قتال عدوّكم معاوية و جنوده فانّه قد حضر، و لا تخاذلوا فإن الخذلان يقطّع نياط القلوب» «۳».

و رغم هذه المواقف الصريحة من قبل الامام فى مقابل عثمانيى الجمل و صفّين

---

(۱) ر. ك. ربيع الابرار ج ۳ ص ۵۳۷.

(۲) نصر بن مزاحم-، وقعة صفّين ص ۱۵.

(۳) نصر بن مزاحم- وقعة صفين- ص ۱۱۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۸

فان المؤرّخين و المحقّقين الذين سعوا فى جعل الأب و الابن بمواجهة بعضهما الآخر و تشوية موقف احدهما من خلال التشكيك بموقف الآخر، حيث سعوا الى اظهار سياسة الامام و كأنها معارضة للسياسة التى كان ينتهجها الأب، و ذلك لاظهار الابن شخصية ضعيفة من جهة، و الادعاء بأن الأب شخص سفّاح مثير للحروب من جهة اخرى. فزعموا انّه أتهم اباه بالاشتراك فى قتل عثمان «۱»، فى حين أن جميع الشواهد التاريخية تصرح بان الامام الحسن عليه السّلام أخذ الماء الى عثمان بامر من ابيه، و انه قد ذهب برفقة اخيه الحسين عليه السّلام و عدد من ابناء كبار الصحابة لحماية عثمان و الوقوف امام داره لمنع الناس من الهجوم عليها- كما كتبوا ذلك هم انفسهم- و ان أباه عاتبه لعدم تمكنه من منع ازدحام الناس الذى نتج عنه مقتل عثمان.

ان التلاعب فى تاريخ مثل هذه الشخصيات- الناشئ من الثقافة الاموية الجاهلية- قد استغل هنا فى قضية الصلح مع معاوية، اذ حاولوا و من خلال نقل جمل كاذبة و تعمّد الكثير من التحريف و التزوير، و الاستفادة من ذلك فى سياق نفس التحليل الذى مر ذكره.

و سنشير خلال هذا البحث الى ذلك الصلح المفروض و مظلومية الامام فيه.

كما انهم استندوا الى مجموعة من الجمل و الاقوال التى نسبوها الى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مثل: «الحسن منى و الحسين من على» «۲» وسعوا من خلالها الى وضع الامام الحسن عليه السّلام الى جانب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و وضع الحسين عليه السّلام- الذى وقف بوجه حكومة يزيد الاموية و صنع ملحمة كربلاء الخالدة- الى جانب الامام على عليه السّلام الذى واجه مجرما كبيرا فى تاريخ الانسانية، هو معاوية. و بهذا يلوّحون الى ان

---

(۱) ر. ك. البلاذرى، انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۲ تحقيق المحمودى، طبعة بيروت.

(۲) ذخائر العقبى ص ۱۳۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۹

الخط السياسى للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يختلف- بل قد يتعارض- مع الخط السياسى الذى سار عليه على عليه السّلام! و كتبوا أيضا: ان الامام الحسين قال لأخيه: «يا ليت قلبى كان لك و لسانك لى» «۱».

و لا بد أن القارئ الكريم يدرك ان هذه الجملة أيضا تظهر بعدا آخر من النظرة المنحرفة عن الامام الحسن عليه السّلام.

و سنرى من خلال مواصلة البحث بأن الابن كان فى نفس المسار الذى انتهجه الأب، و لكنه اضطر- لنفس الاسباب التى جعلت الأب فى السنة الاخيرة من حكومته يشاهد تجاوزات معاوية على العراق و الحجاز و اليمن و لا يبدى اىّ رد فعل تجاهها- الى الكف عن المطالبة بالحكم و التوجّه الى المدينة وحيدا.

و من جهة اخرى كان من الضروري اعطاء فرصة لمعاوية الذى حصل على بعض الوجاهة نتيجة الدعاية و الضجة المفتعلة التى اثارها اعداء امير المؤمنين عليه السّلام لكى يتولى زمام الامور كحاكم بلا منازع و ليكشف بعد ذلك القناع عن وجهه الاموىّ الكريه، و يعلم المسلمون مدى خطورة هذا العدو الذى يتباكى على الاسلام و يتظاهر بالحرص على ادارة البلاد و راحة العباد، و انه لا يقل خطورة عن شخصية ابى سفيان الذى كان يشكّل عائقا امام انتشار الاسلام و اقامة دولته، و الاحداث المؤلمة التى احدثها للاسلام و المسلمين مثل بدر و احد و ...

مسئولية الامامة

استشهد امير المؤمنين عليه السّلام فى وقت كانت تمر فيه الكوفة باصعب الظروف.

---

(۱) الاربلى، كشف الغمّة، ج ۲ ص ۲۴۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۰

فرغم ان اهل الكوفة انتصروا على اهل البصرة بعد منافسة طويلة فيما بينهما، الا انه لم يمض وقت طويل حتى تعرضوا للهزيمة و المهانة فى صفين رغم ما ابدوه من شجاعة فائقة، و لم يكن بينهم و بين النصر آنذاك سوى خطوة واحدة و لكنهم اغتروا بخدعة العدو. فكانت الهزيمة امام اهل الشام و هى البلاد التى بقيت خصما منافسا للكوفة مدة ليست بالقصيرة. فبعد أن كانت الكوفة تحارب الشام و على رأسها معاوية (رمز الجاهلية) من اجل الاسلام الحقيقى و تطبيقه اصبحت بعد مدة تقبل وجودها بل و تتقبل تفوّقها أيضا و ذلك بسبب الضعف الذى اصابها.

و كانت تلك بداية لمرحلة جديدة، فقد ظهرت نتيجة الضغط النفسى و الشعور بالحقارة عند اهل الكوفة فرقة منحرفة و معاندة تدعى بالخوارج، و هم الذين اصروا على الامام بوجوب قبول التحكيم الذى اقترحه معاوية، الا أنهم عند ما رأوا انعكاسات عملهم، جعلوا امير المؤمنين عرضة للانتقادات و الاعتراضات و التهم الغادرة، فكانت النتيجة ان واجه بعضهم بعضا و تقاتلوا بكلّ ما لديهم من اسلحة، و بهذا نزلت ضربة أخرى اخلّت بالانسجام الذى كان يسود الكوفة.

و فى مثل هذه الظروف فقدت الكوفة قدرتها تماما على الاستمرار فى الصراع، و كلما ألحّ عليهم امير المؤمنين عليه السّلام بضرورة التهيؤ لمقاتلة معاوية و اجتثاث هذه الغدّة السرطانية من جسد الاسلام المقدّس، لم تظهر منهم اية رغبة بل لم يكونوا مستعدّين للدفاع حتى عن العراق أيضا. فقد كان ولاة معاوية و قادة جيشه يغيرون على العراق باستمرار، لكن اهل الكوفة لم يكونوا يبدون اى رد فعل بازاء ذلك. فلا نصائح الامام و لا تقريعه اثّر فيهم و أعادهم الى رشدهم، لأن تراخى اهل الكوفة و سذاجتهم هو الذى اوصلهم الى هذه الدرجة من الضعف

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۱

و الانهيار النفسى و شلّهم عن القيام بأىّ عمل.

و فى مثل هذه الظروف المريرة فى الكوفة استشهد الامام. و رغم ان مظلومية هذا الاستشهاد قد اثار عاصفة فى المجتمع. الا أن الكوفة و بسبب اختلاف و لا ابالية اهلها لم تتأثر كثيرا بتلك العاصفة. و صار معاوية و جيش الشام كالكابوس الذى سلب من اهل العراق قلوبهم و عقولهم، حتى انّ الجسد الطاهر لأمير المؤمنين عليه السّلام دفن سرا، و ظل مكان دفنه مخفيا عن الجميع الى أن كشف أئمة الشيعة عنه، و دلّوا الناس عليه.

لقد اثارت تلك المظلومية موجة بين اهل الكوفة، فالعراق و ان اصبح فى حالة شديدة من الضعف الّا انه لم يخضع لسلطة الشام بهذه البساطة، و كان يعتبر ذلك عارا عليه لا يمكنه الرضوخ له بسهولة. لذا فانهم اجتمعوا و شكلوا قوّة لفتت الانظار إليها، ثم راح اهل

الكوفة يبحثون عن قائد يبايعونه حتى ينفّذ البرامج التى استنّها امير المؤمنين عليه السّلام، و ينتهج نفس السياسة التى كان قد ابتدأها. و لم يكن من احد يمتلك مؤهلات مواصلة هذا الطريق سوى ابن الامام على عليه السّلام، فبايعوه و اشترطوا البيعة له بمواصلة الحرب ضد معاوية. و حيث أن الامام كان قد جرّبهم فى السابق فقد قبل البيعة بشرط ان يعمل بما يرى فيه الصلاح، و ان لا يرفع احد عقيرته بالاعتراض حتى و ان اضطرته الظروف لقبول الصلح مع معاوية.

و فى هذه المرّة أيضا اتخذ اهل العراق قرارهم بحزم و جدّ فى الوهلة الاولى و لكنهم سرعان ما تراجعوا عن قرارهم كما هو شأنهم دائما و تقبلوا و بكل بساطة ذلك العار الذى أبوا قبوله.

و لو تقدّمنا قليلا الى الامام لرأينا أن مبايعة الامام قد تمّت بسبب ما للناس من معرفة به فى قيادة المجتمع، و فضلا عن ذلك فالدافع الاساسى الكامن وراء

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۲

تلك البيعة هو التأكيدات المتكررة من قبل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الامام على عليه السّلام بشأن امامته و جدارته بالقيادة.

فقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال عنه و عن اخيه: «الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا» «۱».

و امير المؤمنين عليه السّلام عيّنه خليفة له من بعده، كما قال هو فى رسالة بعثها الى معاوية: «فان امير المؤمنين عليه السّلام نزل به الموت و ولانى هذا الأمر من بعده» «۲».

و لما دعا عبد اللّه بن عباس الناس الى مبايعته قال: «هذا ابن بنت نبيّكم و وصى امامكم فبايعوه» «۳».

و استند جماعة من وجهاء الكوفة عند ارادة مبايعته الى كونه وصىّ ابيه و خليفته و قالوا له: «أنت خليفة أبيك و وصيّه، و نحن السامعون المطيعون» «۴».

الاقوال المذكورة فيما سبق هى مجرد أمثلة للشواهد التى تدل على أنّ امامة الحسن انما كانت من قبل ابيه و اعتباره وصيّا له «۵».

و منذ اليوم التالى للبيعة، باشر الامام مهمته الاساسية فى اعداد الناس لمواجهة القاسطين.

---

(۱) الأربلى، كشف الغمة ج ۲ ص ۱۵۹، الشيخ المفيد، الارشاد ص ۲۱۰.

(۲) الاصفهانى مقاتل الطالبيين ص ۵۵. المسعودى مروج الذهب ج ۲ ص ۴۲۲.

(۳) الاصفهانى، مقاتل الطالبيين ص ۳۴، الطبرسى اعلام الورى ص ۲۰۹.

(۴) العلّامة المجلسى، بحار الانوار ج ۴۴ ص ۴۳.

(۵) انظر كتاب (الحياة السياسية للامام الحسن) تاليف السيّد جعفر مرتضى العاملى ص ۴۷ و ما بعدها.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۳

رغبة الامام القاطعة فى محاربة معاوية رغم الموقف الضعيف لاهل العراق

كانت اهم قضية بالنسبة للامام و اهل العراق هى الموقف ازاء معاوية و محاربته. فانفصال الاقاليم الاسلامية عن بعضها لم يكن له مفهوم آنذاك، و وحدة الاراضى الاسلامية كان امرا مسلما به فى رأى كل مسلم. فلم يكن بامكان العراق الانفصال عن الشام، و لا الشام عن العراق أو مصر و الحجاز، لذا كان من المحتّم حل مسألة الحاكمية المطلقة على البلدان الاسلامية.

فمن الناحية الدينية، كان معاوية فى نظر الامام و شيعته عنصرا فاسدا تجب ازاحته عن سدّة الحكم، و هو العمل الذى كان يعتبره امير المؤمنين عليه السّلام اهم واجب امامه منذ توليه لزمام امور المسلمين حيث جعله فى رأس قائمة برامجه. فقد كان الامام على عليه

السّلام يخيّر المسلمين ما بين محاربة معاوية او الكفر بما انزل اللّه. و لا بد ان تكون هذه السياسة مثالا يحتذى به بالنسبة لابنه و شيعته أيضا، و مثل هذا التكليف انما يجب على الامام انجازه فيما لو كانت لديه القدرة و الظروف المناسبة للقيام به.

و من ناحية الخلافة فان المهاجرين و الانصار- من وجهة العرف السياسى المقبول يومذاك- هم الذين كان عليهم ان يعيّنوا الخليفة. و قد صوّتوا لعلىّ عليه السّلام.

و كان اكثر الانصار و جماعة من المهاجرين قد بايعوا الامام الحسن عليه السّلام الذى كان وقتها فى الكوفة. لذا كان معاوية يعتبر من الناحية العملية باغيا. و اما من ناحية المفاهيم و المعايير السائدة و المقبولة آنذاك لم تكن فى يده أية ورقة رابحة لذا كان ينبغى تحديد مصيره.

اضافة الى ذلك، فان اهل العراق كانوا على علم بان معاوية بصدد الهيمنة على منصب الخلافة و ان الاحوال و الاوضاع السائدة حينها لم تكن فى صالحه،

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۴

و كان يحتّم عليه القيام بعدّة خطوات فى هذا المجال. و تصور مثل هذا الأمر كان مرفوضا بشدة من قبل اهل العراق، و لا ريب ان انتصار اهل الشام على الكوفة كان يعد هزيمة بالنسبة لاهل الكوفة، بل و يعنى تعرّضهم للانتقام على يد اهل الشام.

و مثل هذه الامور ادّت الى ان تنعقد حكومة الامام الحسن عليه السّلام و منذ يومها الأول على موضوع الحرب لا سيما و ان بعض الذين بايعوه كانوا من الخوارج و كانوا يصرّون بشدة على الحرب، و يقولون بوجود علاقة لا تقبل الانفصام بين الحكومة و الحرب.

و رغم أن الامور كانت تسير على ما ينبغى حسب الظاهر، الّا أن باطن المجتمع- و للاسف- كان يعانى من متاعب خاصة ترافقها ميول انحرافية فى الأبعاد الفكرية و الاجتماعية. و لهذا السبب لم يكن يمتلك القدرة الكافية لاتّخاذ قرار حاسم بشأن الحرب. فقد كان هذا الظاهر و الباطن المتناقض يسير فى اتّجاه معاكس لبعضه الآخر اذ بنفس السرعة التى بويع فيها الامام الحسن عليه السّلام تمت مبايعة معاوية أيضا بسرعة اكبر و على نطاق أوسع.

و منذ الوهلة الاولى لمباشرة الامام الحسن عليه السّلام لمهام حكومته، و رغم معرفته التامة لطبيعة و ماهية معاوية، الّا انه بدأ يتعامل مع الامور بما يتطابق و سياسته الدينية فابتدأه بدعوته إياه للكفّ عن التجاوز و العدوان و اعلان الطاعة لحكومته الشرعية.

و اشار الامام فى نفس تلك الرسالة الى اختلاف الامّة حول مسألة الامامة بعد رحلة النبى الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و انه هو و شيعته يعتبرون الحكومات السابقة غير شرعية و ان مثل هذا المنصب حق محصور باهل بيت النبى، و انهم انما سكتوا عن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۵

هذا الامر فلمصالح خاصّة، و ان عمل معاوية هذا لا يعدو ان يكون تجاوزا على الحق البديهى لاهل البيت و بعد اظهار العجب من هذا التجاوز طلب إليه اعلان البيعة و هدّده ان هو لم يبايع و لم يدخل فى الطاعة فانه سيتوجه إليه و يقاتله بكل ما لديه من امكانيات.

و كتب معاوية ردا على رسالة الإمام، و استند فى رسالته الى آرائه الجاهلية و تعلل فيها بكبر سنّه و انه ادق رؤية من الامام الحسن فى المسائل السياسية و دعاه الى بيعته و اضاف فى ختام رسالته: «إنّ امرى و امرك شبيه بامر ابى بكر و أمركم بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» «۱».

و كان من الطبيعى أن لا ينتهى مثل هذا الاختلاف المتجذّر بمثل هذا الاسلوب بل كان لا بد من مواجهة حاسمة تتقرر على ضوئها الامور فى ساحة الوغى. لذلك باشر الامام الحسن عليه السّلام بعزم راسخ باستجماع و تحشيد قواه لمواجهة القاسطين. و كتب معاوية الى عمّاله فى الولايات و طلب فيها منهم تزويده بالمقاتلين لكى يستغل الاوضاع المضطربة فى العراق و يهجم على الكوفة و يسيطر عليها و يسقط حكومة الامام الحسن عليه السّلام. و كان لدى معاوية فئة كبيرة و منظمة من العيون و الجواسيس موزّعة فى جميع ارجاء البلاد الاسلامية، و كان يحصل من خلال هذه الشبكة قطعا على المعلومات و الاخبار الدقيقة عن اوضاع العراق.

حركة اهل العراق البطيئة المحاربة القاسطين:

انّ اهل الكوفة و ان بايعوا الامام الحسن عليه السّلام بعيد استشهاد الامام على عليه السّلام

---

(۱) البلاذرى، انساب الاشراف ج ۲ ص ۳۱ طبعة المحمودى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۶

و اضطراب الاوضاع فى تلك الأيام خوفا من هجوم جيش الشام، لكنهم صنعوا به ما صنعوه من قبل بالامام على عليه السّلام حيث التزموا الجلوس فى بيوتهم رغم تحذيراته المتكررة و تقريعه المتوالى لهم، و لم يبدر منهم اى رد فعل مناسب. فعند ما دعاهم الامام الحسن عليه السّلام للاستعداد لمحاربة معاوية لم يلبّ احد نداءه «۱» حتى توجّه عدى ابن حاتم الى المعسكر بمفرده فاضطرت جماعة من قبيلة طى، و القبائل الاخرى الى اللحاق به.

ثم بعد العملية الاعلامية الواسعة و الخطب المتكررة التى اوردها الامام، و بعد ذهابه الى النخيلة و رؤيته تقاعس اهل الكوفة، و بعد عودته الى الكوفة اجتمع إليه ما يقارب ۱۲ ألف رجل فى معسكر النخيلة فقط «۲».

و قد كتب بعض المؤرخين: «بعد استشهاد امير المؤمنين عليه السّلام بايعه اربعون الف رجل على محاربة معاوية، فاشتبه البعض الآخر عند ما تصوّر ان هذا الرقم يمثل عدد المقاتلين الذين احتشدوا فى معسكر النخيلة» «۳».

و الواقع هو ان هذا النقل مبالغ فيه و لا يمتاز بكثير من الصحة و الدقّة.

يكفينا هنا القاء نظرة سريعة على كلمات الامام عليه السّلام و تقريعه المتكرر لاهل الكوفة و تأكيده على وجوب التحشد من جديد، و الهجوم على الشام لانهاء فتنة معاوية. لنرى كيف أنهم واجهوا هذه القضية المصيرية بعدم الاكتراث، و تجنّبوا تلبية نداء الامام، و لم يبدوا اى موقف ايجابى ملموس. و اذا افترضنا صحّة ذلك

---

(۱) ابو الفرج الاصفهانى- مقاتل الطالبيين- ص ۳۹.

(۲) اليعقوبى- تاريخ ج ۲ ص ۲۱۴. الاصفهانى- مقاتل الطالبيين ص ۴۰. ابن عساكر- تاريخ دمشق ص ۱۷۶.

(۳) الطبرى- تاريخ- ج ۲ ص ۹۴. ابن الاثير ج ۲ ص ۶۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۷

أيضا فلا يوجد دليل على حضور مثل هذا العدد الى جانب الامام المجتبى، لا سيما و ان المؤرخين قد اشاروا الى أن ۱۲ ألف رجل حضروا هناك.

و اختار الامام عبيد اللّه بن عباس لقيادة الجيش، و قيس بن سعد بن عبادة كمعاون له و ارسله لمقاتلة ما يربو على ۶۰ ألف مقاتل من جيش الشام، و اقام هو فى المدائن ليحشد اعدادا اخرى من المقاتلين.

و بما ان الامام و جيشه كانوا فى معزل عن بعضهما؛ فقد تمكن معاوية من بث الاشاعات المضلّلة فى كل منهما و جعل احدهما يسىء الظن بالآخر. فقد اشيع بين جيش الامام ان الامام قد تصالح، و فى خضم احتدام مثل هذه الاقاويل و الاشاعات دعا معاوية قادة جيش الامام للالتحاق به و استلام جائزة قدرها الف درهم «۱».

فاضطرب جيش الامام لهذه الاشاعة و لا سيما مع وجود الظروف النفسية السيئة التى كان يعانى منها، و انعدام الدوافع المحفزّة على القتال لديه، فانحدر صوب معاوية. و بقى فقط اربعة آلاف رجل الى جانب قيس بن سعد و ثبتوا فى وجه معاوية.

و فى هذه المرّة حاول معاوية خداعه، لكن قيسا كان اكثر وعيا من ان يخدع بمثل هذه الاشاعات أو ينهار امام مثل هذه الاغراءات

التى عرضها عليه معاوية.

و إضافة الى التأثير الكبير الذى تركه هروب جيش الامام صوب معاوية فان رسله الذين تشرفوا بمقابلة الامام فى المدائن و طلبوا منه الاستجابة للصلح و واجههم بالرفض قد اشاعوا- فى طريق عودتهم- بين الناس بأن الامام قد قبل

---

(۱) الشيخ المفيد- الارشاد ص ۱۷۰. ابن ابى الحديد شرح نهج البلاغة ج ۱۶ ص ۴۲.

بالصلح، و قد جعلت هذه الاشاعة الكاذبة «۱» الناس فى حيرة من امرهم و جعلتهم فى اتم الاستعداد لتقبّل معاوية.

و فى هذه الاثناء دارت على الألسن اشاعة «۲» تفيد بقبول قيس بن سعد للصلح و هو قوّة المقاومة الوحيدة المتبقّية فى مقابل معاوية، و كانت هذه بمثابة الضربة القاضية وجّهت الى الوضع النفسىّ المنهار فى الكوفة، و قضت على رمق المقاومة النهائى لديه.

و فى مقابل هذه الاجواء و فى مثل هذه المواقف الخيانية لاهل العراق لم يجد الامام بدّا من اعتزال الحكومة. فهو لم يعد قادرا على القيام بأى عمل مؤثر فى الوقت الذى لم يكن من يصرّ من الاصحاب على محاربة القاسطين سوى عدد ضئيل فقط. و لذلك عند ما تقدّم معاوية الى الامام بطلب الصلح عدّة مرّات، اضطر الامام الى قبول ذلك.

الصلح المفروض من قبل معاوية و تحليل أسبابه

ان سلوك اهل العراق مع الامام على عليه السّلام فى أواخر فترة حكمه، يعكس روحيتهم الضعيفة و عدم مقاومتهم و صمودهم فى حرب طويلة الامد، و خاصة فى حرب لا- غنائم فيها، و تدور حولها شبهات و تأولات منحرفة كان يثيرها اعداء امير المؤمنين عليه السّلام بين الناس و تكررت نفس تلك السلوكية مع الامام الحسن عليه السّلام أيضا فى فترة حكومته. فقد اظهر اهل الكوفة انهم لا يريدون قتال معاوية، و كان

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۱۵.

(۲) ابن كثير، البداية و النهاية، ج ۲ ص ۱۴.

التحاق القبائل «۱» بمعاوية الواحدة تلو الاخرى قد اثبت ان ليس بامكان الامام الاتكال عليها، و القيام بعمل عسكرى ضد معاوية.

و من الواضح أنّ اى شعب يتعرض لحالة كهذه من الضعف لا يمكن لقائد ذلك الشعب القيام باى عمل فاعل. و سنحاول هنا نقل اسباب و دوافع هذا الصلح المفروض استنادا الى رأى الامام الحسن عليه السّلام نفسه. فقد تطرق الامام الحسن ذات مرة الى سلوك اهل الكوفة مع ابيه و قصة مبايعته هو شخصيا فقال:

«سمعت اليوم ان اشرافكم ذهبوا الى معاوية و بايعوه و هذا يكفينى.

فأنتم الذين اكرهتم ابى يوم صفين على الحكمين» «۲».

و قال فى موضع آخر: «و اللّه لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعونى إليه سلما» «۳».

و للامام أيضا تعابير أخرى يشير فيها الى اهل العراق واصفا ايّاهم بالناس الذين لا يمكن الوثوق بهم و يشير فيها أيضا الى تجارب ابيه المريرة مع الكوفة «۴».

و قد قام الامام المجتبى بدوره بحملة اعلامية شاملة لحثّ الناس على قتال العدو لكن نفوذه و تأثيره على الناس (على العكس مما قاله بعض المؤرخين) كان اضعف من ابيه. فاذا كان الامام على عليه السّلام غير قادر على اثارة الناس و تحفيزهم

(۱) ابن الاعثم- الفتوح- ج ۴ ص ۱۵۷ طبعة الهند. ابن ابى الحديد ج ۱۶ ص ۴۳. البلاذرى- الانساب ج ۲ ص ۲۹

(۲) نفس المصدر السابق.

(۳) الطبرسى، الاحتجاج ج ۲ ص ۹۰، العلّامة المجلسى، البحار، ج ۴۴ ص ۲۰، البحرانى، عوالم العلوم ج ۱۶ ص ۱۷۵.

(۴) ابن الاثير- الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۴۰۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۰

على الحرب، فكيف يمكن للامام الحسن القيام بهذا العمل؟ و هل كان يجوز للامام اللجوء الى اساليب الخداع و الحيلة لاعداد الناس لمحاربة القاسطين؟

لقد اشرنا قبل هذا «۱» خلال شرحنا لخصائص امير المؤمنين عليه السّلام انه ما كان يريد احراز النصر عن طريق الجور. فلو اراد هذان الرجلان العظيمان حشد الناس للحرب من خلال اساليب الاستبداد و القهر و التهديد فقد كان بميسورهما، و لكنّهما لم يريدا فعل ذلك.

فالحرب قضية تقوم على دعامتين: اجازة القائد، و موافقة الناس. و لذا نجد النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رغم ما كان يتمتع به من قبول اجتماعى قد ترك قرار الحرب فى معركتى «بدر» و «احد» «۲» الى رأى الناس و مشورتهم. و عند ما رأى الامام المجتبى ان الناس لا يميلون الى الحرب حتى ان ثلثى الناس الذين كانوا يدّعون الصمود الى آخر لحظة التحقوا بمعاوية ليلا اختار الصلح. اذ ما الذى يمكن للامام ان يفعله إذا كان الناس لا يريدون الحرب و لا يبدون اى حماس بشأنها؟

لقد كان الامام نفسه راغبا فى الحرب، الا ان ثقل الحرب ينبغى ان تحمله اكتاف الناس. و لما لم يكن الناس راغبين فى الحرب، و لا قادرين على ادراك فلسفتها و مبانيها الفكرية فى تلك الظروف المسمومة التى اوجدها معاوية و طبوله الدعائية الاموية، فلا يمكن للقائد طبعا القيام بأى عمل. و للامام المجتبى عليه السّلام كلام جميل و بليغ فى هذا المجال يحلل فيه ذلك الموضوع افضل تحليل فقد قال:

«انا و اللّه لا يثنينا عن اهل الشام شك و لا ندم، و انما كنا نقاتل اهل الشام

(۱) ر. ك. الحياة الفكرية للامام على ع فى الصفحات السابقة.

(۲) العلّامة السيد جعفر مرتضى العاملى، الصحيح من السيرة ج ۳ ص ۱۴۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۱

بالسلامة و الصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، و الصبر بالجزع، و كنتم فى مسيركم الى صفين دينكم امام دنياكم و اصبحتم اليوم و دنياكم امام دينكم. الا و قد اصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له، و قتيل بالنهروان تطلبون بثأره. و اما الباقى فخاذل و اما الباكى فثائر. الا و ان معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز و لا نصفة. فان اردتم الموت رددناه عليه و حاكمناه الى اللّه عز و جل بظبى السيوف، و ان اردتم الحياة قبلناه و اخذنا لكم الرضى، فناداه الناس من كل جانب البقية البقية و امضى الصلح» «۱».

يتضح من الكلام السالف ذكره بأن الامام كان يؤكد على وجوب الحرب و لم تكن قضية حقن الدماء مطروحة باى شكل من الاشكال الّا اذا افترضنا ان اراقة الدماء فى مثل هذه الظروف لا تنطوى على النتيجة المطلوبة. و الامر المسلم به هو ان المانع من نشوب الحرب و الدافع نحو قبول الصلح كان ارادة الناس التى كانت تمنع الامام من القيام باى عمل عسكرى ضد القاسطين.

و قد اشار الامام الى هذا الموضوع ضمن تحليله لقضية الصلح فقال: «انى رأيت هوى عظم الناس فى الصلح، و كرهوا الحرب فلم احب أن احملهم على ما يكرهون» «۲».

و هذا تعبير آخر عن نفس ذلك الامر الذى اشار إليه امير المؤمنين عليه السّلام

---

(۱) ابن الاثير ج ۳ ص ۴۰۶، ابن عساكر نفس المصدر ص ۱۷۸. ابن الاثير، اسد الغابة ج ۲ ص ۱۴، ابن الجوزى، تذكرة الخواص ص ۱۹۹. المجلسى البحار ج ۴۴ ص ۲۱. البحرانى عوالم العلوم ج ۱۶ ص ۱۷۹.

(۲) الدينورى، الاخبار الطوال، ص ۲۲۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۲

مرّات و مرّات «۱» و هو مبدأ اساس و ثابت فى التعامل السياسى للقائد مع جماهير الامّة، و يقول أيضا فى موضع آخر: «و اللّه إنّى سلّمت الأمر لأنى لم اجد انصارا و لو وجدت انصارا لقاتلته ليلى و نهارى حتى يحكم اللّه بيننا و بينكم» «۲».

و وردت أيضا فى اقوال الامام التى يدافع فيها عن موقفه ازاء المعترضين عليه، نقطة أخرى تلفت الاهتمام الا و هى ان هذا الصلح إنمّا قبل من أجل المحافظة على بقايا الشيعة، فخواص شيعة امير المؤمنين عليه السّلام استشهد أغلبهم فى معارك الجمل و صفين و النهروان و بقيت منهم ثلة قليلة فقط. و ان وقعت حرب جديدة- و مع الاخذ بنظر الاعتبار ضعف اهل العراق- فستلحق بالامام الحسن و شيعته خسائر لا تعوّض. لأنّ معاوية و الحال هذه سيبالغ فى قمعهم. اما الصلح فبامكانه الابقاء عليهم الى أن تتهيأ ظروف افضل فى مستقبل، و اذا تقرر فى يوم ما اراقة دمائهم فينبغى ان يعطى ذلك مردودات ذات فائدة و يؤدى الى خلق تيار مؤثر فى حركة التاريخ.

لنتأمل هنا كلام الامام عليه السّلام الذى واجه به اعتراضات بعض اصحابه: «ما اردت بمصالحتى معاوية الّا أن ادفع عنكم القتل عند ما رأيت تباطؤ اصحابى عن الحرب و نكولهم عن القتال» «۳».

و تطرق فى حديث آخر الى هذا الموضوع فاشار فيه الى ضرورة الصلح فى ظل وجود بعض الظروف، فذكر صلح الحديبية كشاهد على كلامه فقال: «و لو لا

---

(۱) ابن ابى الحديد- شرح نهج البلاغة ج ۱۱ ص ۲۹.

(۲) العلّامة المجلسى- بحار الانوار ج ۴۴ ص ۱۴۷.

(۳) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۲۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۳

ما اتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الارض احد» «۱».

و قال فى مقابل اعتراض مالك بن حمزة: «يا مالك لا تقل ذلك، لما رأيت الناس تركوا ذلك الا اهله خشيت أن تجتثوا عن وجه الارض فاردت أن يكون للدين فى الارض ناع».

فلو وقعت للامام الحسن فى مثل هذه الظروف حرب فانها ستنتهى قطعا بضرره و ضرر خاصة اصحابه، و حتى الامام امير المؤمنين نفسه اصغى مستعدا للكف عن الحرب مع معاوية عند ما تعرض لمثل هذه الظروف.

نورد فيما يلى مقطعا من كلامه الموجّه الى فئة من المطالبين بمواصلة الحرب:

«يا قوم قد ترون خلاف اصحابكم و انتم قليل فى كثير و لئن عدتم الى الحرب ليكوننّ اشدّ عليكم من اهل الشام، فاذا اجتمعوا و اهل الشام عليكم افنوكم. و اللّه ما رضيته و لا هويته و لكنّى ملت الى الجمهور منكم خوفا عليكم» «۲».

و كما تلاحظون فان امير المؤمنين عليه السّلام نفسه قد اشار فى مثل هكذا ظروف الى موضوع الحفاظ على الشيعة، و ذكر أنّ احد الاسباب فى قبول التحكيم المفروض هو ازالة التهديد عن اصحابه المقرّبين.

و على الرغم من المحاولات التى قام بها بعض رواة الاخبار التاريخية لدس اشاعة معارضة الامام الحسين عليه السّلام لاخيه فى

صفحات التاريخ، فانه على العكس

---

(۱) البحرانى- عوالم العلوم- ج ۳۱ ص ۱۷۴.

(۲) البلاذرى- انساب الاشراف- ج ۱ ص ۳۳۸ ط المحمودى. محمد باقر المحمودى- نهج السعادة ج ۲ ص ۲۶۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۴

كان يعتقد بصحة و استقامة الطريق الذى سلكه اخوه. و اشار فى مواضع متعددة الى أن اى عمل آخر سوى ما قام به اخوه لن يثمر عن شىء، و كلام الامام الحسين عليه السّلام مع الذين طلبوا إليه القيام بعمل ما ملائمة جدا لتأييد الموضوع الذى نبحثه:

«صدق ابو محمد فليكن كل رجل منكم حلسا من احلاس بيته ما دام هذا الانسان حيّا» «۱».

«و أما أنا فليس رأيى اليوم ذلك فالصقوا رحمكم اللّه بالارض و اكمنوا البيوت و احترسوا من الظنة ما دام معاوية حيّا» «۲».

فهذه الكلمات و غيرها تؤيّد وجهة نظر الامام الحسن عليه السّلام بعدم جدوى التحرك العسكرى فى مواجهة معاوية.

الصلح المفروض و بنوده

و لو فرضنا ان الامام الحسن عليه السّلام قد غيّر رأيه فى مواصلة الحرب بسبب الضعف الذى رآه على اهل العراق. فان ارسال معاوية المبعوثين الى المدائن و تعرّض الامام لذلك فى كلماته- التى تقدم ذكر بعضها- يشير الى ان معاوية كان راغبا فى انهاء النزاع من غير اللجوء الى الحرب و اراقة الدماء. فقد اظهر للناس من خلال ذلك و بشكل ذكى انه رجل حليم و هادئ و انه يريد الاستيلاء على العراق بغير الحرب و الصراع.

---

(۱) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۲۱.

(۲) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۲۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۵

و هذا الاسلوب يمنع طبعا من قيام اى تحرّك مضاد من قبل اهل العراق.

بالاضافة الى ذلك، فانه استطاع اضفاء صبغة قانونية على عمله و احياء هذا التصور فى الاذهان و هو «انه ليس هو الذى يريد الاستيلاء على الخلافة الاسلامية بالقوّة، بل ان الناس انفسهم و على رأسهم الامام الحسن عليه السّلام هم الذين اوصلوا الامر الى هذه الحال».

و مع كل ذلك فانه لعدم التزامه بالتعهدات التى اتفق عليها الطرفان فى كتاب الصلح يكون قد كشف عن وجهه القبيح المخادع. إلا أنّ التاريخ فى نقله لبعض البنود- التى ادّعى كتّاب التاريخ بأن الطرفين قد اتفقا عليها- قد ظلم الامام الحسن ايما ظلم. اذ بالتمعن الدقيق فى الموضوع ندرك بسهولة مدى ما احدثه بعض من الرواة و المؤرخين الذين لم يتحرروا من ميولهم المذهبية خلال تدوينهم للوقائع التاريخية من تلفيق و تزييف للاخبار و الحقائق لصالح السياسة الاموية ضد الشيعة و تحريف الكثير من وقائع التاريخ.

و كان القصد الكامن من وراء هذه الجريمة هو اثبات النقاط التالية:

۱- ان الامام الحسن عليه السّلام هو الذى تقدّم بطلب المصالحة من موقف الضعف و العجز.

۲- ان الامام بادر الى القيام بهذا العمل من اجل بلوغ اهدافه المادية و الحصول على الدينار و الدرهم.

۳- انه كان يفكّر بنفسه فقط تاركا الناس لمعاوية.

و كان الزهرىّ- و هو احد المرتبطين ببلاط هشام بن عبد الملك و من انصارهم المخلصين- احد مصادر هذا التحريف فقد ذكر أن اساس عقد المصالحة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۶

لا ينطوى سوى على شروط مالية و قبض خراج (الاهواز) و (دارابجرد) «۱».

و نحن فى هذا البحث المختصر لا نجد الفرصة مواتية لتناول جميع النصوص التاريخية بشأن بنود معاهدة الصلح. لذا فاننا نكتفى بذكر رواية تناقلتها المصادر القديمة باعتبارها نصا كاملا و نعطى بعض الايضاحات بشأنها. و قد نقل هذا النص من قبل مؤرخين قديمين تختلف اسناد كل منهما عن سند الآخر تماما. و هذا التماثل الموجود بين النقلين بخصوص نص معاهدة الصلح هو من الدلائل على صحّتها. فقد ورد فى تلك الراوية ما يلى:

انفذ الامام عبد اللّه بن نوفل الى معاوية فتوثّق منه لتأكيد الحجة بأن يكون الناس فى أمان على انفسهم و اموالهم و سيكون مستعدا لقبول مشروع المصالحة.

الا أن عبد اللّه بن نوفل طرح على معاوية شروطا غيرها و هى:

۱- تسلّم الخلافة بعد معاوية الى الامام الحسن عليه السّلام.

۲- دفع مبلغ ۵۵ ألف درهم سنويا بالاضافة الى خراج دارابجرد. و قد قبل معاوية بهذه الشروط.

و لما رجع عبد اللّه بن نوفل الى الامام و اعلمه بشروطه التى طرحها لم يوافق عليها الامام و قال: لست طالب خلافة، و الاموال التى تعهد معاوية بدفعها لى انما هى من بيت المال و لا يحق له التصرّف ببيت مال المسلمين. ثم دعا كاتبه و امره بكتابة ما يلى:

«هذا ما تصالح عليه الحسن بن على و معاوية بن ابى سفيان صالحه

---

(۱) ر. ك. تاريخ الطبرى ج ۴ ص ۱۲۵. و ابن سعد. الطبقات ص ۱۶۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۷

على أن يسلّم إليه الأمر على أن يعمل فيها بكتاب اللّه و سنة نبيّه و سيرة الخلفاء الصالحين، و على انه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، و ان يكون الامر شورى و الناس آمنون حيث كانوا على انفسهم و اموالهم و ذراريهم، و على أن لا يبغى للحسن بن على غائلة سرا و لا علانية، و على أن لا يخلف احدا من اصحابه» «۱».

و يبدو ان الشروط الاخرى التى نقلت بشكل مفصل او مختصر هى اشارة الى هذه النقطة و انها كانت من تعابير المحدّثين، مع ما يحتمل أيضا من استعمال المؤرخين لعبارات متساهلة فى نفس هذا النص.

اما الشرط المالى الذى اورده بعض المؤرخين فى معاهدة الصلح فقد كذّبه الامام شخصيا إلّا أنّه قد ورد فى رواية أخرى ان هذا الشرط كان من اجل توفير ارزاق عوائل شهداء الجمل و صفين «۲»، و فى مثل هذه الحالة يحتمل ان يكون هذا الشرط خارج نص معاهدة الصلح المتفق عليها. و على كل الاحتمالات فمن البديهى أن الامام- و مع جميع ما ورد فى التاريخ بشأن كرمه وجوده- لا يطرح مثل هذا الشرط لمصالحه الشخصية، رغم ما لأهل البيت عليهم السّلام من حق وافر فى بيت مال المسلمين.

و يحتمل كذلك ان تكون اشاعة الشرط المالى التى اتخذت طابع الخبر التاريخى قد افرزتها الرسالة التى بعثها معاوية الى الامام الحسن يحثّه فيها على قبول الصلح و يعلن فيها استعداده لوضع مبلغ قدره مليون درهم سنويا تحت

---

(۱) ابن الاعثم، الفتوح، ج ۴ ص ۱۵۸، البلاذرى. انساب الاشراف ج ۲ ص ۴۲، ابن شهرآشوب:

المناقب ج ۴ ص ۳۳.

(۲) العلّامة المجلسى: بحار الانوار ج ۴۴ ص ۳۰. عوالم العلوم ج ۱۶ ص ۱۸۲ و ۱۸۷ و ۱۸۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۸

تصرفه بالاضافة الى خراج «دارابجرد» و «فسا» «۱». و من ثم نقلها المؤرخون المغرضون او الجهلة، فيما بعد على انها أحد بنود معاهدة الصلح.

و امّا موضوع تعيين الامام الحسن عليه السّلام كخليفة بعد معاوية و الذى جاء فى الرواية التى نقلناها فانّه لم يرد فى نصّ المعاهدة، و قد كذّبه الامام أيضا.

لكن مع كثرة الاخبار التاريخية الواردة فى هذا الصدد يستبعد أن يكون مصدرها جميعا رسالة معاوية تلك التى قال فيها ضمن تعهّداته بانه سيسلّم الخلافة من بعده الى الامام الحسن عليه السّلام.

و قد اشار الامام فى معاهدة الصلح الى أنّه: لا يحق لمعاوية تعيين الخليفة من بعده بل ينبغى ان يتم ذلك عن طريق شورى المؤمنين، و هذا لا يعنى اضفاء طابع الشرعية او الرسمية من قبل الامام على «شورى تعيين الخليفة» نظير الشورى التى شكّلها عمر او اى شكل آخر لها، بل ان الهدف من ذلك هو القبول الشعبى للحاكم و هذا لا يتنافى و معتقدات الشيعة، لان الحاكم و فى جميع الاحوال و إن كان الامام المعصوم، بحاجة الى قبول الشعب له لكى يتمكن من امساك زمام امور الحكم، و كذلك الحال بالنسبة الى اللّه سبحانه و تعالى، تكون له صفة الحاكمية التشريعية فى حال قبول الناس له و لدينه، رغم ان له الولاية التكوينية المطلقة على الكون شاء الناس ذلك أم أبوا.

لقد بادر الامام الحسن عليه السّلام الى مثل هذا العمل من اجل انقاذ الخلافة من نظام الوراثة الذى يتوقع ان يقوم به معاوية هذا من جهة، و من جهة اخرى فان الناس فى ذلك الوقت كانوا يعتبرون الخلافة مساوية للبيعة الاختيارية لاهل الحل

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف- ص ۴۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۹

و العقد، و انه من خلال احيائه لهذا المبدأ يكون قد اوقع معاوية فى دائرة مخالفة الناس فيما لو تجاوز ذلك، و رغم ان معاوية كان اذكى من ان يقع فى دائرة الخلاف مع اولئك الناس غير الواعين، و لكن ذلك كان اقصى ما يمكن اتخاذه من تدبير وقائىّ على يد الامام فى تلك الظروف العصيبة، لكى يفضح للناس شخصية معاوية المنافقة، و يكشف للأجيال القادمة دوره الخبيث فى التاريخ.

و النقاط المهمة الواردة فى معاهدة الصلح نستعرضها فيما يلى و بشكل مختصر:

۱- توفير الأمان للجميع و خاصة شيعة امير المؤمنين عليه السّلام الذين شاركوا بشكل او آخر فى معركتى الجمل و صفين ضد العثمانية.

۲- عدم وراثية الخلافة بعد معاوية.

۳- توفير الأمان لأهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على رأسهم الحسنان عليهما السّلام.

لكن معاوية لم يلتزم باى من النقاط الواردة اعلاه، و هنا يجب على اولئك الذين لا زالوا يوالون معاوية أن يذكروا لنا السبب فى أنه لم يلتزم بابسط تلك البنود، و لم يعمل بها رغم انه قبلها و وقّع عليها. و الاكثر اثارة من ذلك هو ان معاوية و بعد موافقته على بنود المعاهدة و توقيعه عليها، دخل الكوفة و قال ضمن كلمته التى القاها على مسامع الجمهور و بقيت الانظار مشدوهة لسماعها:

«انى كنت شرطت شروطا و وعدت عدة ارادة لاطفاء نار الحرب، و مداراة لقطع هذه الفتنة، فامّا اذا جمع اللّه لنا الكلمة و الالفة، و أمّنا من الفرقة، فانّ ذلك

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۰

تحت قدمىّ «۱». انّى و اللّه ما قاتلتكم لتصوموا و لا لتصلوا و لا لتحجّوا و لا لتزكّوا انكم لتفعلون ذلك، و انما قاتلتكم لأتأمّر عليكم و قد اعطانى اللّه ذلك و انتم كارهون» «۲».

يقول ابو ساسان الحصين بن منذر: لم يلتزم معاوية بايّ من التعهّدات التى قطعها للامام الحسن عليه السّلام اذ قتل حجرا و اصحابه و لم يعهد بانتخاب الخليفة الى شورى المؤمنين و اختار ابنه يزيد لولاية العهد من بعده، و سمّ الامام الحسن عليه السّلام «۳».

خطبة الامام عليه السّلام بعد دخول معاوية الى الكوفة

لما دخل معاوية الكوفة اصدر بيانا يهدّد فيه الناس أنّ من لم يبايع الى ثلاثة ايّام فلا أمان له. و عند ما اجتمع الناس فى مسجد الكوفة الجامع اراد معاوية الاستهانة بالامام الحسن و الحصول على تأييد ضمنى منه امام الملأ العام فدعاه الى القاء خطبة من على المنبر، و قد نقل المؤرخون روايات متضاربة فى هذا الصدد متضاربة، و اوردت كل رواية منها مقطعا مختلفا من خطبة الامام. فقد ورد فى احدى الروايات انه قال عليه السّلام:

«انما الخليفة من سار بكتاب اللّه و سنّة نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليس الخليفة من سار بالجور ذلك ملك ملك ملكا يتمتع به قليلا ثم تنقطع لذّته و تبقى تبعته (و ان

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف، ج ۲ ص ۴۶. و ر. ك. ابن الاعثم ج ۴ ص ۱۶۳.

(۲) الاصفهانى- مقاتل الطالبيين ص ۴۴ طبعة النجف.

(۳) البلاذرى- انساب الاشراف. ج ۲ ص ۴۸.

ادرى لعلّه فتنة لكم و متاع الى حين) «۱».

فالامام عليه السّلام يعرض معاوية للناس عن طريق الكناية بصورة ملك جائر، و جاء فى رواية اخرى أنه عليه السّلام اشار الى انه و اخاه الحسين عليه السّلام الشخصان الوحيدان على الارض اللذان جدّهم نبى الاسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اذ قال:

«ان اللّه قد هداكم بأوّلنا محمد، و أنّ معاوية نازعنى حقّا هو لى فتركته لصلاح الامّة و حقن دمائها».

نعم فبعد ان دامت خلافة الامام مدّة سبعة اشهر و سبعة أيّام أكره على التنازل عن الخلافة لمعاوية و الذهاب الى المدينة. و خلال هذه المدّة كان اهتمامه منصبا على الحرب، و كان من الصلاح من وجهة النظر الحكومية ابقاء عمّال ابيه استنادا الى ما ذكره ابن الخيّاط. و قد اصدر المغيرة بن شعبة كتابا مزيّفا لنفسه باسم الامام و كان ذلك من النقاط المهمة فى حياة بعض الصحابة الذين يعتبرهم اهل السنّة عدولا بأجمعهم و فعلهم حجّة شرعية.

الامام و معاوية و محاربة الخوارج

حينما كان الامام متوجّها الى المدينة اضطرم تمرّد الخوارج ثانية فى انحاء مختلفة من العراق. و كان امير المؤمنين قد قال سابقا بهذا الصدد: «لا تقاتلوا الخوارج بعدى» و هو ما يقتضى عدم مساعدة الشيعة للامويين فى قمع الخوارج.

و كان فى نية معاوية استغلال الشيعة لتحقيق هذا الغرض. فارسل الى الامام

---

(۱) الاصفهانى- مقاتل الطالبيين ص ۴۷. ر. ك. ذخائر العقبى ص ۴۰. نظم درر السمطين ص ۲۰۰- ۲۰۱.

الحسن عليه السّلام- الذى كان فى حينها قد وصل الى القادسية- كتابا يطلب منه العون لمحاربة الخوارج، و كان الامام على وعى تام باهداف هذه الخطّة فردّ إليه الجواب بهذا المضمون: «تركت قتالك و هو لى حلال لصلاح الامّة و الفتهم، أ فترانى اقاتل معك» «۱».

و ورد فى نصوص أخرى بأن الامام قال: «لو آثرت أن أقاتل احدا من اهل القبلة لبدأت بقتالك» «۲».

و هذا دليل آخر أيضا على رأى الامام القاطع بشأن محاربة القاسطين.

و كان معاوية فى كل مرة يسعى للقضاء على بنى هاشم باسلوب معين، فقال فى احدى المرات: «اذا رأيتم هاشميا غير كريم و أمويّا غير حليم و عواميّا غير شجاع فأعلموا انهم لا يشبهون آباءهم».

و لما سمع الامام المجتبى هذه المقولة، قال:

«و اللّه ما اراد بها النصيحة، و لكن اراد أن يفنى بنو هاشم ما فى ايديهم فيحتاجون إليه، و أراد الحلم لبنى أميّة حتى يحبّهم الناس، و اراد للزبيريين الشجاعة حتى يعرّضوا انفسهم للقتل» «۳».

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف: ج ۲ ص ۴۶.

(۲) ابن الاثير ج ۲ ص ۴۲. المبرد، الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۳۳. ابن ابى الحديد ج ۵ ص ۹۸.

(۳) ربيع الابرار ج ۳ ص ۴۲۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۳

خصائص الامام الحسن عليه السّلام

يعتبر الامام الحسن المجتبى عليه السّلام احد النماذج الانسانية المتميزة، و شخصيته الفريدة و الاجتماعية يمكن ان تكون معلما بارزا للسائرين على طريق الانسانية.

و ليس بالامكان هنا تناول جميع الروايات فى هذا المجال بشكل مفصل، لذا نقتصر على ذكر عدد من النقاط فيما يلى:

ففى الجانب العبادى تعتبر ملامحه الوضاءة تاجا يزيّن تاريخ البشرية فقد جاء فى رواية ان الامام الحسن المجتبى قال: «انّى لأستحى من ربّى أن القاه و لم امش الى بيته».

فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه «۱». و نقل أيضا: لقد حجّ الحسن خمسا و عشرين حجّة ماشيا «۲».

و من الميّزات الاخرى التى تمتاز بها شخصيته هى العفو و التسامح و الاستفادة المشروعة من النعم الالهية و هذا ما تناقلته السن المؤرخين «۳».

ففى رواية: «ان رجلا جاء إليه طالبا حاجة فقال: ليكتب حاجته و يأت بها، فلما حضر الرجل دفع إليه الامام ضعف ما طلب» «۴».

و جاء فى رواية أخرى: «ان الحسن عليه السّلام قاسم اللّه ماله ثلاث مرّات حتى انه

---

(۱) ابو نعيم الاصفهانى- اخبار اصفهان ج ۱ ص ۴۴.

(۲) السيوطى- تاريخ الخلفاء ص ۷۲.

(۳) ربيع الابرار ج ۱ ص ۶۱۷.

(۴) البيهقى، المحاسن ص ۵۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۴

كان يعطى نعلا و يمسك نعلا و يعطى خفّا و يمسك خفّا» «۱».

و من الصفات الجميلة الاخرى التى تميّز بها امامنا هذا هى الحلم و الصبر و التحمل و تجنّب الرياء و التنسّك. و قد وردت روايات متعددة فى هذا الصدد نورد احداها:

قال رجل من اهل الشام: «رأيت فى احد الايام رجلا حسن الهيئة، و سيما، يرتدى ثيابا فاخرة، و هو راكبا بغلة زيّنت بشكل يلفت النظر، فسألت عنه فقيل لى: هو الحسن بن علىّ بن ابى طالب، فملئت غيضا منه و حسدت ابن ابى طالب على مثل هذا الولد. فلما دنوت منه سألته أنت ابن ابى طالب؟ فقال ابن ابنه. فانبريت له بالسبّ و الشتم، فلما فرغت قال: هل أنت غريب؟ قلت نعم.

قال: هلمّ معى. ان كنت مشردا اويناك، و ان كنت محتاجا اعطيناك، و ان كنت جائعا اطعمناك، فو اللّه ما فارقته و على الارض احد احبّ إلىّ منه».

و إضافة الى دوره فى الامامة و كونه حلقة وصل فى نقل آثار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما نقله اهل السنة عنه أيضا من روايات فى الفقه «۲»، فإن اهمّ دور ادّاه فى المجال الدينى هو حثّ الناس على كتابة الحديث. و هو امر فى غاية الاهمية اذ ادّى نهى الخلفاء عنه الى بقاء الاحاديث لدى الشيعة من جهة، و من جهة اخرى واجه اهل السنة مشكلة ضياع و فقدان الاحاديث بسبب عدم تدوينهم لها فى بداية الامر.

و قد روى عنه انه اوصى اولاده و أولاد اخيه فقال لهم:

---

(۱) السيوطى، تاريخ الخلفاء ص ۷۳.

(۲) ابن عدى- الكامل فى ضعفاء الرجال ج ۳ ص ۱۱۸۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۵

«يا بنىّ انّكم صغار قوم فتوشكون ان تكونوا كبارا، فتعلّموا العلم فمن لم يستطع ان يحفظه او يرويه فليكتبه و يضعه فى بيته» «۱».

و كان الامام احيانا مرجعا لحل بعض المعضلات التى يطرحها بعض الناس على معاوية «۲».

استشهاد الامام عليه السّلام

انّ إحدى الجرائم البشعة التى ارتكبها معاوية خلال فترة حكمه هى قتله ريحانة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الامام الحسن المجتبى عليه السّلام، و آثار هذه الجريمة المروّعة مسطورة علنا على صفحات التاريخ. و قد تمّت تلك الجريمة بهذا الشكل الرهيب الذى دبّره معاوية بالاتفاق مع عنصر خبيث و فاسد مثل بنت الاشعث بن قيس (زوجة الامام) التى دسّت له السم فمات شهيدا. لقد كشف معاوية عن وجهه المنافق المرائى و فضح شخصيته الشيطانية و نقضه للعهود و المواثيق مرّات و مرّات خلال فترة حياته السياسية. و كانت هذه الجريمة اوضح من غيرها فى انظار الناس.

و قد اثبت التاريخ هذه الحقيقة «۳». فقد نقل الطبرى عن (أم بكر بنت المسوّر) أنها قالت: سقى السم للامام المجتبى عدة مرات، و كان ينجو منه فى كل مرّة الى أن مات فى المرّة الاخيرة «۴» و مع هذا فنحن نجد اشخاصا متعصّبين يدافعون عن بنى

---

(۱) البخارى- التاريخ الكبير، ج ۵ ص ۴۰۷.

(۲) الزمخشرى- ربيع الابرار، ج ۱ ص ۷۲۲.

(۳) المسعودى- مروج الذهب ج ۲ ص ۵۰. ابن عبد البر- الاستيعاب ج ۱ ص ۳۸۹. و ...

(۴) الطبرى- المنتخب من ذيل المذيل ص ۵۱۴ طبعة دار المعارف فى مصر.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۶

أميّة بأىّ شكل من الاشكال من امثال ابن خلدون الذى اشار الى أن هذه القضية لا اساس لها و هى ضعيفة و قال:

«انّ ما ذكر بشأن سم الحسن بن على على يد معاوية فهى رواية لفّقها الشيعة و حاشا لمعاوية ذلك» «۱».

و لا ريب أنّ هذا ناتج عن الميول المذهبية الخاصة عند ابن خلدون الذى يرغب فى تغيير شهادة تاريخ الاسلام دفاعا عن شخصية مشبوهة و كريهة مثل معاوية.

و ان مأساة الامام و مظلوميته فى دفنه كانت اكثر أساة و ايلاما، فعند ما اراد اهل البيت دفنه الى جوار قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم طبقا لوصيّته، انبرت لهم زمرة من بنى أميّة مع احدى زوجات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (عائشة) «۲»، و هى زمرة طالما وقفت فى الظروف الحساسة و المصيرية بوجه اهل البيت من اجل تغيير مسار الاحداث لصالح الافكار المنافقة و المراكز الخفية المعادية للاسلام. فقد رفع مروان بن الحكم عقيرته من بين هذه الزمرة المشاغبة و صاح: أ يدفن عثمان فى اقصى اطراف البقيع بدفن الحسن بن على فى بيت رسول اللّه؟! و كانت المرأة التى تقود ذلك الشغب راكبة على بغل و تسير امام ذلك الجمع و تدّعى ملكية دار النبى عن طريق الارث، و تمانع بكل قوّة و اصرار من دفن الامام فى مقبرة رسول اللّه، مع انها ممن رووا: «انا معاشر الأنبياء لا نورث»! و بعد هذا النزاع المؤسف و الجدال المرير دفن الشهيد المظلوم فى البقيع.

---

(۱) ابن خلدون- العبر- ج ۲ ق ۲ ص ۱۸۷.

(۲) الاصفهانى- مقاتل الطالبيين ص ۴۹. ابن شهرآشوب- المناقب ج ۲ ص ۱۷۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۷

و يحتمل ان استشهاد الامام كان بين سنتى ۴۹ و ۵۰ للهجرة. و قد اقيمت فى المدينة المنورة مآتم الحزن على ريحانة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عطّل اهل المدينة- و كان اكثرهم من ابناء الانصار- اسواقهم و اقاموا مجالس الحداد على هذه الفاجعة الكبرى «۱».

و طبقا لما ذكره الطبرى فان نساء بنى هاشم اقمن مجلس نياحة لمدّة شهر باكمله و امتنعن عن الزينة عاما بتمامه. و استنادا الى ما نقله الطبرى أيضا عن الامام الباقر عليه السّلام: ان الناس بكوا على الحسن بن على سبعة أيّام و لم يفتحوا فيها اسواقهم «۲». و ذكر أيضا ان جمعا عظيما من الناس شارك فى دفن الامام المجتبى فى البقيع و كان الزحام شديدا الى درجة لم يبق معها محل لسقوط الابرة.

و يقول عمر بن بشير الهمدانى: قلت لأبى اسحاق: متى ذلّ الناس؟ قال حين مات الحسن، و ادّعى زياد، و قتل حجر بن عدى «۳».

---

(۱) الحاكم النيسابورى- المستدرك ج ۳ ص ۱۷۳.

(۲) المنتخب من ذيل المذيل ص ۵۱۴.

(۳) الاصفهانى- مقاتل الطالبيين ص ۵۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۹

الامام الحسين عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۱

قال الامام الحسين عليه السّلام: «إنّا اهل بيت النبوّة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة و محط الرحمة و بنا فتح اللّه و بنا ختم» «۱».

الامام الحسين عليه السّلام هو ثالث أئمة الشيعة و قد ترك تأثيرا عميقا فى نفوسهم بسبب استشهاده. كما هو حال اخيه عليه السّلام محبوب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو من ابرز مصاديق: (اهل البيت، ذو القربى، سيد شباب اهل الجنّة، اصحاب الكساء

و ...)

و قال فيه الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اجمل كلام له فى الثناء «حسين منى و انا من حسين». و هنالك مصادر كثيرة جمعت و دوّنت الروايات التى تتحدث عن فضائله «۲».

و علاوة على مشاركة الامام الحسين عليه السّلام فى حروب الجمل و صفين

---

(۱) الفتوح ج ۵ ص ۱۷.

(۲) ر. ك. الفيروزآبادى فضائل الخمسة فى صحاح السّتة.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۲

و النهروان، فانّه قد وقف بثبات خلف امامة ابيه، و وقف أيضا الى جانب أخيه، و دافع عن موقفه عند ما صمم على الحرب، و عند ما صمم على الصلح.

و قد خصصنا فصلا من كتاب التاريخ السياسى للاسلام ل «رأى الامام الحسين عليه السّلام بشأن الصلح» «۱» و اثبتنا فيه عدم صحة ما اورده بعض المعاندين من معارضة رأى الحسين عليه السّلام لموقف أخيه. و استنادا الى النصوص التاريخية الصريحة فانّه لم يكن مماثلا لأخيه فى الرأى من باب التابعية فقط، بل حتى من حيث التحليل فانه كان يعتقد بنفس تحليل أخيه للأوضاع أيضا «۲». و من المواقف الاخرى للامام هو تصدّيه لمعاوية بسبب قتله لحجر بن عدى و اصحابه. و كتب له كتابا مطوّلا يذكر فيه: انه لا يريد حربه و لا الخلاف عليه، لكنه يخشى ان لا يرضى عنه اللّه فى قعوده عن حرب معاوية. ثم اشار الى استشهاد حجر و وصفه بالشخص العابد الذى ينكر الظلم، و يخالف البدع و لم يكن يخشى شيئا، و قرّع معاوية على قتله ايّاه، و كذلك طرح له الامام جملة من اخطائه منها ادعاؤه ان زيادا أخوه و شرح له جرائم زياد بحقّ المسلمين فى العراق. و فى الختام هدده الامام بالقيامة و الحساب و الكتاب و انه لن ينجو من العذاب بسبب ايذائه للناس و حبسهم و تعذيبهم، و استقبح الامام فعله فى اخذ البيعة ليزيد شارب الخمر اللاعب بالكلاب «۳».

و فى الحقيقة ان اكثر الاحداث اهمية فى حياة الامام الحسين عليه السّلام هى واقعة

---

(۱) التاريخ السياسى للاسلام من سنة اربعين الى نهاية القرن الاول للهجرة.

(۲) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۲۱، الامامة و السياسة ج ۱ ص ۱۵۱، الارشاد ص ۲۰۶.

(۳) انساب الاشراف ترجمة معاوية ج ۲ ص ۷۴۴ حديث ۳۰۳، الاخبار الطوال ص ۲۲۴، الامامة و السياسة ج ۱ ص ۱۸۰، رجال الكشى ص ۴۸، دعائم الاسلام ج ۲ ص ۱۲۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۳

كربلاء التى كان لها اعمق الاثر فى حياة الشيعة و خاصة فى الجوانب الروحية و التاريخية لذا فاننا لا نطيل المكوث فى هذه المقدمة و ننطلق منها مباشرة لتبيان واقعة كربلاء.

الامام الحسين عليه السّلام و مبايعة يزيد

بعد هلاك معاوية فى شهر رجب من العام ۶۰ الهجرى تربّع يزيد- الذى فرضت خلافته على المسلمين مسبقا بالاكراه- مكان ابيه فى السلطة و صرف كل همّه الى اخذ البيعة من خصومه و معارضيه البارزين فى المدينة، لأنهم كانوا يعتبرون خطرا كامنا يهدّد حكومته «۱».

و لم يكن خبر موت معاوية قد بلغ اسماع اهل المدينة بعد، حتى كتب الى الوليد بن عتبة بن ابى سفيان واليه على المدينة يأمره بأخذ البيعة من الحسين بن على عليه السّلام و عبد اللّه بن الزبير و يشدد عليهما تشديدا لا رخصة فيه. و لما وصله الكتاب استشار مروان فاشار عليه باحضارهما فى نفس تلك الليلة و اخذ البيعة منهما و الا فيضرب اعناقهما قبل أن يعلن الخبر فيثب كل واحد منهما إلى ناحية و يظهر الخلاف «۲».

و بعد أن جاءه الخبر، جمع الحسين نفرا من مواليه و غلمانه ثم مشى نحو دار الامارة و امر فتيانه ان يجلسوا بالباب فان سمعوا صوته اقتحموا الدار.

و هناك اقرأه الوليد الكتاب فقال الحسين عليه السّلام: ان مثلى لا يبايع سرّا، فاذا

---

(۱) الدينورى الاخبار الطوال ص ۲۲۷.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۱.

جمعت الناس لذلك حضرت و كنت واحدا منهم.

فاقتنع الوليد بكلامه، الّا ان مروان حثّه على حبس الامام حتى يبايع.

و اشتد الكلام بين الحسين و مروان، و لما همّ الحسين بمغادرة دار الوليد قال له: «إنّا اهل بيت النبوّة، و معدن الرسالة، و مختلف الملائكة، و محط الرحمة، و بنا فتح اللّه و بنا ختم، و يزيد رجل فاسق شارب الخمر، و قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، و مثلى لا يبايع مثله» «۱».

و فى هذا المجلس صرّح الامام بأولويّة اهل البيت عليهم السّلام بالخلافة استنادا الى آية التطهير «۲».

و فى اليوم التالى كان ابن الزبير قد خرج من المدينة «۳»، و فى الليلة التالية (فى الثالث من شعبان عام ۶۰ للهجرة) مضى الحسين عليه السّلام أيضا نحو مكة و معه عامّة من كان بالمدينة من اهل بيته الّا اخاه محمد بن الحنفية فانّه أقام «۴».

و كانت مكّة اكبر قاعدة دينية فى الاسلام و كانت دائما محل تجمع الشخصيات الاسلامية الكبيرة. و اتّصل الامام هناك بالشخصيات المختلفة و اوضح لهم اسباب عدم مبايعته ليزيد.

ابتهج اهل الكوفة كثيرا عند سماع هذا الخبر، لأنهم كانوا يعدّون اللحظات انتظارا لهذا اليوم، و لهذا فقد اجتمع جماعة من رؤسائهم و من ضمنهم سليمان بن

---

(۱) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۷.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۲۵.

(۳) الدينورى الاخبار الطوال ص ۲۲۸.

(۴) ابن الاعثم ج ۵ ص ۳۷.

صرد و ... فتحدثوا فى هذا الاجتماع و طرحوا موضوع دعوة الامام الى العراق و لاجل حصول الاطمئنان الكامل و التوثق من هذه القضية اخذ سليمان بن صرد من الحاضرين عهدا بعدم نقض ما اتفقوا عليه «۱» ثم ارسلوا إليه كتابا و فيه تواقيع عدد من رؤساء الشيعة من امثال: سليمان و المسيّب بن نجبة و حبيب بن مظاهر و رفاعة بن شدّاد و عبد اللّه بن وال يدعونه فيه للقدوم الى الكوفة.

و لم يردّ الامام على هذه الكتب و ما زالت تأتيه الكتب الواحد تلو الآخر، حتى جاءه قيس بن مسهر الصيداوى و عبد اللّه بن وال نيابة

عن الناس لمقابلته و دعوته الى الكوفة و التباحث معه حول هذا الموضوع. و ظلت كتب اهل الكوفة تأتيه بشكل متواصل حتى اتخذت القضية طابعا لم يعد بالامكان السكوت حياله او تجاهله و عدم الاهتمام به «۲».

و فى هذه الاثناء التقى بالامام فى مكة هانئ بن هانى و هو احد شخصيات الكوفة. و فى هذا اللقاء عرض على الامام استعداد اهل الكوفة و حتى اشرافها لاستقباله و كان ذلك بمثابة التأكيد على محتوى الكتب التى وصلته.

و كان اول عمل قام به الامام هو ارسال مسلم، و لمّا تأهب مسلم للرحيل قال له: «إن رأيت الناس مجتمعين على بيعتى فعجّل لى بالخبر حتى اعمل على حسب ذلك» «۳».

و ورد اول كتاب من مسلم بعد وصوله و هو يؤكد على ايجابية الموقف،

---

(۱) الطبرى ج ۵ ص ۲۶۱. ابن الاعثم ج ۵ ص ۴۶.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۴۹.

(۳) ابن الاعثم ج ۵ ص ۵۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۶

و جاء فيه: «بايعك اكثر من ۲۰ الفا من اهل الكوفة، عند ما يصلك كتابى عجّل بالمسير» «۱».

ان كتب اهل الكوفة و كلام مبعوثيهم و كتاب مسلم عن الموقف فى الكوفة تشير باجمعها الى ان حركة قوية ضد السلطة الاموية على و شك الاندلاع. و فى الثامن من ذى الحجّة و فى غمرة مناسك الحج عجل الامام بالمسير نحو الكوفة، لأنّه كان يرى ان لحظة واحدة من التأخير يمكن أن تؤدّى الى قلب اوضاع الكوفة لصالح بنى أمية.

و فى الطريق لحق الامام بعير مقبلة من اليمن و فيها هدايا مرسلة الى يزيد فى الشام فأخذها و ما عليها و قال لاصحاب الأبل من اراد منكم فليأت معنا الى العراق و من اراد ان يفارقنا فليرحل «۲».

ثم واصل مسيره نحو الكوفة فالتقاه الفرزدق الشاعر مقبلا من العراق يريد مكّة، فسأله عن الوضع فى الكوفة فقال: «قلوب الناس معك و سيوفهم عليك».

و مضى الحسين عليه السّلام حتى اذا صار «ببطن الرمّة» كتب الى اهل الكوفة يعلمهم بقرب وصوله «۳» ثم بعث بالكتاب مع قيس بن مسهر الصيداوى، و قبل وصوله الى الكوفة اخذه حصين بن نمير و بعث به الى ابن زياد. و لكى لا يقع الكتاب بيد ولاة الامويين عمد الرجل الى قضم الكتاب و بلعه. و بعدها بعدّة ايام استشهد فى الكوفة.

---

(۱) ابن الاعثم، ج ۵ ص ۱۵۰.

(۲) البلاذرى، انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۶۴، تصحيح المحمودى. الدينورى الاخبار الطوال ص ۲۴۵.

(۳) الدينورى الاخبار الطوال ص ۲۴۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۷

استمر الامام فى طريقه حتى وصل منطقة زورد و لقى فيها زهير بن القين الذى كان الى حد تلك اللحظة عثمانى الرأى، و طلب منه النصرة. فتأثر بكلام الحسين، و تشجيع زوجته فقبل الدعوة و التحق بتلك القافلة المتوجهة الى كربلاء.

و لما وصل الامام الى مكان يقال له ذات عرق لقيه شخص من بنى اسد و اخبره باستشهاد هانئ و مسلم «۱».

و قد ورد فى احدى الروايات التاريخية ان الامام قرر الرجوع فى تلك اللحظة الا أن اخوة مسلم منعوه، و لكن يستبعد أن تكون هذه الرواية صحيحة.

ذلك لأن الامام و جميع من برفقته لا زالوا حتى ذلك الحين يحسبون للكوفة حسابها و يعلقون عليها املا كبيرا، و كان التصوّر السائد لديهم هو: «و اللّه ما أنت بمسلم بن عقيل و لو قدمت الكوفة لكان الناس إليك اسرع» «۲».

و فى منطقة زبالة وصلت الى الامام رسالة مسلم التى كان قد طلب فى آخر لحظات حياته من عمر بن سعد ارسالها الى الامام. و فى هذه الرسالة اوضح مسلم للامام بأن الكوفة قد اضحت بمثابة فخ ينتظر قدومه فعليه ان لا يقترب منها. و لم يمض طويل وقت حتى بلغه خبر استشهاد قيس بن مسهر «۳» و عبد اللّه بن يقطر «۴» اخو الامام من الرضاعة. و كان مجموع هذه المعلومات يشير الى أن كفّة الظروف و الموقف السياسى فى الكوفة تميل لصالح الأمويين. و بناء على هذه المستجدّات، اشار الامام خلال اجتماع احتشد فيه عدد كبير ممن رافقه، الى هذه الاوضاع و قال

---

(۱) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۲۰.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۲۰.

(۳) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۴۸.

(۴) ضبط فى بعض كتب التاريخ نفس المهموم قيس بن مسهر و عبد اللّه بن بقطر.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۸

لهم:

«أيّها الناس قد خذلنا شيعتنا فمن اراد منكم الانصراف فلينصرف» «۱».

و عند سماع الناس هذا الكلام انصرف عدد كبير من الناس ممن كانوا قد تبعوا الامام لاغراض ماديّة. و بقى معه نفر من اهل بيته و خاصة انصاره الذين رافقوه من المدينة او مكّة «۲».

و بالنظر لطبيعة الظروف السياسية الخاصة فى تلك الايّام تيقّن الامام ان حركته المعارضة هذه ستمنى بالفشل العسكرى. و لكن من الواضح ان هذه الحرب غير المتكافئة بين الحسين بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الامويين كانت لها اسباب و دوافع معنوية أخرى لا يمكن فهمها او تحليلها بالمنظار السياسى المتعارف.

و استمر الامام فى مسيره نحو الكوفة حتى بلغ منطقة شراة، فامضى فيها ليلته و واصل فى اليوم التالى مسيره، و عند منتصف النهار لاحت له طلائع جيش الكوفة بقيادة الحر بن يزيد الرياحى. كان الحر قائدا عسكريا، و كان فى مهمّته هذه يؤدى واجبه العسكرى الموكل إليه فقط، و لا ينظر مطلقا الى الجانب السياسى من الموضوع. و لهذا السبب فانّه وقف و جميع من معه خلف الامام مؤتمين به لصلاة الظهر. و كانت مهمة الحر هى اخذ الامام الى الكوفة و منعه من العودة.

و لما انتهى الحسين عليه السّلام من صلاته حوّل وجهه الى القوم ثم قال:

«انّى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم، و قدمت علىّ رسلكم، فان اعطيتمونى ما

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف ص ۱۶۹.

(۲) ر. ك الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۴۸. البلاذرى- انساب الاشراف ص ۱۶۹. الطبرى ج ۴ ص ۳۰۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۹

اطمئنّ إليه من عهودكم و مواثيقكم دخلنا معكم مصركم، و ان تكن الاخرى انصرف من حيث أتيت» «۱».

و ادّعى الحرّ انه لا يعلم بهذه الكتب. و رفض الامام الذهاب الى الكوفة و سلك طريق الحجاز «۲». فاصطف الحر و فرسانه معترضا طريقه. و بعد أخذ و ردّ اتفقا على سلوك طريق وسط لا تؤدى الى الكوفة و لا الى الحجاز، فالتزما طريقا تؤدى الى العذيب» «۳».

و هنا عرض الطرماح بن عدى على الامام ان يسير نحو جبال طى لكنه ردّ عليه هذا الاقتراح بسبب ما توافق عليه مع الحر «۴». و حاول الامام فى مسيره التباعد عن الكوفة جهد المستطاع، لكن الحر كان يمنعه من ذلك حتى بلغوا قصر بنى مقاتل، ثم توجّهوا منها الى نينوى «۵». و فى نينوى وصل الى الحر كتاب من ابن زياد يأمره فيه أن يجعجع بالامام، و لا يحلّه الا بالعراء على غير خمر و لا ماء «۶». و هنا جاء عدد من شيعة الكوفة، و رغم معارضة الحر لهم فانهم قد دخلوا فى عسكر الحسين «۷». و كتب البلاذرى ما يلى: طلب الامام من الحر السماح له

---

(۱) الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۴۹، البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۷۰، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۳۵.

(۲) الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۵۰.

(۳) نفس المصدر ص ۲۵۰، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۴۱، البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۷۰.

(۴) الطبرى ج ۴ ص ۳۰۷، البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۷۳.

(۵) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۵۱.

(۶) البلاذرى- المصدر السابق ج ۲ ص ۱۷۶، الدينورى المصدر نفسه.

(۷) نفس المصدر السابق.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۰

بالذهاب الى الشام ليضع يده بيد يزيد «۱».

لكن اكثر المؤرخين ضعّفوا هذه الرواية، مضافا الى ان كل الذى جرى و يجرى الى تلك اللحظة انما كان بسبب عدم مبايعة الامام ليزيد، فلو كان عليه السّلام مستعدّا للبيعة لما وقعت تلك الحرب و لما أريقت كل تلك الدماء.

و بينما كان الحر يساير الامام، عرض زهير بن القين على الامام قتال هؤلاء القوم فهم قلة و قتالهم أيسر، لكن الامام رفض هذا الاقتراح قائلا: «إنّى اكره أن ابدأهم بالقتال» «۲».

و أكره الامام على النزول هناك، فامر بحط اثقاله فى كربلاء و كان ذلك يوم الاربعاء فى الاول من المحرم او يوم الخميس الثانى منه. و قال الدينورى انه كان يوم الاربعاء «۳».

و فى اليوم التالى بدأ جيش ابن زياد يتحشد فى ذلك المكان تدريجيا. و كان ابن زياد يؤكد على وجوب ان تتلطخ أيدى جميع القبائل بدم سبط النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليحول بذلك دون قيامها فى المستقبل بايّ تحرّك محتمل بدافع الانتقام لدم الحسين عليه السّلام. و بناء على رواية ابن اعثم فقد سار من الكوفة ما يقارب ۲۲ ألف رجل. لكن رواية البلاذرى «۴» و الدينورى «۵» تشير الى أن الكثير منهم تخلّفوا فى منتصف الطريق و فرّوا من جيش ابن زياد، لأن اكثرية اهل الكوفة لم تكن راغبة

---

(۱) نفس المصدر السابق.

(۲) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۵۳.

(۳) نفس المصدر ص ۲۵۳.

(۴) البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۷۹.

(۵) الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۵۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۱

فى قتال سبط الرسول، لذلك اصدر ابن زياد بيانا جاء فيه:

«أيّما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفا عن العسكر برئت منه الذمة» «۱». و تحت تأثير مثل هذا التهديد توجّهت هذه الجموع الى كربلاء.

و حتى عمر بن سعد بن ابى وقّاص الذى كان متأهبا للرحيل الى بلاد فارس كوال جديد على الرى لقتال الديالمة المشركين، و رغم كراهيته الشديدة هو و بنى زهرة «۲» للمشاركة فى دم الحسين عليه السّلام فقد جاءه امر ابن زياد بالقضاء اوّلا على الحسين و من ثم الذهاب الى الرى و تسلّم منصب الولاية عليها. و لذا عين قائدا لجيش الكوفة. و مرّ الرجل بحالة من الصراع النفسى الداخلى المرير حول هذا الموضوع انتهت به الى اختيار ولاية الرى فى مقابل اراقة دم سبط رسول اللّه «۳».

و كان اوّل عمل قام به ابن سعد بعد وصوله الى كربلاء هو ارسال مبعوث من قبله الى الامام ليستفسر منه عن سبب قدومه. فعرض عليه الامام جميع الرسائل التى وصلته من اهل الكوفة و قال:

«ان كان اهل هذا المصر غير راغبين فى استقبالى فانى راجع من حيث اتيت».

و كان ابن سعد يبحث عن طريق للتخلّص من هذا المأزق فبعث بكتاب الى ابن زياد جاء فيه: «قطع لى الحسين عهدا بالرجوع الى الحجاز او الذهاب الى أحد

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۷۸.

(۲) ابن سعد، مجلّة تراثنا العدد العاشر ص ۱۷۸.

(۳) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۷۳.

الثغور الاسلامية و العيش فيها كإنسان عادى. و فى هذا لك رضا و للامة صلاح» «۱».

و ابدى ابن زياد رغبة فى قبول رأى ابن سعد لكن الشمر جعله يعدل عن رأيه فكتب الى عمر بن سعد ما يلى: «لم ابعثك الى الحسين لتطاوله الايّام، فان نزل الحسين و اصحابه على الحكم فابعث بهم إلىّ سلما، و ان ابوا فازحف إليهم حتى تقتلهم و تمثّل بهم فانهم مستحقون لذلك» «۲».

فارسل عمر بن سعد بكتاب ابن زياد الى الحسين، فقال الحسين للرسول:

«لا أجيب ابن زياد الى ذلك ابدا فهل هو الّا الموت فمرحبا به» «۳».

و ورد كتاب ابن زياد الى عمر بن سعد: «ان امنع الحسين و اصحابه من الماء فلا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقى الزكى عثمان» «۴».

و كتب له كتابا آخر جاء فيه: «بلغنى ان الحسين و اصحابه حفروا الآبار و هم يشربون منها فاذا وصلك كتابى هذا امنعهم من ذلك و شدد عليهم فى الماء جهد المستطاع» «۵».

و فى الأيام الاخيرة التقى الامام بابن سعد عدّة مرّات، و جهد فى اقناعه بالتخلى عن تنفيذ الجريمة التى امر بها، لكن هاجس ولاية الرى- و كما تشير الروايات التاريخية- كان قد افقده صوابه.

---

(۱) المفيد، الارشاد ص ۳۳۹ طبعة بصيرتى- قم.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۶۶، البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۸۳.

(۳) الدينورى. الاخبار الطوال ص ۲۵۴.

(۴) ر. ك. الدينورى ص ۲۵۵، البلاذرى ج ۲ ص ۱۸۰، فيما يخص تهمة ابن زياد بشأن عثمان راجع كتاب التاريخ السياسى للاسلام الى سنة اربعين للهجرة ص ۳۷۷.

(۵) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۶۲، الطبرى ج ۴ ص ۳۱۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۳

و فى عصر التاسع من المحرم ابتدأ جيش الكوفة القتال، فسألهم الامام تأخير الحرب الى غد، فأجابوه. و فى الليل خاطب الامام انصاره و كل من تبعه قائلا لهم:

«إنّى قد اذنت لكم جميعا فانطلقوا فى حلّ ليس عليكم منّى ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا و ليأخذ كل منكم بيد رجل من اهل بيتى». فاعلن اصحابه استعدادهم للتضحية و الفداء «۱».

و فى تلك الليلة امر الحسين اصحابه ان يحفروا وراء البيوت اخدودا لئلا يأتوا من ادبار البيوت فيدخلوها. و انقضت ليلة العاشر من المحرم. و فى الصباح الباكر كان الجيشان قد اصطفا فى مقابل بعضهما استعدادا للقتال.

و عبأ الحسين عليه السّلام انصاره و هم خمسون رجلا ممن كانت لديهم القدرة على الحرب و اما العشرون الآخرون- كما ذكر ابن سعد «۲»- فهم الذين انضمّوا إليه من جيش الكوفة. ثم وجه الحسين عليه السّلام خطابه الى جيش الكوفة قائلا:

«قد أتتنى كتبكم و رسلكم ببيعتكم و انكم لا تسلمونى و لا تخذلونى، فان تممتم علىّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، و انا الحسين بن على بن فاطمة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نفسى مع انفسكم و اهلى مع اهلكم فلكم فىّ أسوة، و ان لم تفعلوا و نقضتم عهدى و نقضتم بيعتى فلعمرى ما هى لكم بنكير. لقد فعلتموها بأبى و اخى و ابن عمّى مسلم بن عقيل. عودوا الى رشدكم و انسبونى و انظروا هل يحق لكم قتلى و انا سبط النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ابن ابن عمه و هو اول

---

(۱) ابن سعد، مجلة تراثنا- العدد العاشر ص ۱۷۸، ابن الاثير- الكامل فى التاريخ ج ۴ ص ۵۸.

(۲) ابن سعد- تراثنا ص ۱۷۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۴

القوم اسلاما و اعمامى جعفر و الحمزة و العباس. أ لم تسمعوا رسول اللّه يقول عنى و عن اخى: «الحسن و الحسين سيّدا شباب اهل الجنة»، و ان لم تصدقوا فاسألوا جابر بن عبد اللّه الانصارى و ابا سعيد الخدرى و زيد بن ارقم، فهم احياء» «۱».

و لم يكن الحر بن يزيد يتصور حتى ذلك الوقت ان هذه التحركات ستنتهى الى حرب جدّية مع سبط رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. و لكنّه لما رأى ان القضية اضحت جادّة جاء الى ابن سعد و سأله: أ لم يقنعك كلام الحسين؟ فاجابه ابن سعد: «لو كان بيدى لما قتلته».

و بعد هذه الاحداث انحاز الحر بن يزيد الى الحسين و اعتذر له عما كان منه و اختار طريق الشهادة، و كان اول شهيد من انصار الامام الأوفياء «۲».

و كان نهج امير المؤمنين عليه السّلام فى جميع الوقائع العسكرية و المعارك أن لا يكون البادئ بالحرب، و ها هو ذا ابنه الحسين عليه السّلام يتأسى بنهج ابيه فلا يبادر بالحرب. و كان عمر بن سعد هو الذى اطلق اول سهم على جيش الحسين و قال للقوم: «اشهدوا لى عند الامير بأنى اوّل من رمى سهما على جيش الحسين» «۳».

و شبّت الحرب، و كانت فى أولها على شكل مبارزة فردية فكانت خسائر العدوّ اكثر بكثير من شهداء الحسين. فارعب هذا المشهد عمرو بن الحجّاج فصاح:

---

(۱) ابن سعد- مجلة تراثنا، العدد العاشر ص ۱۸۱، ر. ك. ابن الاثير ج ۴ ص ۶۱.

(۲) ابن الاثير ج ۴ ص ۶۴.

(۳) الطبرى ج ۴ ص ۳۲۶، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۵

«إنكم تقاتلون شجعان العرب و لو لم ترموهم بالحجارة ليقتلونكم» «۱».

فحمل جيش الكوفة حملة واحدة على الامام و اصحابه، و استشهد خلال عدّة معارك جميع انصار الحسين حتى لم يبق معه غير اهل بيته و ثم استشهد جميع اهل بيته، و انتهت المعركة باستشهاد الامام مع ۷۰ رجلا من اصحابه.

دور الانحراف الدينى فى واقعة كربلاء

لقد حصلت فى المجتمع الاسلامى خلال الفترة الممتدة من وفاة النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حتى واقعة كربلاء تغييرات و انحرافات ثقافية جسيمة. و بالرغم من ان نمو و انتشار هذه الانحرافات اتخذ طابعا متدرّجا، لكن الكثير من العلماء يعتقدون ان قواعدها الاولى قد أرسيت فى السنوات الاولى التى تلت رحلة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و الانحرافات التى تهمّنا فى هذا الصدد هى تلك الانحرافات التى استغلها الحكّام لاستغفال الناس و تبرير جورهم و استبدادهم.

و كان لبنى أميّة دور فاعل فى ايجاد و نشر هذه الانحرافات، و كانوا يستغلّونها دائما للتغطية على تصرفاتهم المعادية و المخالفة للاسلام، لانهم لم يكونوا قادرين على صياغة شخصياتهم الجاهلية المتفرعنة، و اخراجها بشكل ينسجم مع الاسلام. و استخلاف يزيد هو احد الاحداث التاريخية التى اثبتت ان بنى أمية لا يقيمون للاسلام اى وزن، و ان تظاهرهم به انما هو لمجرّد التغطية على وجههم القبيح، و تبرير تسلطهم على رقاب الناس و اكراه الناس على قبولهم.

---

(۱) الطبرى ج ۴ ص ۳۳۱، ابن الاثير ج ۴ ص ۶۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۶

و قد وصف الامام الحسين عليه السّلام بنى أميّة بقوله: «إنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان و تركوا طاعة الرحمن و اظهروا الفساد و عطّلوا الحدود و استأثروا بالفيء» «۱».

و من اجل تنفيذ مخططاتهم الشيطانية الفاسدة، عمدوا الى تحريف المفاهيم الاسلامية الاصيلة و جعلوا يستغلونها فى موارد غير مشروعة. و سنورد فيما يلى امثلة و نماذج لتلك المفاهيم التى امتدت ايديهم إليها بالتحريف، و كان لها دور مؤثر فى وقوع حادثه كربلاء المأساوية مع اسناد ذلك بالشواهد التاريخية.

طاعة الائمة، و وجوب حفظ الجماعة، و حرمة نقض البيعة

تعتبر العبارات الثلاث هذه هى من اكثر الاصطلاحات تداولا على السنة الكثير من الخلفاء، و ربّما يمكن القول بانها كانت تقيم دعائم خلافتهم و تضمن بقاءها و استمرارها. و المصطلحات الثلاثة المارّة الذكر صحيحة باجمعها و تشتمل على مفاهيم اسلامية أساسية دينية و سياسية. و حتى من الناحية العقلية أيضا فان استمرار المجتمع و حفظ الحياة الاجتماعية من الانهيار يقوم على هذه المبادئ الثلاثة المهمّة.

صحيح ان طاعة الامام تحظى بأهمية بالغة، لأن طاعة الامام تعنى اتباع النظام الحاكم، و لكن هل يجوز اطاعة اى امام و لو كان جائرا؟ امان الامام يجب أن يتمتع بجملة من الشروط و الصفات و من ضمنها العدالة و التنفيذ الصحيح و الدقيق للاحكام الاسلامية؟

---

(۱) البلاذرى- ج ۲ ص ۱۷۱، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۴۴، الطبرى ج ۴ ص ۳۰۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۷

و مما يؤسف له ان عدم وجوب العدالة اصبح امرا مقبولا من الناحية العملية، بل من الناحية النظرية أيضا ارتضاه عدد كبير من الناس.

و المحافظة على الجماعة تعنى عدم اثارة الاضطرابات و الفتن و عدم القيام بما من شأنه تفريق وحدة الصف، و زعزعة المجتمع، و لكن هل يمكن الصمت ازاء التسلط الاستبدادى و الحاكم الفاسق؟ و اذا ارتفع صوت بالاحتجاج ضد مثل هذه الحكومة، هل يجب اعتباره اخلالا بالنظام الاجتماعى و تفريقا لوحدة الجماعة؟! اما عدم نقض البيعة فقد اثنى عليه الاسلام كثيرا باعتباره تمسكا بالعهد، و بالغ فى مذمّة نقض العهد و البيعة، و لكن اذا كان المبايع مثل يزيد او البيعة المنقوضة مثل بيعته فهل يخلّ ذلك بالجماعة؟ بل و يتوسع فى هذا المبدأ بحيث يدان المعترض و يستنكر فعله أم يجب استثناء مثل هذه الموارد من المبدأ المذكور؟

و كما سبقت الاشارة فان خلفاء بنى أميّة و من بعدهم خلفاء بنى العباس استغلوا هذه المفاهيم بشكلها المحرف- اى بمعنى الاستفادة من هذه المبادئ الثلاثة محذوفا منها الشروط و الضوابط التى وضعها الاسلام لها- و بهذا الشكل كانوا يدفعون الناس الى القبول بحكمهم.

فعند ما اراد معاوية اخذ البيعة ليزيد ذهب الى المدينة لكى يكره المعارضين فيها على المبايعة أيضا، و كانت عائشة من جملة المعارضين، لأن اخاها محمد بن ابى بكر قد قتل على يد معاوية، و لما عرض عليها موضوع البيعة خاطبها قائلا:

«اننى قد اخذت البيعة ليزيد من جميع المسلمين، فهل تجيزين لى نقضها.

فاعتبر تلك البيعة التى ثبتت كأنها فى حكم العدم و ان يخلع الناس عهودهم»؟

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۸

فقالت له عائشة: «انى لا ارى ذلك و لكن عليك بالرفق و التأنى» «۱».

و هذه الحالة تبيّن لنا كيف ان عائشة قد لانت و تساهلت فى مبدأ نقض البيعة و تركت معاوية لحاله. لأن مبدأ عدم نقض البيعة و بالشكل الذى استغلّه معاوية هو من نتاج افكار عائشة و امثالها.

يقول ابن إسحاق: كنا نصلى (ظاهرا فى المسجد الحرام) و كان شمر بن ذى الجوشن يصلى معنا أيضا. و بعد الصلاة رفع يديه الى السماء و قال: اللهم انك تعلم انى رجل شريف فاعف عنّى. فقلت له: و كيف يعفو عنك و أنت ممن اشترك فى قتل سبط الرسول؟ فقال: و ما عسانا ان نفعل؟ لقد امرنا أمراؤنا بفعل ذلك، و كان ينبغى علينا فعل ما أمروا به و ان لا نعصى لهم امرا، لأننا لو عصينا، لكنّا شرّا من هذه الحمير السقاعات «۲».

و قال ابن زياد لمسلم بن عقيل بعد القبض عليه:

«يا شاقّ خرجت على امامك و شققت عصا المسلمين؟» «۳».

و قال شرطة عمرو بن سعيد بن العاص (و الى مكة) للامام الحسين عليه السّلام اثناء خروجه منها: «الا تتقى اللّه تخرج عن الجماعة و تفرّق بين هذه الامّة» «۴».

و يعلل عمرو بن الحجّاج احد قادة جيش الكوفة تلك الجريمة و يقول مفتخرا:

---

(۱) ابن الاعثم- ج ۴ ص ۲۳۷، ابن قتيبة. المصدر السابق ج ۱ ص ۱۳۸.

(۲) ابن سعد تراثنا، العدد العاشر ص ۱۹۷، ابن حجر، لسان الميزان ج ۳ ص ۱۵۲ الحمير السقاعات.

(۳) ابن الاعثم ج ۵ ص ۹۸.

(۴) الطبرى ج ۴ ص ۲۸۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۹

«إننا لم نعص امامنا و لم نفارق الجماعة» «۱».

و عند ما كان يحثّ جيش الكوفة على القتال كان يقول لهم:

«الزموا طاعتكم و جماعتكم و لا ترتابوا فى قتل من مرق عن الدين و خالف الامام» «۲».

و كان رجل مثل عبد اللّه بن عمر- و هو من جملة فقهاء اهل السنّة و محدّثيهم- يعتقد لو ان الناس بايعوا رجلا فاسقا و غير كفؤ مثل يزيد، يجب عليه انه يقبل البيعة. و لهذا فقد قال لمعاوية بشأن بيعة يزيد:

«فاذا اجتمع الناس على ابنك يزيد لم أخالف» «۳».

و كتب أناس من امثال عمرة بنت عبد الرحمن بن عوف الى الامام الحسين عليه السّلام ما يلى: «التزم الطاعة و تمسّك بالجماعة و اعتبرها واجبة عليك» «۴».

الاعتقاد بالجبر

ان أحد المواضيع التى كان لها دور منحرف فى تاريخ الاسلام خاصة فى واقعة كربلاء هو الاعتقاد بالجبر، يقول ابو هلال العسكرى: «ان معاوية كان هو المبتكر له» «۵».

---

(۱) نفس المصدر ص ۲۷۵.

(۲) الطبرى- ج ۴ ص ۳۲۱.

(۳) ابن سعد- مجلة تراثنا- العدد العاشر ص ۱۶۷.

(۴) نفس المصدر السابق.

(۵) ابو هلال العسكرى- الاوائل. ج ۲ ص ۱۲۵.

فقد قال عن بيعة يزيد:

و ان أمر يزيد قضاء من القضاء و ليس للقضاء الخيرة من امرهم» «۱».

و قال عبيد اللّه بن زياد للامام السّجاد: «أو لم يقتل اللّه عليا؟».

فقال له الامام: «كان لى أخ يقال له على، اكبر منّى قتله الناس؟» «۲».

و لمّا تعرّض عمر بن سعد للانتقاد و المذمّة لمشاركته فى قتل الامام الحسين عليه السّلام قال: «كان ذلك قدرا من اللّه مقدّرا» «۳».

و كان كعب الاحبار اليهودى المتظاهر بالاسلام يتملّق لبنى أميّة و يقول رجما بالغيب: «ان الخلافة لن تصير الى بنى هاشم».

رغم ان الخلافة و الحكومة صارت فيما بعد بيد العباسيين و العلويين و كلاهما من بنى هاشم و نقلت نفس هذه النبوءة أيضا عن عبد اللّه بن عمر انه قال:

«فاذا رأيت الهاشمى قد ملك فقد ذهب الزمان» «۴».

و بناء على هذه التحريفات لم يعتبر الكثير من المؤرخين و الباحثين السنّة ثورة الامام الحسين عليه السّلام ثورة ضد الفساد، و وصفوها بانّها تمرّد غير شرعى لا أكثر «۵».

---

(۱) ابن قتيبة- المصدر السابق ج ۱ ص ۱۸۷ و ص ۱۸۳.

(۲) ابن سعد- مجلة تراثنا- العدد العاشر ت ص ۱۸۸.

(۳) ابن سعد ت الطبقات الكبرى ج ۵ ص ۱۴۸ ط بيروت.

(۴) ابن عساكر- ترجمة الامام الحسين من تاريخ دمشق ص ۱۹۳.

(۵) تاريخ الاسلام- جامعة كامبردج ج ۱ ص ۸۱ النص الانجليزى. و راجع كتاب الشبراوى الاتحاف بحب الاشراف، ترجمة الحسين عليه السّلام.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۱

موقف أهل الكوفة من واقعة كربلاء

ورد فى كتب التاريخ كما شاع بين الناس بما يشبه المثل ان اهل الكوفة اهل غدر و خيانة و قلّما تجد لهم وفاء بالعهد، و قد اشرنا سابقا الى نفسية اهل الكوفة و قلنا انهم كانوا عجولين و انهم يتعجّلون دوما فى اتخاذ قراراتهم و غالبا ما كان ينتهى ذلك بضررهم و ضرر حكامهم. فقد كانوا سريعى الغضب و سريعى الرضى يسارعون الى الاستسلام كما يسارعون الى التمرّد، و هذه الصفات الى جانب بعضها كانت النفسية السائدة عند اولئك القوم. و سنتحدث فيما يلى عن موقفهم عن حادثة كربلاء.

كان اهل الكوفة يتألفون من مجموعة من القبائل المختلفة التى كانت تركيبتها عرضة للتغيير و التبديل اثناء الادوار المختلفة للحكّام. و كانت تلك التغييرات فى تقسيمات القبائل تتم بما يتناسب و مصالح الحكّام. و فى نفس الوقت كان الحكّام يراعون رؤساء القبائل و اشرافها لعلمهم بأن نفوذهم و سيطرتهم فى كثير من الحالات اكثر و اقوى من سيطرة و نفوذ الحكام و الولاة.

و كان الشيعة يؤلّفون جزء من سكان هذه المدينة. و رغم ان بعض القبائل اشتهر بالتشيع الا أنه لا يمكن القول ان القبيلة الفلانية كان جميع افرادها شيعة.

و هكذا فان الشيعة كانوا ينتشرون فى القبائل و لم يكن فيما بينهم انسجام كامل، و كانت تحكمهم النزعات القبلية الخاصّة إضافة الى تلك النفسية الكوفية التى تهيمن عليهم.

و لم يكن عدد الشيعة آنذاك كبيرا جدا، اذ ذكر ان حجر بن عدى عند ما وقف فى مسجد الكوفة بوجه زياد انضمّ إليه نصف او ثلث الحاضرين فى المسجد. الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج۱ ۱۴۲ موقف أهل الكوفة من واقعة كربلاء ..... ص : ۱۴۱

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۲

لكن الكثير منهم كانوا يشايعون أولاد على فى المسائل السياسية فحسب فيصدق على هؤلاء الاشخاص كلمة التشيّع السياسى اكثر من كلمة التشيّع العقائدى.

و بناء على هذا لم يكن شيعة امير المؤمنين عليه السّلام الحقيقيّون كثيرى العدد و العدّة.

لا شك ان اهل الكوفة استدعوا الامام الحسين عليه السّلام و لم ينصروه، بل قد كان لهم دور مباشر فى قتله. لكن علينا أن نرى من هم أولئك الناس؟ و من الذين كتبوا الكتب و لما ذا لم ينصروه؟ و ...

لا بد من الاشارة اولا الى ان نمط التفكير الشيعى فى الكوفة قد احرز تقدما ملفتا للنظر، فان اهل الكوفة لم يعارضوا الامويين فحسب بل و عارضوا بنى العباس أيضا لأنهم غصبوا حق آل على فى الحكم. و لهذا السبب نجد المؤرخين و المحدّثين المرتبطين بالبلاط الاموى كانوا شديدى الكراهية لاهل الكوفة و كذلك الحال بالنسبة للعلماء المرتبطين بالسلطات العباسية فانهم كانوا ينظرون الى الكوفة بنفس تلك النظرة الحاقدة. و الظلم الذى تعرضت له الشيعة لم يكن منحصرا بالظلم السياسى فحسب بل تعدّاه الى الناحية الفكرية و العقائدية اذ كان الشيعة يتّهمون دوما بالكفر و الانحراف عن الاسلام من قبل العلماء المأجورين. و هذا أمر لا بد من ملاحظته و الامعان فيه عند مطالعة و نقل الاحداث التاريخية، فان المؤرخين كانوا ينظرون الى الوقائع التاريخية من منظار معاد للتشيّع

و حاقد على الشيعة. و من خلال الالتفات الى هذه النقطة يتحقق لدينا ان مثل هؤلاء المؤرخين يحاولون دائما وصف الشيعة بعدم الوفاء، و يلقون بجريمة عدم دفاع الكوفة عن الحسين عليه السّلام فى رقاب الشيعة. فى الوقت الذى سيظهر على ضوء الملاحظات التالية ان أهل الكوفة كانوا لا يقوون على الدفاع عن الامام الحسين عليه السّلام لعدم توفّر المعنويات الكافية لذلك، فلو أنهم عزموا على التضحية الى حد الايثار لكان

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۳

بإمكانهم تغيير الاوضاع الى حدّ ما. هذه خلاصة رأينا فى هذا الصدد و سنستعرض فيما يلى مجموعة من الشواهد التى تثبت ذلك:

لقد كان بامكان اهل الشام ان يتحمّلوا يزيدا بكل يسر و سهولة، لكن هذا الامر كان فى منتهى الصعوبة بالنسبة لاهل الكوفة، لذا فعند ما استخلف يزيد شرع اهل الكوفة برفع لواء المعارضة، و نظرا لأن الكثير من اهل الكوفة لم يكن لديهم البديل المناسب ليزيد، فقد توجّهوا صوب الحسين بن على عليه السّلام. و فى هذا السياق نلاحظ انه عند ما وجّهت الدعوة من قبل الشيعة فانها قد حظيت ليس فقط بدعم الناس العاديين ذوى القلوب الطيّبة و النوايا الصافية- و هذا ما تتصف به الطبقة العامة من كلّ شعب- بل و حظيت كذلك بدعم رؤساء القبائل و الجماعات الذين وجدوا مناصبهم مهددة بالخطر او الذين تأثروا بالاجواء الروحية و المعنوية التى سادت عامّة الناس فاظهروا تعاطفهم مع الثورة و دعمهم لها. فكان نتيجة ذلك ان ساد الكوفة جو كاذب من الدعم و التأييد للامام، و قد ساعد على اشاعة هذا الجو وضعية والى الكوفة آنذاك النعمان بن بشير اذ كان رجلا هادئا يؤثر العافية و استمر هذا الجو فى الانتشار بسرعة و على نطاق واسع الى حين تسلّم ابن زياد ولاية الكوفة.

لكنّا لو أمعنّا النظر فى خطبة الامام الحسين عليه السّلام التى قال فيها:

«و ما كانت كتبكم إلىّ الا مكيدة لى و تقربا الى ابن معاوية» «۱» لظهر امامنا احتمال آخر أيضا بشأن الدعوة التى وجهها إليه اشراف الكوفة، و هو أنهم أثاروا مثل هذه الجو عن قصد، لكى يجرّوا الامام الى العراق حتى يقتل بتلك الصورة

---

(۱) البلاذرى، ج ۲ ص ۱۸۵، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۶۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۴

المأساوية.

و على اىّ حال فقد كان القسم الاعظم من ذلك الجو ايجابيا، حتى ان مسلم حمل نفس الانطباع أيضا بعد مشاهدته لأوضاع الكوفة و كتب الى الامام يستدعيه إليها على اساس ذلك الانطباع.

ضغط ابن زياد على اهل الكوفة

قلّما تجد أناسا يجرءون على اعلان معارضتهم لأية سلطة او يبدون مقاومة لها فيما اذا كان على رأس تلك السلطة طاغوتا متجبّرا جائرا.

ففى عهد حكومة النعمان بن بشير الذى كان رجلا متساهلا و لا يتدخّل كثيرا فى امور الناس، كان اهل العراق يعبّرون عن آرائهم و معتقداتهم بحرية و من جملة ذلك ميولهم نحو آل بيت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و على هذا الاساس اعلنوا مساندتهم لمسلم عند دخوله الكوفة. الّا أن مجيء ابن زياد و جلوسه محل النعمان قد غيّر الاوضاع فى الكوفة رأسا على عقب.

لقد ارعبت قسوة ابن زياد نسبة كبيرة من اهالى الكوفة، حيث رأى اولئك الملولون المتأرجحون الذين يتعجّلون فى قراراتهم و لا يثبتون على امر انفسهم، مهدّدين من قبل ابن زياد و لم يقف الامر عند هذا الحد، بل انهم انهاروا تماما فى ظل الشائعات التى تشير الى قرب وصول جيش الشام.

و قد اتّسع نطاق هذا التراجع و التخاذل عند ما تأكّد اشراف الكوفة من ثبات و استقرار حكم بنى أمية فانضموا الى ابن زياد و لم تكن عامّة الناس يرون من مصلحتهم معارضة رؤساء قبائلهم كما حصل عند هجوم مسلم على دار ابن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۵

زياد، اذ ان الاشراف هم الذين اوصلوا انصار مسلم الى اقل عدد ممكن عن طريق الترغيب و الترهيب، و اثبتوا بذلك مدى قدرتهم على التأثير فى الناس «۱».

بل لو ان احد رؤساء القبائل اعلن معارضته فان افراد قبيلته ما كانوا يجرءون على مساندته فى مقابل استبداد ابن زياد. و اذا كان هذا وضع المساندة و الحماية القبلية الذى كان يعتبر الاكثر اهمية و تأثيرا فى المجتمع العربى آنذاك، فما ذا سيكون عليه حال مساندة الامام الحسين عليه السّلام دينيا. فان هانى بن عروة، رئيس قبيلة بنى مراد، كما ينقل عنه المؤرخون كان اذا اراد الخروج للحرب سار معه اربعة آلاف فارس، و ثمانية آلاف راجل. و لو اضفنا إليهم قسمان بنى مراد من كندة لبلغ جيش هانى الثلاثين الفا. و رغم كل هذا فلما قبض عليه و سحبوه فى سوق الكوفة- كما امر ابن زياد- ظل يستغيث و يندب قبيلته لكن احدا لم يغثه و لم يلبّ نداءه «۲». و من ثم قتل بعد ذلك و لم يتجرأ احد على الاعتراض.

و عند ما أجبر الامام الحسين عليه السّلام على النزول فى كربلاء خطب ابن زياد بالناس و كلمهم بلغة الترغيب و الترهيب و حثّهم على المشاركة فى قتل الامام قائلا:

«فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفا برئت منه الذمّة» «۳».

و هذا يعنى انه هدد المتخلفين بالقتل.

و فى هذا السياق امر ابن زياد القعقاع بن سويد بملاحقة المتخلفين و تقديمهم

---

(۱) الطبرى ج ۴ ص ۲۷۷.

(۲) المسعودى- مروج الذهب ج ۳ ص ۵۹.

(۳) البلاذرى- المصدر السابق ج ۲ ص ۱۷۸، الدينورى- الاخبار الطول ص ۲۵۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۶

إليه. فقبض هذا على رجل من قبيلة همدان كان قد جاء الى الكوفة فى طلب ارث ابيه، و قدمه إليه على انه متخلّف فضربوا عنقه كما امر ابن زياد. و منذ ذلك الحين، كما يذكر بعض المؤرخين، «لم يبق محتلم بالكوفة الّا خرج الى العسكر بالنخيلة» «۱».

و بدأت السيوف تتأهب لقتل الحسين عليه السّلام بينما يمكن القول و بكل اطمئنان و ثقة ان الخيار لو ترك للناس لما فعلوا هذه الفعلة، عندها يمكننا ان ندرك بشكل افضل معنى مقولة الفرزدق فى وصفه لأهل الكوفة: «قلوبهم معك و سيوفهم عليك» «۲».

او كما ورد فى رواية أخرى انّه قال:

«أنت احب الى الناس، و القضاء فى السماء، و السيوف مع بنى أميّة» «۳».

و لم يكن بميسور الناس فى ظل تلك الظروف عدم التوجه الى كربلاء لأن عدم الذهاب كان يعنى القتل. و لم يكن امام الشيعة او غيرهم ممن لم يكونوا راغبين فى الذهاب سوى طريقين لا ثالث لهما: اما الانضمام الى الامام او الابتعاد عن دائرة الصراع.

و لا ريب ان ما ذكرناه لا يعنى اعذار الناس من جهة التكليف الدينى.

---

(۱) نفس المصدر السابق، ص ۱۷۹.

(۲) الطبرى ج ۴ ص ۲۹۰، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۲۴- ۱۴۰، الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۴۵.

(۳) ابن سعد- مجلة تراثنا- العدد العاشر ص ۱۷۱، ترجمة الحسين من تاريخ دمشق ص ۲۰۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۷

فرار الناس و انحيازهم الى معسكر الحسين

تفيد بعض الروايات القديمة جدا بأن اهل الكوفة كانوا يرسلون بالتهديد و الاكراه لمحاربة الامام الحسين عليه السّلام، و لهذا السبب فقد فرّ الكثير منهم فى وسط الطريق و التحقوا بمعسكر الامام الحسين.

فان الارقام المنقولة عن عدد جيش ابن زياد فى كربلاء هى عادة الارقام المنقولة فى اثناء تعبئة الجيش فى النخلية، فى حين ان الذين حضروا كربلاء من مجموع الجيش المرسل من الكوفة- و كما سيتضّح فيما بعد- لا يتجاوز العشرة آلاف رجل بل ربما كان اقل من ذلك.

و لا يشكّل هذا الرقم سوى عدد ضئيل من سكان الكوفة الذين ينقل بعض المؤرخين انه كان يحضر فى مسجدها وحده اربعون الفا «۱».

و الذى يظهر لنا من مجموع النقاط السابقة ان الكثير من الناس كانوا قد اخفوا انفسهم فى الكوفة، او هربوا من الجيش فى منتصف الطريق.

كتب البلاذرى بهذا الصدد: «و كان الرجل يبعث فى الف فلا يصل الّا فى ثلاثمائة او اربعمائة و اقلّ من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه» «۲».

و كتب الدينورى أيضا: «ان ابن زياد كان اذا بعث قائدا و ارسل معه عددا كبيرا من الجنود الى كربلاء فانهم يصلون الى كربلاء و لم يبق منهم الا القليل كانوا يكرهون قتال الحسين فيرتدعون فيتخلّفون» «۳».

---

(۱) التشيع فى مسار التاريخ ص ۱۶۰ «النص باللغة الانجليزية».

(۲) البلاذرى انسان الاشراف ج ۲ ص ۱۷۹.

(۳) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۵۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۸

و كان أيضا من اهل الكوفة من يحاول الانضمام الى الامام، فرغم أنّ الامام لم يمض على وصوله الى كربلاء حتى استشهاده اكثر من ثمانية أيّام و ان الكثير من الناس لم يكن يتصوّر ان القضية جادّة الى هذا الحد. فهذا الحر بن يزيد مع منصبه العسكرى لم يدرك و خامة الاوضاع حتى صباح العاشر من المحرّم فانحاز الى الامام. و لهذا السبب فان اكثر الشيعة و ان كانوا قد عقدوا العزم على مساندة الامام فانهم لم يتعجلوا فى الأمر، و لم يكن احد منهم يفكّر فى الانضمام الى الامام سوى ثلّة قليلة من الرجال من جملتهم نافع بن هلال المرادى، و عمر بن خالد الصيداوى، و سعد من موالى عمر بن خالد، و مجمع بن عبد اللّه العائذى و هم من قبيلة مذحج و قد التحقوا بالامام «۱». و رغم كل ذلك فقد استطاع الانضمام إليه أيضا قبيل حلول اليوم العاشر كل من مسلم بن عوسجة و حبيب بن مظاهر. و كما التحق به- استنادا الى رواية ابن سعد- ۲۰ رجلا صبيحة عاشوراء «۲». و ذكر ابن قتيبة انهم كانوا ۳۰ رجلا «۳».

يقول ابن سعد و هو من اقدم رواة التاريخ: «جعل الرجل و الرجلان و الثلاثة يتسللون الى الحسين من الكوفة».

و عمليات الهروب هذه هى التى دفعت ابن زياد الى البحث عن حلّ لها.

فامر عمرو بن حريث بحثّ الناس للاجتماع فى النخيلة و هو معسكر الكوفة الشهير، و السيطرة على الجسر الذى يمر من خلاله طريق الكوفة الى كربلاء، و منع

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۷۲.

(۲) ابن سعد، تراثنا- العدد العاشر ص ۱۷۸.

(۳) ابن قتيبة، الامامة و السياسية ج ۲ ص ۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۹

الاشخاص الذين يحاولون التوجّه الى معسكر الحسين عليه السّلام «۱». كما امر الحصين بن نمير بمراقبة المنطقة الممتدة من القادسية و حتى قطقطانة، فلا يسمح بالمرور الّا لمن يتأكد انه متّجه الى مكة، و يمنع اولئك الذين يريدون الوصول الى الحسين عليه السّلام عن طريق الحجاز «۲».

كما كتب الى واليه فى البصرة ان ينصب الكمائن و يراقب جميع الطرق و يعتقل ممن يريد الذهاب من هذه الطرق نحو الحسين عليه السّلام و امر كذلك بمراقبة جميع الطرق بين واقصة فى طريق الشام و حتى طريق البصرة، و لا يدعون احدا يلج و لا أحدا يخرج منها» «۳».

لقد تمّت مراقبة الطرق و السيطرة على مراكز المواصلات بشكل دقيق، حتى ان سبعين رجلا من قبيلة بنى اسد كانوا يقيمون على مقربة من كربلاء، و كانوا قد عزموا على الانضام الى معسكر الحسين بتشجيع من حبيب بن مظاهر، فتم ابعادهم من تلك المنطقة على يد أرصاد ابن زياد «۴». و كان لهذه السيطرة اثرها الفاعل فى عدم مساندة اهل الكوفة للامام. و بالاضافة الى هذا العامل كانت هناك أيضا عوامل اخرى منها:

۱- كانت عدّة شخصيات متنفّذة من اهل الكوفة حبيسة سجون ابن زياد من ضمنهم المختار بن ابى عبيدة.

۲- لقد مورس التهديد بوحشية و قسوة بالغة طالت حتى غير الموالين لأىّ

(۱) ابن سعد، تراثنا، العدد العاشر ص ۱۷۸.

(۲) الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۴۳.

(۳) البلاذرى- انساب الاشراف، ج ۲ ص ۱۷۳، الطبرى ج ۴ ص ۲۹۵.

(۴) البلاذرى- المصدر السابق- ج ۲ ص ۱۸۰، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۶۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۰

الفريقين فشملهم القتل و التعذيب فما بالك بمن يريد الانضمام الى جانب الحسين عليه السّلام.

۳- و كان الترغيب عاملا آخر ذا اهمية بالغة أيضا، فقد خطب ابن زياد يوما بأهل الكوفة فقال: «ان يزيد بعث باربعة آلاف دينار و مائتى درهم لأقسمها بينكم ثم اوجّهكم الى كربلاء لمقاتلة عدوّه «۱».

تعلّق الناس بالعطاء

لما رأى الامام تصميم اهل الكوفة على قتله سألهم فى خطاب له:

«يا هؤلاء اسمعوا يرحمكم اللّه ما لنا و لكم، ما هذا بكم يا اهل الكوفة؟

قالوا: خفنا العطاء. قال: ما عند اللّه من العطاء خير لكم» «۲».

لكن احدا منهم لم يلتفت الى كلامه. فقد ظهر لنا من مجموع هذه الشواهد ان بعض الناس- و منهم الاشراف و المرتبطون بهم- كانوا من الاجرام و سوء الخلق ما يمكن معه نعتهم باقبح الاوصاف و النعوت البذيئة. و رغم كل ذلك فقد كان فى الكوفة- مع ما كان

يسودها من اجواء الاستبداد و الطغيان- اشخاص كثيرون يودّون الالتحاق بالامام فلا يستطيعون.

و من الملفت للنظر هنا ان البلاذرى قال: «كان سعد بن عبيدة يقول:

الكثير من شيوخنا من اهل الكوفة كانوا يرفعون ايديهم فوق التلال بالدعاء و يقولون: اللهم انزل عليه نصرك. فقيل لهم: يا اعداء اللّه الا تنزلون

---

(۱) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۵۷.

(۲) ابن سعد. تراثنا- العدد العاشر ص ۱۷۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۱

فتنصرونه» «۱».

تقويم سفر الامام الحسين عليه السّلام الى العراق

نحاول فيما يلى و بغض النظر عن البعد الغيبى لحادثة كربلاء و هو ما سنأتى على شرحه فى فصل آخر وضع تقييم سياسى ملخّص لسفر الامام الحسين عليه السّلام الى العراق. فهل كان للامام طريق آخر سوى الذهاب الى العراق أم لا؟ و هل كان من المحتمل ايجاد مركز للمعارضة ضد حكومة آل أميّة، و بلورة ثورة تطيح بعرش يزيد؟

فنحن نواجه فى كتب التاريخ سلسلة من الاعتراضات التى طرحت من قبل شخصيات متعددة تركز بأجمعها على نقطة واحدة، هى ان سفر الامام عليه السّلام الى العراق لن يحقق اية فائدة و لا ينطوى على مصلحة. ففى اعقاب معارضة الامام لموضوع البيعة و توجهه نحو مكّة، كان احتمال السفر الى العراق مطروحا. فهناك بعض الروايات تشير الى أن عبد اللّه بن مطيع حذّر الامام من الذهاب الى الكوفة و هو لا زال فى منتصف الطريق بين المدينة و مكّة «۲».

و لما دخل الامام مكة كان عدد المعترضين يتزايد بشكل ملحوظ. و نشير فيما يلى الى عدد من الشخصيات التى كانت تعارض ذهاب الامام الى الكوفة.

۱- عبد اللّه بن عبّاس؛ حيث اقترح على الامام صرف رأيه عن الذهاب الى العراق، و التوجّه بدلا من ذلك نحو جبال اليمن لأن هناك منطقة جبلية مناسبة للكر و الفر هذا من جهة، و من جهة اخرى فإن عدد شيعة ابيه كبير جدا هناك.

---

(۱) البلاذرى ج ۲ ص ۲۲۶.

(۲) ابن الاعثم- ج ۵ ص ۳۷، الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۸۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۲

لذلك فان المكان الوحيد الذى يضمن سلامة الامام هو ذلك المكان «۱».

۲- محمد بن الحنفيّة؛ و قد عرض نفس هذا الاقتراح حسب رواية ابن الاعثم «۲».

۳- عمرو بن عبد الرحمن بن هشام حيث قال: «الناس عبيد الدينار و الدرهم و هما اليوم بيد الحكّام، فاياك أن تذهب الى العراق» «۳».

۴- عبد اللّه بن عمر فقد كان يضع امام الحسين عليه السّلام و بمنتهى الرعب و الخوف موضوع اراقة الدماء بين الامة «۴».

۵- عبد اللّه بن جعفر حيث كان يشير الى مقتل الامام فى العراق و يقول:

«إنّى اخاف ان يطفأ نور اللّه و أنت روح الهدى و امير المؤمنين، فلا تعجل الى العراق فانى اخذ لك الامان من يزيد» «۵».

۶- ابو سعيد الخدرى، إذ يحتمل انه قال له: «لا تخرج على امامك» «۶».

۷- مسوّر بن مخرمة؛ كتب للامام: لا تغتر باهل العراق «۷».

---

(۱) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۲۴. ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۱۳، الطبرى ج ۴ ص ۲۸۷.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۳۲.

(۳) البلاذرى- المصدر السابق، ج ۲ ص ۱۶۱، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۱۰، الطبرى ج ۴ ص ۲۸۷.

(۴) ر. ك. البلاذرى ج ۲ ص ۱۶۳، ابن الاعثم ج ۵ ص ۳۹، ابن سعد، تراثنا العدد العاشر ص ۱۶۶.

(۵) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۱۶، الطبرى ج ۴ ص ۲۹۱.

(۶) نفس المصدر السابق.

(۷) نفس المصدر السابق.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۳

۸- ابو واقد الليثى، و قد قال للامام ما قاله مسوّر بن مخرمة «۱».

۹- الفرزدق، حيث قال للامام فى منتصف الطريق بين مكّة و الكوفة:

«قلوب الناس معك و سيوفهم عليك» «۲».

و يلاحظ فى كتب التاريخ الكثير من هذه الاعتراضات او النصائح المشفقة، و يحتمل أيضا ان يكون الكثير من الرواة المغرضين هم الذين انتحلوا مثل هذه القائمة الطويلة لغرض تخطئة موقف الامام عليه السّلام.

الجواب على الاعتراضات

و قبل أن نذكر استدلال الامام نفسه بخصوص سفره الى العراق يجب اولا استعراض مقدمة توضّح لنا الارضية التى يقوم عليها ذلك الاستدلال.

ان تاريخ السياسة فى الماضى و الحاضر يعكس لنا حقيقة واضحة هى إنّ كل شخص يسعى لتحقيق اهداف سياسية معينة لا يحققها غالبا من غير ان يواجه اية موانع او عراقيل. فمن يسع لاستلام السلطة او اى هدف آخر سلبيا كان او ايجابيا يتعامل دوما مع الاحتمالات. ففى عالم السياسة يتعرض حتى اكثر الناس نجاحا و شعبية الى مخاطر مثل الاغتيال و ... لذلك يجب أن لا نفكّر تفكيرا مثاليا و نتصوّر انه يجوز لنا التحرك فقط فى الظرف الذى نرى فيه الوصول الى الهدف بات قطعيا و لا- يوجد هناك اىّ احتمال للخسارة او الفشل، فان مثل هذا التصوّر لا تؤيده الحقائق التاريخية مطلقا، بل انها تعكس لنا سذاجة من يحمل مثل هذه

---

(۱) نفس المصدر السابق ص ۱۶۶.

(۲) البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۶۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۴

الرؤى السياسية.

و لا- يختلف الامر هنا أيضا فيجب أن لا نتصوّر ان الامام كان مطمئن البال بشأن نجاحه فى هذا السفر و لم يكن يتوقع ادنى احتمال للفشل. فمن لا يقبل سفر الامام اساسا لا ينبغ له ان يذكر شاهدا تاريخيا بأن احتمال الفشل كان قائما، و من يقبل بسفر الامام لا ينبغ له ان يتوهم بأن احتمال الفشل لم يكن قائما مطلقا. لان اهل الكوفة قد اختبروا قبل هذا أيضا.

و مع اخذ هذا الامر بنظر الاعتبار، يجب اولا ان ندرس وضع الامام فى تلك الظروف ثم ندخل فى حساباتنا الشواهد التاريخية و الاجراءات التى اتخذها الامام و نقيّم على اساسها مسألة هجرته الى العراق.

لقد كان الامام يأبى مصالحة يزيد و الاقرار بحكومته، و ان أدّى ذلك الى استشهاده. و كان يسعى فى نفس الوقت- فيما لو امكن- الى اشعال فتيل الثورة ضد يزيد و انقاذ حكومة المجتمع الاسلامى من مخالب بنى أميّة.

كانت هذه هى الحدود التى تحدد ملامح التفكير السياسى لدى الامام، و كان على الامام اختيار طريقه ضمن هذا الاطار، ليطرح على ضوء ذلك آراءه و ردود فعله تجاه الاقتراحات و الاعتراضات و حيث كان هذا الاطار لا يقبل التغيير ابدا.

لذا فان اى اقتراح لا ينسجم معه بشكل من الاشكال يعتبر اقتراحا مدانا و مرفوضا من قبل الامام.

و من جهة أخرى فان عالم السياسة آنذاك له اطاره الخاص أيضا و تشكل الاحتمالات جزء منه، اذ كان يفترض على الامام أيضا مطابقة نفسه معها، بحيث لا يتعرض اطاره الخاص الى الانحراف و التغيير اثناء العمل، و لا يسير فى اتجاه

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۵

معاكس للحقائق الموجودة آنذاك.

و وفقا للمتطلبات السياسية السائدة فى ذلك العصر، لم يكن يزيد ليسمح لرجل كالامام الحسين عليه السّلام بعدم مبايعته و يتركه على قيد الحياة، لأن الحسين عليه السّلام لم يكن بالشخص الذى لا يبالى بأمر يزيد، و يحيا حياته العادية كرجل غير مسئول. لذا فان الخيار الوحيد امام يزيد هو قتل الامام فى حالة عدم مبايعته.

و من ناحية أخرى فانه لم يكن لدى الشام بل و لا المدينة و مكة أو الحجاز و اليمن و ... المقومات و الظروف الملائمة للمقاومة و الدفاع امام يزيد، و مساندة و دعم الحسين عليه السّلام و الحيلولة دون قتله. و ليس غير الكوفة منطقة تتوفر فيها امكانية الدفاع او المقاومة. و مع ان سوابق الكوفة و سلوك اهلها مع امير المؤمنين عليه السّلام و الامام الحسن عليه السّلام فى مواجهة الاعداء كان يضعف هذا الاحتمال، لكن تلهّف اهل الكوفة لقدوم الامام إليهم، و الوعود التى قطعوها بالتصدى لبنى أميّة، و مساندة الامام، و الرسائل و الكتب التى انهالت على الامام من سادة الكوفة و اشرافها و عامّة اهلها كان يقضى على هذا الضعف. و كلما كان اصرار الناس على دعم الامام يزداد كلما ازدادت معه نسبة احتمال نجاح الامام فى مقابل العدو، لكن احتمال الخطر و الفشل لم يكن قد زال مائة بالمائة.

فلو لم يبادر الامام الى انتخاب هذا الطريق، ما الذى كان ينبغى له ان يفعله؟ هل كان يزيد بالشخص الذى يرضى ببقاء الامام حيّا لو لم يبايع؟ و هل كان الامام بالشخص الذى يبايع يزيد و لا يبالى بالاوضاع الالحادية و المعادية للاسلام التى تجتاح المجتمع و الامة الاسلامية و يقف ازاءها موقف المتفرّج و يعيش كشخص غير مسئول لا يفكر سوى فى حياته و معيشته و مصالحه؟

و لو ان الامام لم يذهب الى الكوفة و بقى فى مكّة حتى قتل فيها. أ لم يكن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۶

هؤلاء الاشخاص يقولون لما ذا تجاهل الحسين كل هذه الكتب التى وردته من الكوفة و لم يستجب لاصرارهم و لم يلبّ دعوتهم و يذهب الى هناك لكى يأمن المخاطر فى ظل فرسان الكوفة، و ليحقق اهدافه السياسية بنجاح باهر؟

و امّا اعتراض المعترضين فقد كان يدور غالبا على عدم خروج الامام عليه السّلام و هو ما كان يعنى قبول حكومة يزيد من قبله، و هو امر لا يستسيغه الامام قطعا.

بل إنّ الامان الذى كان عبد اللّه بن جعفر يريد اخذه له من يزيد، كان يوحى بهذا المعنى أيضا. لأن أمان يزيد كان سيكون مشروطا طبعا بعدم خروج الامام، فى حين ان الامام ما كان ليخضع مطلقا لبيعة يزيد.

لنر الآن كيف يعلل الامام نفسه هذه المسألة و كيف تثبت الشواهد التاريخية ذلك.

إنّ من جملة النقاط التى اشار إليها الامام مرّات متعددة هى ان يزيد و عمّاله لم يكونوا يسمحون للامام بمواصلة حياته فى مكة، و انّه سيقتل على ايّة حال.

و نشير فيما يلى الى عدّة موارد:

۱- قال الامام الحسين عليه السّلام ردّا على اعتراض ابن عباس: «لئن أقتل خارجا منها بشبرين احبّ إلىّ من أن أقتل خارجا منها بشبر» «۱».

۲- و قال ردا على اعتراض ابن عمر: «ان القوم لا يتركونى .. فلا يزالون حتى أبايع و انى كاره فيقتلوننى».

۳- و قال ردا على اعتراض آخر ما يلى: «لو كنت فى حجر هامة من هوام

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۶۴، ابن الاعثم، ج ۵ ص ۱۱۳.

الارض لاستخرجونى و قتلونى» «۱».

۴- و قال فى موضع آخر لما سئل عن سبب تعجيله: «لو لم أعجّل لاخذت» «۲».

۵- و قال فى موضع آخر أيضا: «ان بنى أمية اخذوا مالى فصبرت، و شتموا عرضى فصبرت، و طلبوا دمى فهربت» «۳». هكذا كان الامام عليه السّلام يدرك الامر، و لا يوجد شاهد واحد يدل على ان الامام ان لم يبايع يزيد بقى حيّا.

و اما الجانب الآخر من القضية و هو موضوع سفر الامام الى العراق، فانه حين قرر الخروج من مكّة هل كان بامكانه اختيار غير الكوفة؟ و ما هو المكان الذى كان عليه انتخابه من الدولة الاسلامية؟ لقد بلغت الامام رسائل كثيرة من اهل العراق خلال الفترة التى اقامها فى مكّة. و كانت تلك الرسائل من الكثرة و القاطعية بحيث اصبحت فيما بعد سببا رئيسا بالنسبة للامام للذهاب الى العراق.

و كان الامام يقول عند ما يسأل فى مواضع متعددة عن سبب ذهابه الى الكوفة: ان رسائل اهل العراق هى السبب «۴». فانه لدى اجابته على سؤال الحرّ و عمر بن سعد «۵» و بحير بن شدّاد «۶»، و عبد اللّه بن عمر «۷»، بل فى خطابه امام جيش

---

(۱) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۱۶.

(۲) الطبرى- ج ۴ ص ۲۹۰.

(۳) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۲۴.

(۴) البلاذرى- انساب الاشراف، ج ۲ ص ۱۶۳- ۱۶۵.

(۵) البلاذرى- انساب العرب ج ۲ ص ۱۷۷، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۳۸.

(۶) ابن سعد، مجلة تراثنا، العدد العاشر ص ۱۷۳.

(۷) نفس المصدر السابق ص ۱۸۱.

الكوفة صبيحة العاشر من المحرّم «۱» كان يعلل مجيئه الى الكوفة بالكتب التى وردته من اهلها، و كان يقول دائما فى ردّه على اسئلة السائلين عن سبب ذهابه الى العراق: «خلفى مملوءة بالكتب» «۲».

و عقب استلامه لكتاب مسلم الذى يدعوه فيه الى الحركة الفورية صوب الكوفة، عجّل الامام بالخروج من مكّة و قطع المسافة الفاصلة بين مكة و الكوفة باسرع ما يمكن. و لكن عند ما بلغه خبر استشهاد مسلم «۳» طرأ تغيير واضح على سرعة حركة القافلة، و كلما انقضى عليه زمن قلّت سرعة القافلة اكثر. و مع ذلك لم يثن ذلك الامام و انصاره مطلقا عن مواصلة المسير صوب الكوفة. فرغم ان

خبر استشهاد مسلم و هانى كان يقلل بالتدريج من تفاؤل الامام و ثقته باهل الكوفة، لكن احتمال الانتصار فى الكوفة لم يكن قد زال مائة بالمائة. و بعبارة أخرى ان قافلة الامام و ان تزعزع املها بالنصر العسكرى كلّما اقتربت من الكوفة، لكن تقييم الامام للاوضاع و مشاوراته مع اصحابه بشأن الكوفة و مواصلة الحركة نحوها كان يشير الى امكانية بلوغ النصر.

اذ كانوا يقولون له: «ما أنت بمسلم بن عقيل، و لو قدمت الكوفة لكان الناس إليك اسرع». و كانوا يقصدون من هذا الكلام ان عدم شهرة مسلم و ... ربما هى السبب فى عدم استقطابه للناس كما ينبغى، الّا ان شخصيتك لها جاذبية أخرى، و هذا الكلام لم يكن مستبعدا طبعا بالنسبة لمنزلة الامام. و اذا ما اخذنا بالحسبان كتب و دعوات اهل الكوفة له خلال عشر سنوات. و لهذا السبب واصل

---

(۱) ابن عساكر المصدر السابق ص ۱۹۲.

(۲) نفس المصدر السابق ص ۲۰۹.

(۳) الطبرى ج ۴ ص ۳۰.

الامام طريقه من خلال تقييم واحد. كما يستفاد أيضا من رواية الفتوح بان كتاب الامام الى اهل الكوفة الذى ارسله مع قيس بن مسهر الصيداوى حول وجوب الالتزام بعهودهم انما كان بعد وصول خبر استشهاد مسلم بن عقيل.

و مع ان ارضية الشك بشأن الكوفة بدأت تتسع بصورة تدريجية فى نظر جيش الامام الا أن اثرها فى قرار العودة لم يتضح الّا بعد التقاء الامام بجيش الحر.

فقدوم الحر على رأس جيش لمواجهة الامام و بلوغ نبأ تحشد اربعة آلاف رجل من جيش العدو فى القادسية، اضافة الى المعلومات السابقة الواصلة عن الكوفة، و منها وصول آخر رسالة شفوية من مسلم بواسطة عمر بن سعد تؤكد على ضرورة انصراف الامام و عدم دخول الكوفة، كل هذه العوامل جعلت الامام يتيقن انه لم يعد هناك اى امل فى الكوفة، و لن يجنى من ذهابه إليها الّا الهزيمة العسكرية و الاستشهاد.

و فى هذه الحالة اتخذ الامام قراره بالعودة «۱». لكن الحر اعلن له انه مكلف من قبل والى الكوفة باخذ الامام و جيشه الى هناك و منعه من العودة، و منذ ذلك الحين اخذ الامام يكرر دائما فى لقاءاته بقادة جيش العدو «۲» و مبعوثيهم و حتى فى خطابه الذى القاه على جيش الكوفة «۳» قراره بالعودة فيقول:

«يا أيّها الناس اذا كرهتمونى فدعونى انصرف عنكم الى مأمن من

---

(۱) البلاذرى، انساب الاشراف، ج ۲ ص ۱۷۰، ابن الاعثم، ج ۵ ص ۱۲۵، الدينورى، الاخبار الطوال، ص ۲۵۰.

(۲) ر. ك. الطبرى ج ۴ ص ۳۱۱، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۵۵.

(۳) الطبرى ج ۴ ص ۳۲۳.

الارض» «۱».

و قد ذكر عدد من المؤرخين ان الامام و بعد ان اصبح محاصرا من قبل جيش الكوفة طلب من عمر بن سعد القبول باحدى النقاط الثلاث التالية:

«دعونى ارجع الى الحجاز، او اذهب الى الشام واضع يدى بيد يزيد او ان اذهب الى ثغور الدولة».

لكن هذه المعلومات عارية عن الصحة و انما اراد المؤرخون من خلالها سحق شخصية الامام الحسين عليه السّلام المتميزة و الانتقاص

منه خدمة لاسيادهم و اولياء نعمهم من الامويين و الادلة على زيف هذه الرواية تتلخص فيما يلى:

۱- الرواية المذكورة اعلاه و كذلك التصريحات الاخرى تؤكد ان الامام لم يطرح موضوع السفر الى الشام، بل انه طرح فقط موضوع العودة الى الحجاز (مكة و المدينة).

۲- ينقل البلاذرى رواية تؤكد بصراحة: انه عرض على عمر بن سعد موضوع العودة الى المدينة فقط «۲».

۳- كما نقل بشكل موثق عن عقبة بن سمعان انه قال: رافقت الامام الحسين عليه السّلام فى جميع المراحل، و لم افارقه لحظة واحدة، فلم اشاهد منه و لا فى اشارة واحدة انه طرح ما هو شائع بين الناس «دعونى اذهب الى الشام واضع يدى بيد يزيد» بل انه قال فقط: «دعونى ارجع الى المكان الذى اقبلت منه، او دعونى اذهب فى هذه

---

(۱) الطبرى ج ۴ ص ۳۲۳.

(۲) البلاذرى، انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۸۲.

الارض العريضة حتى ننظر ما يصير إليه امر الناس» «۱».

۴- لو ان الامام كان مستعدا للمبايعة فان مشكلة يزيد التى اثيرت بسببها كل هذه الضجّة ستنحل و سيصبح بمقدور الحسين عليه السّلام مواصلة حياته كشخص عادى.

عنصر الغيب فى حادثة كربلاء

إنّ من جملة الامور التى كان لها نصيب لا يستهان به فى البعد التاريخى لواقعة كربلاء هو عنصر الغيب، الامر الذى ادّى الى بروز اختلافات فى تحليل و دراسة هذه الواقعة، و جعلها تطرح على شكل مقابلة بين امر عقائدى و قضية تاريخية.

و الواقع هو أنّ علماءنا قد بحثوا هذا الموضوع بشكل كاف مع الاخذ بنظر الاعتبار شمولية علم الامام. اما شرح و تبيان هذه القضية من الوجهة التاريخية فهو لا يحتاج الى طرح هذه الادلة العقائدية لأن مثل هذا العمل لا يخرج المسألة من اطارها التاريخى فحسب، بل و سيهىء الارضية للاتهام بادخال الآراء و العقائد فى كتابة التاريخ.

و نحن فيما يلى نبحث القضية خارج اطارها التاريخى، و نعتبره خاتمة لبحثنا هذا زيادة فى الاطلاع، و نستعرض خلاله الروايات الدالّة بصراحة على وعى الامام المسبق بهذه الحادثة قبل وقوعها. فقد نقل عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعض الروايات يتفق عليها الكثير من الرواة و المحدّثين من اهل السنة و الشيعة.

---

(۱) ابن الاثير ج ۴ ص ۵۴.

فقد ضم كتاب «سيرتنا و سنّتنا» الذى ألّفه العلامة الامينى رحمه اللّه بين طيّاته الكثير من امثال هذه الروايات التى تبين وصف رسول اللّه لهذه الحادثة، و استشهاد سبطه الحسين هناك و ذلك قبل سنوات من وقوعها و التأثّر الشديد لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ذكره لها و بكائه و حزنه عليها. و قد نقل العلامة الامينى هذه الروايات غالبا من كتب التاريخ و الحديث لاهل السنة.

و إليك فيما يلى عددا من هذه الروايات:

۱- جاء فى رواية ان الحسين رأى فى المنام انه شاهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جماعة من الملائكة، فاحتضنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال له:

«يا حسين كأنّى عن قريب اراك مقتولا مذبوحا بأرض كربلاء من عصابة من أمتى، و أنت فى ذلك عطشان لا تسقى، يا حسين ان اباك و أمّك قد قدموا علىّ و هم إليك مشتاقون و ان لك فى الجنّة درجات لن تنالها الّا بالشهادة» «۱».

۲- قال الحسين عليه السّلام فى مكّة: «انى رأيت جدى فى منامى و قد امرنى بامر و انا ماض لأمره» «۲».

۳- لما وصل عليه السّلام الى كربلاء و سأل عن اسم المنطقة و قيل له اسمها «كربلاء» قال: «لقد مرّ ابى بهذا المكان عند مسيره الى صفين و أنا معه، فوقف و سأل عنه فاخبر باسمه، فقال: هاهنا محط ركابهم، و هاهنا مهراق دمائهم، فسئل عن ذلك فقال: ثقل لآل بيت محمد ينزلون هاهنا» «۳».

---

(۱) ابن الاعثم ج ۵ ص ۸.

(۲) نفس المصدر السابق ج ۵ ص ۵۱.

(۳) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۵۳.

۴- و فى صبيحة عاشوراء قال لاخته زينب: «يا اختاه انى رأيت جدّى فى المنام و ابى عليا و فاطمة أمى و اخى الحسن فقالوا انك رائح إلينا عن قريب، و قد و اللّه يا أختاه دنا الامر ما فى ذلك لا شك» «۱».

كانت هذه نماذج من الروايات الدالة على علم الامام بواقعة كربلاء قبل استشهاده و من الطبيعى ان الامام الحسين عليه السّلام ليس هو الشخص الوحيد الذى لا يلجأ الى الغيب، بل ان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يكن يلجأ إليه أيضا فى حياته السياسية العادية سوى فى حالات اثبات النبوّة. و انهم كانوا فى بقية المواقف يمارسون حياة عادية وفقا لما تقتضيه الاحكام و الاخلاق الاسلامية. و ان اعتبار النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الائمة عليهم السّلام أسوة انما يقوم على الوضع الموجود و التقييم الظاهرى لا على اساس الغيب. لأن الاستناد الى الغيب ليس بالشىء الذى يقدر عليه الآخرون.

دور واقعة كربلاء فى تكوين الشيعة

من المسلّم به ان واقعة كربلاء هى من الحوادث المصيرية و اهم عامل فى تكوين الشيعة على مدى التاريخ. و قد سبقت منّا الاشارة الى أن الاسس الفكرية للتشيّع و خاصّة اهم مسألة فيه (الامامة)، يمكن ملاحظتها فى القرآن و السنّة بشكل واضح. لكن انفصال تاريخ الشيعة عن بقية الفرق الاسلامية اتخذ طابعا تدريجيا، و حصل بمرور الزمن، فحاكمية امير المؤمنين و سنّته و اسلوب تعامله مع القضايا و الافكار الالهية و المعارف التى خلفها قد اوجدت انسجاما فكريا بين الشيعة الى حد ما. و كان لدعم الامويين للنظام الفكرى و اسلوب الفهم عند الفرق الاسلامية الاخرى اثره فى تعميق الفاصل الموجود بين الشيعة و بقية الفرق

---

(۱) ابن الاعثم- ج ۵ ص ۱۷۵.

الاسلامية.

فحيل معاوية و اساليبه الشيطانية لم تتح للمسلمين الفرصة لكى يفهموا ان بنى أميّة يخفون تحت ستار الاسلام نفس تلك الشخصيات الجاهلية المعادية للانسانية، و انهم كانوا مولعين بالحياة الجاهلية و الدفاع عن ثقافتها، و مع ذلك فانّ المفكّرين و العلماء فى ذلك الوقت كانوا يدركون هذه القضية، لكن ابنه يزيد لم يكن يمتلك نفس تلك المهارة، فهو كان يطرح و بشكل صريح، فى اشعاره و احاديثه اليومية، من هو و ما ذا يريد؟ و لهذا نراه و منذ بداية مجيئه الى السلطة و تسلّمه للخلافة تسبب فى حدوث واقعة كربلاء التى

استشهد فيها الحسين بن على عليه السّلام مع مجموعة من اهل بيته و انصاره. و صار انفصال تاريخ الشيعة عن سائر الفرق الاسلامية التى انضوت تحت غطاء الاسلام الاموى امرا قطعيا، و منذ ذلك الحين اعلن المذهب الشيعى عن وجوده باعتباره فئة تتبع سنّة و سيرة على عليه السّلام و الائمة من بعده.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۵

الامام السجّاد عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۷

يقول شمس الدين الذهبى: «و كان لعلى بن الحسين جلالة عجيبة و حقّ له و اللّه ذلك فقد كان اهلا للامامة العظمى لشرفه و سؤدده و علمه و تألّهه و كمال عقله» «۱».

على بن الحسين بن على بن ابى طالب عليه السّلام المعروف بالسّجاد هو رابع ائمة الشيعة، و كانت ولادته عام ۳۸ للهجرة على اشهر الاقوال، و استشهد عام ۹۴ بعد ما دسّ له الوليد بن عبد الملك السم «۲».

و بما ان ولادة الامام كانت سنة ۳۸ للهجرة فمن الواضح انه قد ادرك قسما من عهد الامام المجتبى و كذلك عهد ابيه، و هذا يعنى انه شهد بامّ عينه السياسة التى اتّبعها معاوية فى قمع الشيعة فى العراق و المناطق الاخرى.

---

(۱) سيرة اعلام النبلاء: ج ۴ ص ۳۹۸.

(۲) الشبراوى، الاتحاف بحب الاشراف ص ۱۴۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۸

الا أنّ بعض الكتّاب يعتقد ان ولادته حصلت فى غير التاريخ المذكور و ذلك استنادا الى روايات منقولة عن واقعة الطف، يظهر منها انه ولد عام ۴۸ للهجرة.

تشير هذه الروايات الى ان عددا من جنود جيش الكوفة هجموا على الامام السجّاد- بعد انتهاء معركه عاشوراء الدامية، و سيطرة الجيش على خيام الحسين و البقية المتبقية من اهل بيته- ليقتله- و كان وقتها طريح فراش المرض- الّا ان البعض الآخر منهم منعهم من قتله، لأنه لا زال صغيرا و لم يبلغ الحلم.

و استنادا الى رواية الطبرى، فقد وصف حميد بن مسلم- الذى حضر فى كربلاء شخصيا- هذه الحادثة المؤسفة بالصورة التالية:

«جاء شمر بن ذى الجوشن فى رجال معه، و ارادوا قتل على بن الحسين، فمنعته منهم و قلت لهم انه لا زال صبيا، حتى دفعتهم عنه».

و روى كذلك:

«ان عبيد اللّه بن زياد لمّا نظر الى على بن الحسين قال لشرطى: انظر هل ادرك هذا ما يدرك الرجال؟ فكشف عنه فقال نعم. قال: انطلقوا به فاضربوا عنقه. فقال له علىّ: ان كان بينك و بين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلا يحافظ عليهن، فقال له ابن زياد: تعال أنت فبعثه معهن.

و استنادا الى رواية أخرى، فان زينب عليها السّلام هى التى منعت من قتل على بن الحسين، اذ قالت لعبيد اللّه بن زياد: «ان قتلته فاقتلنى معه» «۱».

و أشار الجاحظ أيضا الى هذه القضية ضمن اشارته الى ممارسات الامويين

(۱) الطبرى ج ۵ ص ۲۳۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۹

الاجرامية فقال: «إنهم انتهكوا حرمته لما ارادوا تفحّص علائم البلوغ لديه» «۱».

فان صحّت هذه الاخبار «۲». فلا بد أن يكون عمر الامام اصغر من المشهور المتعارف لأن نهاية حد البلوغ هو ۱۵ سنة بالتمام، و بناء على هذه الاخبار فلا بد ان الظروف كانت بالشكل الذى يقتضى سنا بهذه الحدود.

و رغم كون هذه الروايات مذكورة فى مصادر متعددة الّا ان هناك ادلّة تطعن فى مصداقيتها. و الادلة هى كما يلى:

۱- المشهور عند المؤرخين و كتّاب السيرة ان ولادته كانت فى سنة ۳۸ للهجرة و معنى هذا ان عمره فى كربلاء كان ۲۳ عاما. و قد نقل الطبرى نفس هذا السن فى كتابه (ذيل المذيل). كما ان تصريح بعض المؤرخين بانه عاش ۵۸ عاما يثبت نفس هذه النقطة «۳». و اما الرواية التى تشير الى انه ولد عام ۳۳ «۴»- و خلافا للمشهور اى عام ۳۸- فهى دليل آخر على ولادة الامام فى حياة امير المؤمنين عليه السّلام.

۲- ان مثل هذه الروايات لم تكن بعيدة عن انظار المؤرخين، بل انهم ادركوا وجودها منذ بداية عصر تدوين التاريخ الاسلامى و تعارفوا على نقل المشهور منها، كما انهم عرّضوها للنقد و التمحيص أيضا من اجل ازالة التضاد و التناقض الموجود فيما بينها. فمحمد بن عمر الواقدى و هو من ابرز رواة التاريخ لدى اهل السنّة، ينقل حديثا عن الامام الصادق عليه السّلام يشير الى ان الامام

(۱) ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة ج ۱۵ ص ۲۳۱.

(۲) ر. ك. شهيدى على بن الحسين ص ۳۲.

(۳) المنتخب من ذيل المذيل. ص ۶۳۰.

(۴) ابن حبان- الثقات، ج ۵ ص ۱۶۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۰

السّجاد عليه السّلام فارق الحياة و له من العمر ۵۸ عاما. ثم يستنتج منه ما يلى:

«يدل هذا الحديث على ان على بن الحسين عليه السّلام كان حاضرا مع ابيه فى كربلاء و كان يبلغ من العمر ۲۳ او ۲۴ عاما، و لهذا فان الذين ذكروا انه كان صغيرا و غير بالغ اثناء واقعة كربلاء قد جانبوا الحقيقة. و كان سبب عدم مشاركته فى المعركة هو المرض الذى انتابه فى تلك الأيام، و ليس صغر سنّة و عدم قدرته على الحرب. فكيف يمكن القبول بعدم بلوغه فى كربلاء بينما ابنه محمد بن على المعروف بالباقر عليه السّلام كان قد ولد فى تلك الاثناء. و بما ان أبا جعفر الباقر عليه السّلام قد ادرك جابر بن عبد اللّه الانصارى الذى توفى عام ۷۸ للهجرة «۱» فمعنى هذا ان ابا جعفر حين التقى جابرا كان فى سن يؤهله لسماع حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منه و نقله عنه فيما بعد» «۲».

و يقول ابن عنبة أيضا:

«كان على بن الحسين مريضا فى كربلاء و لهذا لم يشترك فى المعركة و ليس صحيحا ما تصوره البعض من انه كان صغيرا».

و قال الزبير بن بكار أيضا: «كان عمر على بن الحسين فى كربلاء ۲۳ عاما» «۳».

۳- يتّضح من خلال كلام الامام السجاد مع عبيد اللّه بن زياد و حتى يزيد

(۱) الفسوى- المعرفة و التاريخ ج ۲ ص ۳۱۰، تاريخ دمشق ج ۵ ص ۲۵۱ ب مخطوطة نقلا عن هامش المعرفة و التاريخ.

(۲) ابن سعد- الطبقات الكبرى ج ۵ ص ۲۲۲، الاربلى كشف الغمة ج ۲ ص ۱۹۱ ط تبريز.

(۳) ابن عنبة، عمدة الطالب فى انساب آل ابى طالب ص ۱۹۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۱

بن معاوية ان عمره لا بد و ان يكون فوق أن يشكّ فى بلوغه. و ليس ذلك مما يتخلص منه نتيجة القول بإمامته، إذ لا توجد عندنا مشكلة بهذا الصدد. و إنّما المشكلة هى فى ان الظروف و الاوضاع التى دفعت يزيد للسماح له بالتحدث من على المنبر تنمّ بذاتها عن سن معقول لمثل هذا السماح. لأن من يشكّ فى بلوغه لا يمكن ان تتاح له مثل هذه الوضعية التى اتاحها له يزيد.

۴- لقد وردت فى التاريخ روايات كثيرة عن ولادة الامام الباقر عليه السّلام، يستشف منها جميعا بانه حضر كربلاء و كان عمره آنذاك ۴ سنوات و لم يشك احد فى صحة تلك الروايات و لا ريب ان قبول هذه الروايات يستدعى قبول الرأى المشهور فى ولادة الامام السجّاد بفارق لا يتجاوز السنتين او الثلاث سنوات.

أم الامام السجاد عليه السّلام

إنّ من جملة المسائل المختلف عليها و التى لا يخلو البحث فيها من فائدة هى الاسم و النسب الدقيق لأمّ الامام السجاد، و على الرغم من الجهود الحثيثة التى بذلها بعض الكتّاب فى هذا المجال، الّا انّه و للاسف لم يطرح لحد الآن رأى دقيق و مقبول بهذا الشأن. اما القصّة التى تشير الى ان أمه هى بنت يزدجرد الثالث آخر ملوك ايران من سلسلة الساسانيين، فقد تعرضت فى الآونة الاخيرة للكثير من النقد و التحقيق، و الاسباب الكامنة وراء ذلك متعددة منها الخشية من ان يعوّل عليها اعداء الشيعة و يختلقون دوافع عاطفية وراء انتشار التشيّع فى ايران و يجعلون ذلك ناشئا من العلاقة السببية بين ائمة الشيعة و العائلة المالكة فى ايران آنذاك.

و قد جمع احد المحققين جميع- او معظم- الروايات الواردة فى هذا الصدد و تناولها بالدراسة و التحميص. هذا و قد اورد فى موضوعه روايات معدودة تشير

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۲

الى أن امّه أمّ ولد. و رغم الاختلافات الموجودة فى مفاد هذه الروايات و عدم انسجام بعضها مع روايات الفتوحات و غيرها، الا أن هناك امرا مسلّما به هو ان لهذا الموضوع شهرته الواسعة و تداوله فى أقدم نصوص الشيعة من امثال (واقعة صفين، ص ۱۳) و (تاريخ اليعقوبى) و (بصائر الدرجات) التى ألّفت باجمعها فى القرن الثالث. و قد بحثنا فى مقالة مستقلة- رغم اعترافنا بوجود الشكوك و الغموض فى اصل الموضوع- علاقة هذا الموضوع بانتشار التشيّع فى ايران. و نقدنا التوهّم القائل بوجود علاقة بينهما و بشكل مناسب و مقنع.

امامة السّجاد عليه السّلام

استنادا الى النصوص التى رواها كبار محدثى الشيعة فى جوامع حديثهم فان الامام السجاد عليه السّلام هو وصى ابيه الامام الحسين عليه السّلام و خليفته من بعده، و قد نقل هذه النصوص الكلينى و غيره من اساطين الشيعة و الروايات المنقولة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بخصوص اسماء الائمة الاثنى عشر للشيعة تثبت هذا الموضوع.

و بغضّ النظر عن ذلك، فانّ قبول المجتمع الشيعى للامام السجاد كإمام رابع و وصى للحسين بن على عليه السّلام، و مقبوليته العلمية من قبل الشيعة على مر التاريخ، يعتبر بذاته دليلا ناصعا على صدق هذه الوصاية، و ليس من شبهة فى امامته سوى ما اعترى فى ذلك المقطع الزمنى بعض محبّى اهل البيت من الشيعة نتيجة لتسمية محمد بن الحنفية بالامامة و هو ما ادّى الى حصول انحراف بين اوساط الشيعة فيما بعد. و سنشير الى هذا الموضوع باختصار فى الفصول اللاحقة. و بما ان نصوص الشيعة تشير الى لزوم وجود بعض الاشياء

لدى الائمة مثل سيف و درع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فان وجودها لدى الامام السجاد عليه السّلام قد ذكر بصراحة، حتى فى مصادر

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۳

اهل السنّة أيضا «۱».

الشخصية العلمية و الاخلاقية للامام السّجاد عليه السّلام

اصبحت القيم الدينية فى عهد الامام السجاد عليه السّلام عرضة للتغيير و التحريف على يد الامويين. فقد بلغ تطاول بنى أميّة على اصول الحقوق الاجتماعية حدّا الزم فيه سكان مركز من مراكز الاسلام الاولى و المهمة هو المدينة- المدينة التى ترعرعت فى احضانها رسالة النبى، و ازدهرت و اينعت فى ظلالها الوارفة ... المدينة التى دافع اهلها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دفاعا بطوليا و ناصروه ضد طاغوت الكفر و العصيان- بمبايعة يزيد و قائد جيشه مسلم بن عقبة على انهم عبيد له، واضحت احكام الاسلام ألعوبة بيد اشخاص مثل ابن زياد و الحجاج و عبد الملك بن مروان.

فقد خالف الحجاج- الذى كان يعتبر مقام عبد الملك افضل و ارفع من مقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- ابسط قواعد الحقوق الاجتماعية فى الاسلام و فرض الجزية على المسلمين و كان يسلم الناس لجلّاديه على ادنى سوء ظن.

فعند ما يكون وضع الحكومة على هذه الشاكلة، يصبح من الواضح الى اى مدى سيتدنّى مستوى التربية الدينية للناس و تنبعث القيم الجاهلية من جديد، فقد رفعت الجاهلية رأسها شامخة بعد أن قبرت بمذلّة لتسود الساحة و تقضى على الثقافة الاسلامية الوليدة.

و فى ظل هكذا ظروف اجتماعية مريرة، شرع الامام السجاد عليه السّلام بأهم عمل يهيّئ الارضية لارتباط الناس باللّه بواسطة الدعاء، فملأ بعمله هذا فراغ الشخصية

---

(۱) ابن سعد- الطبقات الكبرى. ج ۱ ص ۴۸۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۴

لدى الناس، و وضع بلسم الشفاء على الجراح العميقة التى احدثها آل أمية و جلاوزتهم فى كرامتهم و شخصيتهم، و وضع فى متناول أيدى الناس خطا و منهاجا يسيرون عليه باتجاه القيم المعنوية، استطاعوا فى ظله العثور على دوافع قوّية للحياة و البقاء و ابعاد كابوس اليأس و الكآبة القاتل الذى يستولى على الناس عادة عند ازياد الضغط و الارهاب الاجتماعى و استعادة ذلك الشوق و الحماس المفقود الذى يشكل العامل الاساس للحركة فى الحياة. و بهذا الشكل بات الناس متأثرين بالمعنويات الرفيعة السامية للامام السّجاد عليه السّلام و ازداد تعلقهم باسلوبه و منهاجه و انخرط الكثير من طلبة العلم فى سلك رواة حديثه فارتووا من زلال علمه المنبثق عن علوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و امير المؤمنين عليه السّلام.

يقول محمد بن سعد و هو من كبار المؤرخين فى وصف الامام:

«كان على بن الحسين ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا» «۱».

و كتب الشافعى رسالة بشأن حجية الخبر الواحد قال فيها:

«وجدت على بن الحسين و هو افقه اهل المدينة يعوّل على الخبر الواحد» «۲».

فابن شهاب الزهرى على الرغم من ارتباطه بالامويين و الحقد الذى اوجد شرخا عميقا بين الامويين و الشيعة، كان من جملة العلماء المعاصرين الذين تلقوا العلم بولع شديد و كان يثنى على الامام دائما بعبارات التجليل و الاحترام. و قد

---

(۱) ابن ابى الحديد ج ۱۵ ص ۲۷۴.

(۲) ابن سعد ج ۵ ص ۲۲۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۵

كتب له الامام فى احدى المرّات رسالة نصحه فيها بضرورة اعادة النظر فى «۱» وضعه الحالى كآلة بيد السلطة الاموية. و حتى ان الامام وبّخه لاستخفافه فى احد المرات بشخصية امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السّلام «۲».

إلّا انه مع ذلك كان روايا لعلوم الامام السجّاد، كما يشاهد من نقله عنه فى الكتب المختلفة «۳» و لقد كان شديد الاعجاب باخلاق الامام السّجاد و كثرة عبادته اذ نقل انه: «كان الزهرى اذا ذكر على بن الحسين يبكى و يقول: زين العابدين» «۴».

كما حكى عنه أيضا انه كان يقول: «لم أدرك احدا من اهل هذا البيت افضل من على بن الحسين» «۵».

«على بن الحسين اعظم الناس منّة علىّ» «۶».

«ما رأيت احدا أفقه من على بن الحسين» «۷».

كما روى عن يحيى بن سعيد قوله: «على بن الحسين افضل هاشمى رأيته بالمدينة» «۸».

---

(۱) تحف العقول ص ۲۰۰.

(۲) ابن ابى الحديد ج ۴ ص ۱۰۲.

(۳) ر. ك. ابن سعد ج ۸ ص ۱۷۲، ابو نعيم، حلية الاولياء ج ۳ ص ۱۴۱، كشف الغمة ج ۲ ص ۸۶.

(۴) ابو نعيم، حليلة الاولياء ج ۳ ص ۱۳۵.

(۵) ابن الصبّاغ المالكى، الفصول المهمة ص ۲۰۳، الاربلى، كشف الغمة ج ۲ ص ۸۶.

(۶) ابن سعد- ج ۵ ص ۲۱۴.

(۷) سير اعلام النبلاء، ج ۴ ص ۳۸۹، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ۱۲ ص ۱۹ ب، سيد الاهل زين العابدين، ص ۴۳.

(۸) الرازى، الجرح و التعديل ج ۶ ص ۲۷۸، البخارى التاريخ الكبير ج ۶ ص ۲۶۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۶

و من المحدّثين، كان ابو حازم يقول: «ما رأيت هاشميا افضل من على بن الحسين و لا افقه منه» «۱».

و كفى بقول ابن ابى شيبة فى فضل و منزلة الامام السجاد عليه السّلام عند اهل السنّة بأن افضل سند هو «الزهرى عن على بن الحسين عن ابيه عن على عليه السّلام» «۲»، و ان كان الزهرى موضع كلام.

و نقل عن الجاحظ انّه كان يقول: «الشيعى و المعتزلى و الخارجى و العامّة و الخاصة ينظرون الى شخصية على بن الحسين نظرة واحدة و لا يشك احد فى منزلته و فضله على الآخرين» «۳».

و سيأتى منّا فيما بعد أن اهم سبب فى شهرة الامام و حبّ الناس الشديد له هى عباراته و جمله الجذابة التى صاغها بقالب الدعاء الذى ينير القلوب و يعيد إليها النشاط و الحيوية و يعمرها بالقيم المعنوية يقول سعيد بن المسيّب و هو من مشاهير المحدّثين، فى وصف شخصية الامام:

«ما رأيت اورع من على بن الحسين» «۴».

و اشتهر الامام فى عصره بالقاب: على الخير، على الاغر، على العابد، و ...

و يقول مالك بن انس: «لم يكن فى اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مثل على بن

---

(۱) سبط بن الجوزى، تذكرة الخواص ص ۱۸۶، الاربلى ج ۲ ص ۸۰، العجلى تاريخ الثقات ص ۳۴۵.

(۲) الذهبى، سير اعلام النبلاء- ج ۴ ص ۳۹۱، تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۳۰۵.

(۳) ابن عنبة، عمدة الطالب ص ۱۹۳.

(۴) ابو نعيم، حلية الاولياء ج ۳ ص ۱۴۱، الاربلى، ج ۲ ص ۸۰، ابن حجر، تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۳۰۵، الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج ۴ ص ۳۹۱، فى هامشه عن تاريخ دمشق ج ۲ ص ۱۹ ب.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۷

الحسين» «۱».

و يصفه ابن ابى الحديد بقوله: «كان على بن الحسين غاية فى العبادة» «۲».

و كان يكثر من الخضوع و الخشوع بين يدى اللّه، و يمرّغ جبهته فى التراب، و يطيل فى سجوده، فكانت آثار السجود ظاهرة على جبهته، و بسببها كان يسمى ب «ذى الثفنات» «۳».

و اورد ابن حبّان بشأنه «و كان من افاضل بنى هاشم من فقهاء المدينة و عبّادهم، يقال على بن الحسين سيد العابدين فى ذلك الزمان» «۴».

و كتب ابو زهرة قائلا: «فعلىّ زين العابدين كان امام المدينة نبلا و علما» «۵».

و كان القاصى و الدانى يتحدث عن زهده و عبادته فقد روى: «أنه اذا اراد الوضوء اصفرّ لونه، و لما سئل عن ذلك قال: أ تدرون بين يدى من أريد ان اقوم» «۶».

يقول مالك: «احرم على بن الحسين، و لمّا لبّى اغمى عليه و سقط من فوق الجمل».

---

(۱) ابن ابى الحديد- ج ۱۵ ص ۲۷۳.

(۲) ابن ابى الحديد ج ۱ ص ۲۷.

(۳) ر. ك. معجم الادباء، ج ۱۱ ص ۱۰۳.

(۴) ابن حبّان- الثقات ج ۵ ص ۱۶۰.

(۵) الامام الصادق، ص ۲۲.

(۶) ابن الجوزى، صفوة الصفوة، ج ۲ ص ۵۵، الشبلنجى، نور الابصار ص ۱۲۷، ابن سعد ج ۵ ص ۲۱۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۸

و يقول أيضا: «بلغنى انه كان يصلى حتى وفاته فى اليوم و الليلة الف ركعة، و سمّى زين العابدين لكثرة عبادته» «۱».

و لما طلب الى خادمته وصفه قالت: «لم اجلب له طعاما فى نهار قط و لم ابسط له فراشا فى ليل قط» «۲».

و بينما هو يصلى فى احد الايام اذ ظهرت له افعى، فواصل الامام صلاته من غير ان يلتفت لها. و مرّت من بين رجليه و لم يتحرك من مكانه «۳».

و لم يكن اسوة فى العبادة فقط، بل و فى التفكّر الذى تعدل ساعة منه عبادة سبعين سنة من عبادة الجن و الانس.

نقل الزمخشرى ان على بن الحسين همّ بالوضوء فوضع يده فى الماء ثم رفع رأسه فنظر الى السماء و القمر و الكواكب ثم جعل يفكّر فى خلقها حتى اصبح و اذّن المؤذّن و يده فى الاناء» «۴».

و اصبح كذلك مثلا يحتذى به فى التصدّق و الاهتمام بالمساكين، و بعد شهادته عرف ان مائة عائلة كانت تعيش من صدقاته و نفقاته «۵». و كانت آثار حمل الطعام الى الفقراء واضحة على ظهره اثناء تغسيله «۶».

(۱) الذهبى، سير اعلام النبلاء ج ۴ ص ۳۹۲، ابن عساكر ۱۲/ ۲۱.

(۲) محمد على دخيل، ائمتنا ج ۱ ص ۲۶۵ عن المناقب ج ۲ ص ۲۵۵.

(۳) ابن ابى الحديد ج ۱۰ ص ۱۵۹.

(۴) ربيع الابرار ج ۱ ص ۱۲۸.

(۵) ابو نعيم، حلية الاولياء، ج ۳ ص ۱۳۶، الاربلى، كشف الغمة، ج ۲ ص ۷۸، سير اعلام النبلاء، ج ۴ ص ۳۹۳.

(۶) ربيع الابرار ج ۳ ص ۱۶۰ و ص ۱۶۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۹

و كان الناس أيضا يكنّون له وافر الود و المحبّة فقد روى ان قرّاء المدينة كانوا لا ينطلقون نحو مكّة لاداء مناسك الحج ما لم يغادر الامام المدينة اولا، و كان عند ما يتحرك ينطلق وراءه الف راكب «۱». و فى السفر كان يخفى نسبه عمّن يرافقه و يقول: «اكره أن آخذ برسول اللّه ما لا أعطى مثله» «۲».

و كما روى جويرية بن اسماء قال: «ما أكل على بن الحسين من قرابته من رسول اللّه درهما» «۳» كانت هذه نبذة من فضائل الامام السجاد اللامتناهية.

الامام السجاد عليه السّلام و الشيعة

بعد واقعة كربلاء مرّ التشيع بأسوإ ظروفه من ناحية الكم و الكيف فى بعده السياسى و العقائدى، و تحولت الكوفة من مركز مهم للميول الشيعية الى مركز خطير لقمع الشيعة. و قد استشهد فى كربلاء كبار الشيعة المخلصين الذين جاءوا مع الامام الحسين عليه السّلام من المدينة و مكّة او الذين التحقوا به من الكوفة.

و رغم ان عددا كبيرا من الشيعة كان لا يزال فى الكوفة، الّا انهم لم يتجرّءوا على الاعلان عن وجودهم فى ظل الظروف القاسية التى اوجدها ابن زياد هناك.

و تعتبر حادثة كربلاء من الناحية النفسية هزيمة كبيرة و احباطا نفسيا مريرا و ساد المجتمع تصوّر بأن الشيعة قد ابيدوا، و لن يتاح لهم الظهور على الساحة السياسية كقوة مؤثرة. فقد استشهد فى كربلاء عدد من اهل البيت و على رأسهم الامام

(۱) الطوسى، اختيار معرفة الرجال. ص ۱۱۷. طبعة مشهد.

(۲) الزمخشرى- ربيع الابرار- ج ۳ ص ۶۹.

(۳) الذهبى- سير اعلام النبلاء- ج ۴ ص ۳۹۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۰

الحسين عليه السّلام، و لم يبق من ابناء الحسين عليه السّلام إلّا واحد، و لم يكن له فى تلك الظروف منزلة اجتماعية مهمة لا سيما و ان الابن الاكبر للامام الحسين عليه السّلام اى علىّ الاكبر قد استشهد مع ابيه.

و بعد تخلصه من قيود الاسر فى المدينة و ابتعاده عن العراق سلبت من حياة على بن الحسين فرصة الاعلان عن وجوده، و يقول الاستاذ السيد جعفر مرتضى العاملى:

«تصور بنو أميّة من وجهة نظرهم السياسية بأنهم قد وضعوا نقطة الختام للحياة السياسية و الاجتماعية لاهل بيت رسول اللّه حملة الاسلام الاصيل. فرغم انّهم كانوا يتعاملون مع الامور بدقّة سياسية و شيطنة خاصّة مستغلين الضعف الروحى و العقائدى للناس و كانوا

غالبا ما يخرجون منها منتصرين، الّا انهم غفلوا عن نقطة مهمّة و حسّاسة هى وجود الامام السّجاد. فهو و ان كان يبدو شابا يافعا من ناحية السن و كان من السابق لأوانه لشاب مثله أن يخوض فى النشاط السياسى و لم يكن له من الشهرة و النفوذ الاجتماعى ما يخشى منه، و لكنه من الناحية الروحية و الشخصية كان ذا ابعاد سامية و رفيعة. فهو خلافا لتوقعات المجتمع آنذاك شرع بنشاطه السياسى- الثقافى فى المدينة. و كان عليه طبعا الشروع من نقطة الصفر بسبب وضع الشيعة فى تلك البرهة الزمنية و استقطاب الناس نحو اهل البيت، ذلك الينبوع الصافى الذى تنبثق عنه المعارف الاسلامية، و قد نجح فى مسعاه هذا ايّما نجاح» «۱».

و لقد اثبت التاريخ مدى النجاح الذى حققه الامام السّجاد فهو قد اضفى

---

(۱) دراسات و بحوث فى التاريخ و الاسلام- ج ۱ ص ۶۰ الطبعة الاولى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۱

على الشيعة حياة جديدة، و هيأ مستلزمات النشاطات اللاحقة للائمة من بعده كالامام الباقر عليه السّلام و الامام الصادق عليه السّلام. و يشهد التاريخ على ان الامام استطاع- و من خلال حركته و نشاطه المتواصل لمدة ۳۴ عاما- ان يجتاز بالشيعة واحدة من احلك الفترات التى مرّوا بها، و هى الفترة التى امتازت بالقمع المتواصل للشيعة على يد الامويين و الزبيريين، و كان من اوضح معالم هذه الفترة هى ولاية الحجاج على العراق لمدّة ۲۰ عاما و تسلط عبد الملك بن مروان على جميع العالم الاسلامى و التى لا تميزها عن غيرها سوى قمع الشيعة، او قمع معارضى الامويين فى اماكن أخرى كالخوارج او حركة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث. فقد كان سماع كلمة كافر اهون على الحجاج من سماع كلمة شيعى.

العلاقة بين الامام و التوابين

فى تلك الأيام قامت فى العراق حركتان شيعيتان و انتهت كلتاهما الى الفشل، و بقى الشيعة لسنوات طويلة عرضة لتهديد الامويين بالقتل و الحبس و التعذيب.

كانت احداهما حركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعى و عدد آخر من وجوه الشيعة فى الكوفة. و قد ادعى ان زعيم التوابين اعترف بامامة على بن الحسين عليه السّلام «۱»، و لكن لم يعثر على دليل هذا الادعاء فى المصادر الاوليّة. و المهم فى هذا الامر هو أن التوابين كانوا عازمين على تسليم قيادة المجتمع الى اهل البيت- فيما لو نجحوا فى مسعاهم طبعا- و لم يكن احد من نسل فاطمة أليق بهذا الأمر من على بن الحسين عليه السّلام.

فمن جملة القضايا التى دعا التوابون الناس إليها هى قضية الدعوة العامة

---

(۱) جعفرى، تشيع در مسير تاريخ ص ۲۸۶. دفتر نشر فرهنك اسلامى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۲

لاهل البيت. و بعبارة اخرى انهم جعلوا الدعوة الى اهل البيت على رأس برامجهم و اهتماماتهم.

فكان عبيد اللّه بن عبد اللّه يحثّ الناس على الثورة فيقول لهم: «أنا ادعوكم الى كتاب اللّه و سنّة نبيّه و الطلب بدماء اهل بيته و الى جهاد المحلّين و المارقين فان قتلنا فما عند اللّه خير للابرار و ان ظهرنا رددنا هذا الامر الى اهل بيت نبيّنا» «۱».

و لما اصطفّوا لمقاتلة جيش الشام. اوضحوا اسباب ثورتهم بما يلى: «اننا لو انتصرنا فسنرد الامر الى اهل بيت نبيّنا الذين آتانا اللّه من قبلهم بالنعمة و الكرامة» «۲».

بدأت حركة التوابين تنشط بشكل سرّى بعد حادثة كربلاء الأليمة، و وصلت اوجها خلال السنتين ۶۴ و ۶۵ للهجرة، واضحت تشكّل

تهديدا خطيرا لابن زياد و اعوانه فى واقعة كربلاء.

و قيادة هذه الحركة، و كما اشرنا سابقا، كانت بيد احد صحابة رسول اللّه الذى اصبح فيما بعد من صحابة امير المؤمنين عليه السّلام المقرّبين أيضا، و هو سليمان بن صرد الخزاعى فقد اتفق هو و جماعة من اصحاب امير المؤمنين عليه السّلام من وجهاء الشيعة و زعمائها على دعوة الشيعة فى الكوفة الى الثورة على ابن زياد و قتلة الحسين عليه السّلام من اجل التكفير عن موقفهم المتخاذل فى مناصرة الامام الحسين عليه السّلام

---

(۱) الطبرى ج ۴ ص ۴۳۳. و راجع كتاب ابن مسكويه، تجارب الامم ج ۲ ص ۹۷.

(۲) الطبرى ج ۴ ص ۴۶۴، البلاذرى ج ۵ ص ۲۱۰، ابن الاعثم ج ۶ ص ۸۲، ابن مسكويه تجارب الامم، ج ۲ ص ۱۰۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۳

و عدم مساندته و الذود عنه فى ثورته على الامويين.

و قد كانت الكوفة آنذاك قد سقطت بيد الزبيريين الذين يكنّون فى باطنهم عداء خفيا لاهل بيت الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خاصّة الامام على عليه السّلام، و لكنّهم كانوا ينظرون الى الموضوع من جانب آخر اذ كانوا يعتقدون ان كلّا من التوابين و ابن زياد عدوّ لدود لهم، و ان الصراع العسكرى فيما بينهما سيؤدى الى اضعاف كلا الجانبين و انهاك قواهما و لذلك لم يخلقوا أية عقبة تحول دون ثورة التوابين، بل دفعوهم أيضا نحو الاصطدام مع ابن زياد. و كان الدافع الاصلى لحركة التوابين منبثقا من شعور عاطفى شديد منشؤه واقعة كربلاء الفجيعة، و ما تثيره لديهم من تأنيب الضمير و الشعور بالذلّة و العار الناتج عن التقصير فى مناصرة الامام الحسين عليه السّلام و كانوا يعتقدون ان ذلك العار لا يزول الّا بمحاربة قتلة سبط النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقرروا ان يضحّوا بأنفسهم فى هذا السبيل ليتمكنوا من خلال سحقهم للحياة الدنيا من سلوك الطريق المؤدية الى الحياة الابدية بنفس مطمئنة و رأس مرفوع و ساحة مبرّأة من العيوب و منزّه عن الذنوب، و لهذا كانوا ينادون عند تركهم الكوفة: «إنا لا نطلب الدنيا و ليس لها خروجنا» «۱».

و كان عددهم اربعة آلاف رجل. و ان كان الذين بايعوا سليمان ضعفى او ثلاثة اضعاف هذا العدد الا أن عدم مشاركتهم يعود الى الموقف السلبى للمختار ابن ابى عبيدة تجاه سليمان اذ كان المختار يرى انه لا يمتلك الكفاءة و التجربة العسكرية الكافية و انه قد وضع اتباعه على حافّة الفناء.

---

(۱) الطبرى- ج ۳ ص ۴۵۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۴

و لهذا تخلّف الكثير من الشيعة الذين بايعوا سليمان و عاهدوه على المقاتلة طلبا لثأر الامام الحسين، و امتنعوا عن المشاركة فى جيشه.

و كيفما كان فقد واجهوا العدوّ و شبّت بين الجانبين حرب طاحنة ادت الى هزيمة جيش سليمان، فقتلت الغالبية العظمى من جيشه، و كان من بين القتلى سليمان و عدد من قادة جيشه، و لم يرجع الى الكوفة الّا عدد ضئيل منهم.

و كان من المقرر فى بداية هذه الثورة ان يشارك فيها أيضا شيعة البصرة و المدائن الى جانب سليمان، الا انهم لم يتمكنوا- وفقا للروايات الصحيحة- من المشاركة فيها.

و يبدو ان سليمان و اتباعه لم يكونوا يدركون الجوانب السياسية لهذه القضية كما كان يدركها المختار الثقفى او انهم كانوا تحت تأثير المشاعر العاطفية الجيّاشة التى لم تسمح لهم بالالتفات الى هذه الجوانب. و لهذا فانهم قاتلوا بكل شجاعة و اخلاص من اجل الوصول الى هدفهم فى سحق عدوّهم، لكن ذلك ادى بهم الى الهزيمة.

و هذا يشبه الى حد بعيد ما واجهه المختار الثقفى فى الكوفة بعد ذلك بفترة يسيرة، لكن امره انتهى به الى الفشل لأسباب اخرى من اهمّها الضغط الخارجى.

و بصورة عامة فان ثورة التوابين قامت على اداء كفّارة الذنب الذى ظلّ يعذّبهم بشدة و كان هذا الشعور مستوليا عليهم الى درجة كبيرة بحيث ترك تأثيره حتى على الجوانب السياسية للقضية و هذا الوضع النفسى لم يكن ليسمح لهم بالحصول على تقييم صحيح و دقيق للجانب السياسى للثورة.

و يمكن ادراك هذه الحالة من خلال الاراجيز التى كان يرددها جيش سليمان

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۵

اثناء القتال. فقد كان احدهم يردد فى ميدان الحرب:

إليك ربّى تبت عن ذنوبىو قد علانى فى الورى مشيبى «۱» و آخر كان يقول:

ارحم الهى عبدك التوّاباو لا تؤاخذه و قد أنابا «۲»

علاقة الامام بالمختار

تضمنت ثورة المختار و علاقته بالامام السجاد بعض المشاكل لا على الصعيد السياسى فقط، بل على الصعيد العقائدى أيضا. فقد نقل عن المختار و بعد ان احرز بعض النجاح فى استقطاب بعض الشيعة فى الكوفة، انه استعان بالامام على بن الحسين عليه السّلام لمساعدته فى مواصلة نشاطه، لكن هذه الاستعانة لم تلق ترحيبا و استقبالا من الامام «۳». و كان موقف الامام يتناسب الى حد بعيد مع تجارب الامام منذ زمن امير المؤمنين عليه السّلام الى زمن ابيه و الى حركة التوابين فى الكوفة، اذ كان من غير المنطقى فى نظره، و فى ظل تلك الظروف الاستثنائية التى افقدته أية ثقة بالكوفة ان يعمد الى القيام بعمل يؤدى الى فناء الشيعة الكامل هذه المرّة. اضف الى ذلك ان ماهية حركة الامام فى فترة امامته تعكس بوضوح ان مهمته الاساسية لا ترتبط بالسياسة بل كان فى الكثير من المواقف يضع نفسه خارج اطار السياسة حتى انه كان يتحاشى و يحتاط كاملا من اى عمل قد

---

(۱) ابن الاعثم ج ۶ ص ۸۳.

(۲) نفس المصدر السابق.

(۳) الطوسى- اختيار معرفة الرجال ص ۱۲۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۶

يتذرّعون به ضده، لكى يتمكن وارث سلالة الاسلام المحمدية من اداء رسالته فى سياق الزمن.

و اما الاشكال على الصعيد العقائدى فى القضية فقد نشأ عند ما طلب المختار الاسناد و التأييد من محمد بن الحنفية. و قد لبّى ابن الحنفية طلب المختار- و لو بصورة غير رسمية- و اشيع منذ ذلك الوقت بان امامة محمد بن الحنفية مقبولة بين شيعة العراق. و رغم ان هذه القضية غير يقينية، الّا ان فرقة اشتهرت فيما بعد اسما او رسما بالكيسانية و قد ابتدأت قصّتها فى زمن المختار.

و كان مردّ رسوخ بعض الاسس الفكرية للغلاة لدى جماعة من شيعة الكوفة هو المختار نفسه، اذ اشيع انه كان له الدور الفاعل فى ظهور الغلاة فيما بعد، و هناك اسباب أخرى متعددة لا يسع المجال لذكرها تعرّضنا لها فى مواضع أخرى و مع ان حول جميع هذه القضايا و من بينها وجود فرقة باسم الكيسانية تعتقد بامامة او مهدوية محمد بن الحنفية يكتنفها الشك و تحيط بها هالة من الغموض و الابهام، الّا أن هناك ادلّة تشير الى أن الامام السجاد قد اتخذ موقفا من الغلاة، و هذا ينمّ عن وجود انحراف لدى شيعة العراق كان يمنع الامام من مساندتهم او اقامة اية علاقة مباشرة معهم.

فقد قال الامام السّجاد فى احدى المرّات مخاطبا جماعة من اهل العراق:

«أحبّونا حبّ الاسلام و لا ترفعونا فوق حدّنا» «۱».

و يقول ابو خالد الكابلى أيضا سمعنا الامام السجاد يقول: «ان قوما من

---

(۱) ابو نعيم حلية الاولياء، ج ۳ ص ۱۳۶، و راجع كتاب، سير اعلام النبلاء ج ۴ ص ۳۹۰، ابن سعد ج ۵ ص ۳۱۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۷

شيعتنا سيحبّونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود فى عزير و ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم فلا هم منّا و لا نحن منهم» «۱».

و تفيد مصادر الشيعة انّ محمد بن الحنفية لم يكن منحرفا عن الاصول الاعتقادية للشيعة و انه كان يؤمن بعلى بن الحسين عليه السّلام كامام و حجّة بينه و بين اللّه.

اذا اعتقدنا بهذا اصبح من العسير جدا اثبات ان محمد بن الحنفية قد ادعى لنفسه امامة شيعة الكوفة. و لو فرض ثبوت ادعائه ذلك فانه لا بد من افتراض عدد من الافتراضات تقوم على انه اتخذ من نفسه وقاء و غطاء للامام السجاد عليه السّلام لصيانته من الاخطار المحتملة من قبل بنى اميّة. مع ان مثل هذا الافتراض لا يستند الى اى دليل سوى اعتقاده الجازم باهل البيت.

اما بالنسبة للمختار فقد نسبت إليه الكثير من التهم الباطلة الكاذبة، و لا يمكن التصديق بسهولة ان الامام السجاد اتهمه بالكذب اذ ينقل عنه انه قال:

«المختار يكذب على اللّه و رسوله» «۲»، بل ان الثابت لنا عكس ذلك، فعند ما ارسل له المختار رأس عبيد اللّه بن زياد المجرم الاصلى و المسبب الاساس لمذبحة كربلاء الفجيعة، دعا له الامام و قال: «جزى اللّه المختار خيرا» «۳».

و ورد فى ذلك انه: «لم يبق من بنى هاشم احد الّا قام بخطبة فى الثناء على المختار و جميل القول فيه «۴».

و روى أيضا عن الامام الباقر عليه السّلام انه قال: «لا تسبّوا المختار فانّه قتل

---

(۱) الطوسى- اختيار معرفة الرجال.

(۲) ابن سعد ج ۵ ص ۲۱۳.

(۳) الطوسى- اختيار معرفة الرجال ص ۱۲۷.

(۴) ابن سعد ج ۵ ص ۲۸۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۸

قتلتنا، و طلب ثارنا، و زوّج ارامانا، و قسّم فينا المال على العسرة» «۱».

و لما سأله ابنه عن موقفه ازاء المختار اظهر له ايجابية الموقف «۲».

و على ايّة حال لم تدم ثورة المختار طويلا اذ سرعان ما أخمدت عام ۶۷ للهجرة على يد الزبيريين.

اما الحصيلة النهائية التى يمكن ان تستخلص من مجموع الدراسة التى تمّت حول شخصية المختار و اتجاهه السياسى فيمكن القول: رغم أن المختار كان من وجهة النظر الاعتقادية و المشاعر المذهبية شخصية مهذّبة و بريئة من التهم التى نسبت إليها و الاكاذيب التى لفّقت ضدها، الّا أنه كان يميل الى التعامل السياسى فى سلوكه الاجتماعى. فقد كان يتصور انه لو تمكن من اقناع احدى شخصيات اهل البيت لتزعّم حركة الثورة، فانه سيكون فى مأمن من المؤامرات التى كان من المحتمل ان يدبّرها ضدّه اعداؤه خاصة الزبيريين، و رغم ذلك فقد تسبب استناده و اعتماده على شخصية محمد بن الحنفية فى حصول مشاكل كثيرة له و يمكن القول ان سلوكه السياسى قد تغلّب على الجانب الدينى من سلوكه.

و مع ان المختار احرز انتصارات سياسية باهرة لكن اعداءه خارج الكوفة و داخلها ممن قمعهم، اوجدوا فى طريقه العديد من المعوّقات التى ادت اخيرا الى اسقاط ثورته التى صنعها و قادها بنفسه.

و من ابرز خصائص حركته السياسية هو اعتماده المفرط على الموالى فى

---

(۱) الطوسى- اختيار معرفة الرجال ص ۱۲۵

(۲) نفس المصدر السابق ص ۱۲۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۹

الكوفة، و الذين يشكل الايرانيون الغالبية العظمى منهم، بحيث ان الثقل الاكبر فى تحرك المختار ضد مجرمى كربلاء وقع على اكتافهم، و كان من الواضح انّه سيواجه مصاعب جمّة من جرّاء اتباعه لهذا النظام، و نتيجة لوجود التعصب الشديد بين العرب المنبثق من الايحاءات الشيطانية التى كان يقوم بها الامويون و بعض الحكّام و الخلفاء الذين جعلوا رؤية المسلمين العرب و فهمهم و تقييمهم و سلوكهم تصبّ جميعا فى قالب توجّهاتهم الفكرية الخاصة. و ان الاتكاء على الموالى قد اتاح لهم الفرصة أيضا لادانته من وجهة نظر الطبقة العربية فى المجتمع الاسلامى و التى كانت تشكل آنذاك اقوى فئة فى المجتمع الاسلامى. و رغم كلّ هذه الظروف فقد استطاع و بالاعتماد على هؤلاء الاشخاص الاستمرار لمدّة اكثر من عام (۶۶- ۶۷).

الامام السّجاد عليه السّلام و اصحابه

ان الانحراف الذى اشرنا إليه، و كذلك شبهة الامامة التى ظهرت و اشيعت بين اهل الكوفة حول محمد بن الحنفية خلافا لرغبته، قد جعل البعض منهم حائرا فى معرفة الوصى الذى عيّنه الحسين بن على عليه السّلام. فقد اقرّ القاسم بن عوف و هو احد اصحاب السجاد عليه السّلام بانه كان مترددا فى بداية الامر بين على بن الحسين عليه السّلام و محمد بن الحنفية «۱».

و منهم كما يقول الكشى: ابو حمزة الثمالى و فرات بن الاحنف «۲».

و هناك اختلاف حول سعيد بن المسيّب، فقد اعتبره البعض من اصحاب الامام السّجاد عليه السّلام و لكنه ظاهرا كان يحكم وفقا لفتاوى العامة. و ورد فى كتاب

---

(۱) الطوسى- اختيار معرفة الرجال ص ۱۲۴ ط. مشهد.

(۲) نفس المصدر السابق.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۰

رجال الكشى ان موقف ابن المسيّب انما كان بهدف التخلص من مخالب الجور و القتل الاموى.

و على كلّ حال فانه كان يكنّ للامام احتراما لا ينكر. و كان ينهل منه العلم و الاخلاق، الّا انه لم يشارك فى تشييع جنازة الامام، و اعترض عليه الناس بشدة «۱».

و اما ما عدا هؤلاء فقد كانوا يعتبرون- و طبقا لمصادر الشيعة- من اخلص الناس و اكثرهم استقامة. فقد ورد فى رواية ان اشخاصا معدودين وقفوا الى جانب على بن الحسين فى الايّام الاولى لامامته هم: سعيد بن جبير و سعيد بن المسيّب و محمد بن جبير بن مطعم و يحيى بن أم طويل و ابو خالد الكابلى «۲».

و كما ذكرنا سابقا، فقد تعرض المجتمع الشيعى بعد واقعة كربلاء الدامية الى ضعف و تشتت شديد، و لم يكن احتمال سقوطه و انقراضه التاريخى بعيدا لا سيما و ان البقية المتبقية من المجتمع الشيعى آنذاك تعرّضت للانشقاق و الفرقة و اصيبت نتيجة ذلك

بالانحراف و الضياع. و فى مثل هذه الظروف العصيبة المضطربة بدأ الامام السجاد ممارسة مهمته. فشرع اوّلا بالاستناد الى احاديث رسول اللّه المروية عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بواسطة امير المؤمنين و الحسنين عليهم السّلام و التى تألّفت منها و من الاحاديث الاخرى المنقولة عن سائر ائمة الشيعة، سنّة النبى الموثقة المعتمدة من وجهة النظر الشيعية، بتجديد المنهاج الفقهى لدى الشيعة، و بلورة أسسه و نشر و اشاعة نمط التفكير الشيعى لصيانتها من التمزق و الانحراف و رفدها بحياة جديدة.

---

(۱) نفس المصدر السابق ص ۱۱۶.

(۲) نفس المصدر السابق ص ۱۱۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۱

و رغم جهود الامام المتواصلة التى ادّت طبعا الى بقاء الشيعة الّا أنّ المدينة و بسبب الانحرافات الفكرية التى سادتها منذ صدر الاسلام، و ما نتج عنها من اجواء متشائمة من الخط الفكرى الشيعى، لم تكن مناخا مناسبا لتنامى الشيعة كما قال السجاد عليه السّلام: «ما بمكّة و المدينة عشرون رجلا يحبّنا» «۱».

موقف الامام من الامويين

كان اول موقف للامام مع ولاة بنى أميّة بعد واقعة كربلاء هو موقفه من عبيد اللّه بن زياد فى دار الامارة بالكوفة، اذ سأله ابن زياد فى هذا اللقاء عن اسمه فاجابه الامام ان اسمه على. فقال له ابن زياد: أ لم يقتل اللّه علىّ بن الحسين فى كربلاء؟ فأجابه عليه السّلام: كان لى اخ يدعى عليا قتله الناس. فقال ابن زياد: بل قتله اللّه. فقال الامام: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها «۲» كناية عن ان اللّه هو الذى يقبض ارواح الناس عند انتهاء آجالهم، لكن اهل الكوفة هم الذين قتلوه.

و اراد ابن زياد قتله، لكن زينب ابنة امير المؤمنين تدخلت فى الموضوع و حالت بينه و بين قتله «۳».

و تحدّث معه يزيد أيضا فى الشام و وجه له اللوم و التقريع «۴». ثم أتيحت للامام فرصة مؤاتية لارتقاء المنبر فاورد خطبة غرّاء عرّف بها الناس بنفسه و نسبه، و كان الامويون قد ضلّلوا اهل الشام بدعاياتهم و لم يتيحوا لهم معرفة اهل

---

(۱) ابن ابى الحديد ج ۴ ص ۱۰۴، و راجع كتاب البحار ج ۴۶، الغارات ص ۵۷۳.

(۲) الزمر/ ۴۲.

(۳) الطبرى- ج ۵ ص ۲۳۱ ط غز الدين، المنتخب من ذيل المذيل ص ۶۳۰.

(۴) ابن عبد ربّه- العقد الفريد ج ۵ ص ۱۳۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۲

بيت النبى كما ينبغى، فاطلعوا من خلال خطبة الامام على بعض الحقائق و لهذا السبب منعه يزيد من مواصلة الخطبة و انزله من على المنبر. ثم سعى يزيد الى حفظ ماء وجهه فالقى بالذنب فى قتل سيد الشهداء على ابن زياد، و ارسل على بن الحسين و بقية اسرى كربلاء الى المدينة بكل احترام.

و بعد واقعة كربلاء ثار اهل المدينة ضد الامويين و مهّدوا الامور لواقعة الحرّة و كانت تلك الثورة بقيادة عبد اللّه بن حنظلة المعروف بغسيل الملائكة، و كان الدافع من ورائها هو حياة اللعب و الفسق و الفجور التى كان يحياها يزيد و كانت تلك الثورة ذات طابع معاد للامويين.

و قد اتخذ الامام فى هذا الامر موقفا محايدا و خرج من المدينة بصحبة عدد من افراد عائلته و لم يشارك فى تلك الثورة بصفته

زعيما للشيعة، لأن اى تعاون له مع القائمين بالثورة كان سيجلب على الشيعة اشد الويلات و المخاطر، لان تلك الحركة كانت غير محسوبة النتائج و لم يكن لها موقف سياسى متين و واضح.

و علاوة على هذا، فعند ما طرد الناس الامويين من المدينة فى بداية اندلاع الثورة، تقدم مروان بن الحكم الى الامام و طلب منه ايواء زوجته فاستجاب الامام لطلبه بمقتضى رجولته و عطفه الذى لا يبخل به حتى على الدّ اعدائه فآوى زوجة مروان و جعلها فى مأمن من اذى الثوار.

و قد فسر الطبرى فعل الامام هذا بوجود صداقة قديمة تربطه بمروان «۱». بينما يشير الاختلاف الفاحش فى السن بينهما و كذا السلوكية العدوانية للامويين ازاء أب الامام و جدّه و كل بنى هاشم، الى ان رأى الطبرى هذا ليس سوى تهمة لا

---

(۱) الطبرى ج ۵ ص ۲۴۵.

اساس لها من الصحّة.

و لما قمع مسلم بن عقبة المعروف بالمسرف ثورة اهل المدينة و ارتكب اكثر الجرائم وحشية و دموية فى العصر الاموى، عامل على بن الحسين عليه السّلام معاملة خاصة تتسم بالاحترام و اللين و ذلك بسبب عدم مشاركته فى ثورة المدينة لكنّ المسرف كان يعزو احترامه و سلوكه هذا لتوصية شخصية من يزيد بشأن الامام فهو عند ما طلب من اهل المدينة البيعة ليزيد على انهم عبيد له، اكتفى من الامام السجاد بتلك البيعة المتعارفة «۱».

و ينبغى للتعرف الدقيق على الموقف السياسى و الاجتماعى لكل واحد من الائمة من الاخذ بنظر الاعتبار الظروف الخاصة بكل عصر و واجب كل امام فى تلك الفترة علاوة على الوضع السياسى العام السائد فى المجتمع المعاصر لذلك الامام و مدى امكان المواجهة العسكرية و الفرصة لاعداد الصفوف المقاتلة. و فوق ذلك فى الاهمية ضرورة المحافظة على الاسلام الاصيل فى مختلف الظروف و ملاحظة عنصر الغيب، لأن مثل هذه الظروف و هى التى تحدد الخطوط الاساسية لسياسة و نمط حركة كل امام فى مجتمعه.

و من الطبيعى ان كل ظرف يقتضى عملا خاصا، و كل عاقل يدرك عدم امكانية اتباع سياق عمل واحد فى الظروف المختلفة.

و فيما يخص الامام السجاد عليه السّلام فانه- كما اشرنا سابقا- وجد نفسه فى اجواء سياسية و اجتماعية أملت عليه صبّ كل اهتمامه على صياغة شكل جديد للمذهب الشيعى الذى لم يكن فى ذلك الوقت على هيئة فئة معيّنة فى المجتمع، و نشره

---

(۱) ابن ابى الحديد ج ۳ ص ۲۵۹، ابن سعد ج ۵، الاربلى كشف الغمة ج ۲ ص ۱۰۷.

و المحافظة عليه.

و فى ذلك الوقت كان الامام موضع سوء ظن من قبل الامويين، و كانت ادنى حركة منه ستجلب له أسوأ العواقب. و فى ظل هذه الظروف يكون طبيعيا من الامام ان يعتبر اية حركة لا تساوى تحمّل مثل هذه العواقب الوخيمة.

و كان من أهم المبادئ الدينية التى ساعدت الامام على المحافظة على نفسه و شيعته و اتباعه من الاجراءات القمعية لاعدائه هو مبدأ التقية. فالتقية كانت بمثابة الدرع الذى صان وجود و استمرارية حياة الشيعة على مر التاريخ، و قد كان ائمة الشيعة يؤكّدون على اتباعهم دوما بضرورة رعايته و الالتزام به بدقة. كما كان طبيعيا أن تنكر بعض الجماعات- التى لم تتعرض لاى ضغط سياسى، فكانت تعمل بحرية مطلقة بل كانت تحظى بدعم السلطات الحاكمة أيضا فلم تكن بحاجة الى النشاط الخفى (التقية)- مبدأ التقية بهدف اضعاف الشيعة، رغم الوجود الصريح لهذا المبدأ فى القرآن و السنّة.

فقد ورد فى رواية عن الامام السجاد عليه السّلام انه قال: «من ترك الامر بالمعروف و النهى عن المنكر كمن ترك القرآن و جفاه الّا من كان فى تقيّة. فقيل له: و ما التقية؟ قال: يخاف جبارا عنيدا يخاف ان يفرط عليه أو يطغى» «۱».

و مبدأ التقية هذا و ان كانت جذوره موجودة فى القرآن. الّا انّ أئمة اهل البيت كانوا كثيرا ما يؤكّدون على ضرورة مراعاته من الناحية الفقهية، و كانوا اكثر الناس تقيّدا به. و كان الامام السجاد يعيش حقيقة فى ظروف مضطربة تفرض عليه انتهاج سبيل التقية، اذ لم يكن امامه سوى اختيار ذلك الطريق.

---

(۱) ابن سعد- ج ۵ ص ۲۱۴، ابو نعيم نفس المصدر ج ۲ ص ۱۴۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۵

ورد فى رواية ان رجلا دخل على الامام السجاد و سأله: «يا ابن رسول اللّه كيف أنتم؟ فقال له: أ و ما آن لكم أن تعلموا كيف نحن؟ إنمّا مثلنا فى هذه الامة مثل بنى اسرائيل كان يذبح ابناؤهم و تستحيا نساؤهم، الا و ان هؤلاء يذبّحون ابناءنا و يستحيون نساءنا. زعمت العرب ان لهم فضلا على العجم.

فقالت العجم؛ و بما ذلك؟ قالوا: كان محمد منا عربيا. قالوا لهم صدقتم، و زعمت قريش الفضل على غيرها من العرب و قالت كان محمد منا. فان كان القوم صدقوا فلنا فضل على الناس لأنا ذرية محمد و اهل بيته و خاصّته و عترته لا يشاركنا فى ذلك غيرنا. الا أنهم ظلمونا و لم يعطونا حقنا، فان كنت لا تعلم فهكذا نحن».

يقول الراوى كان الامام يتحدث و كأنه يريد أن يسمع من حوله «۱».

و فى العبارة اعلاه شبّه وضع اهل البيت فى آل أمية بوضع بنى اسرائيل فى آل فرعون. و هذا خير توضيح للأوضاع المزرية التى تعرض لها هو و اهل بيته و انصاره. و الذى يسترعى الانتباه هنا هو ان الامام و فى مثل هذه الظروف العصيبة اتخذ نفس نمط الاستدلال الذى اتّبعه امير المؤمنين عليه السّلام فى مواجهة قريش حيث يشير هناك الى ان قريش غلبت خصومها بالاستدلال بقرابتها من رسول اللّه و اخذت الخلافة لنفسها، و بناء على هذا الاستدلال فينبغى ان يكون امير المؤمنين على عليه السّلام احق الناس باستلام زمام امور الدولة الاسلامية الواسعة. و هكذا كان الامام يسعى الى اثبات احقّية اهل البيت بمقام الخلافة و انه لا يغض النظر عن هذا الحق فى احلك الظروف.

---

(۱) ابن سعد- ج ۵ ص ۲۱۸، الطبرى- المنتخب من ذيل المذيل ص ۶۳۱، و قد نسبت الرواية اعلاه فى أمالى الشيخ الطوسى ص ۹۴ البحار ج ۴۶ ص ۲۶۰ الى الامام الباقر عليه السّلام.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۶

و لما حدثت واقعة الحرة و قتل فيها عدد كبير من صحابة رسول اللّه و ابنائهم، و هو جمت الكعبة و اضرمت فيها النيران على يد مسلم بن عقبة و خليفته من بعده الحصين بن نمير، و لم يكن خلالها من يجرأ على الاعتراض على هذه الاعمال المعادية للاسلام. و فيما اصبح سبّ امير المؤمنين عليه السّلام من فوق المنابر سنّة جارية، اذا تركها الخطيب رفع الناس اصواتهم بالاعتراض ... فى ظل تلك الاوضاع لم يكن لدى الامام سوى عدد معدود من الصحابة المقرّبين، كما لم يكن بامكانه القيام بعمل فاعل و رادع، و لذا فانه راى انّ الوضع يحتم عليه تجميع الشيعة من جديد بعد تعرّضهم للتشتت و تربية جماعة من الصحابة على الاسلام الاصيل و تزويدهم بالعلوم و المعارف الاسلامية الاصيلة و الحقيقية، و تجديد بناء المجتمع الشيعى فى الفرصة المناسبة لكى ينقذ بعمله هذا الاسلام الاصيل من النسيان فى خضم الاحداث التاريخية، و لهذا فقد كان ينصح الانصار الذين يأتون إليه من اقاصى البلاد بالصبر، و يوصيهم بالتحمل، و ينهاهم عن اشهار السلاح الذى لم يكن يثمر شيئا سوى الموت «۱».

استفادته من سلاح الدعاء

عند ما أصيب المجتمع الاسلامى بالانحراف و غلب عليه حب الرفاه و الميل الى الدنيا و طغت عليه مظاهر الفساد السياسى و الاخلاقى و الاجتماعى، و استولت عليه حالة من الكبت و سرت فى اوصاله سريان السرطان فلم يبق للمجتمع منفذا للتنفّس، استفاد الامام السجاد عليه السّلام من الدعاء لطرح بعض المعتقدات و المبانى الثقافية الاسلامية فأوجد لدى الناس مرة أخرى اندفاعا و حركة نحو

---

(۱) ابن سعد ج ۵ ص ۲۱۶. پ

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۷

العبادة و التوجّه الى اللّه. و مع ان الهدف الرئيس من تلك الادعية هو العبادة، الا أن التمعن فى العبارات الواردة بين طيّاتها يمكن ان تدلنا على المفاهيم السياسية التى يقصدها الامام.

فالصحيفة السجادية التى تشتمل على اكثر من خمسين دعاء، لا تشكل فى الحقيقة الا بعضا من ادعية الامام السجاد عليه السّلام. فهناك مجاميع أخرى من الادعية اعدّت بصورة كتب بلغ تعدادها مع الصحيفة المشهورة ستة كتب يحتوى بعضها على اكثر من ۱۸۰ دعاء «۱».

و هذه الادعية غير موجودة لدى الشيعة فقط بل هى متداولة أيضا على ألسنة اهل السنّة «۲». و هذا ما يشير الى ان ادعية الامام السجاد عليه السّلام قد نفذت حينذاك الى اعماق ذلك المجتمع و قد استفاد منها كلا الفريقين باعتبارها طريقا يؤدّى الى اللّه و حلقة وصل بين المخلوق و الخالق.

و هنالك تعبير غالبا ما يتكرر وجوده بين تلك الادعية و قلّما تجد دعاء يخلو منه هو «الصلاة على محمد و آل محمد» و قد استخدمت هذه العبارة فى وقت اصبحت تسمية الاشخاص باسم على امرا مستهجنا من قبل حكّام بنى أمية، و جريمة يعاقب عليها. و تعرّض الناس تحت هذه الذريعة للتهديد و الملاحقة، و كأن الامر ما كان ليستقيم لسلاطين آل أمية الّا بسب على امير المؤمنين عليه السّلام «۳»، و هنا تتضح قيمة هذه العبارة و الهدف من تكرارها. و هناك تعابير مثل: محمد و آله الطيبين الطاهرين الاخيار الانجبين، و هى من الامثلة التى تكررت مرّات

---

(۱) آقا بزرگ طهرانى- الذريعة ج ۱۵ ص ۲۰.

(۲) ابن ابى الحديد ج ۱۱ ص ۱۶۲ و ج ۶ ص ۱۸۶ و ج ۵ ص ۱۱۳.

(۳) ابن ابى الحديد ج ۱۳ ص ۲۲۰، البلاذرى- انساب الاشراف ج ۱ ص ۱۸۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۸

متعددة فى تلك الادعية.

ان تأكيد الامام على قضية محمد و آله امر فرضه اللّه فى الصلاة عليهم، و يحظى باهميّة بالغة فى تبيان عقائد الشيعة. و قبل التطرق الى نقل مضامين من ادعية الامام الواردة فى الصحيفة السجادية، نرى من المناسب هنا ايراد حديث عنه فى تحكيم آصرة محمد و آله، فقد ورد عنه انه قال: «ان اللّه فرض على العالم الصلاة على رسول اللّه و قرننا به، فمن صلّى على رسول اللّه و لم يصلّ علينا لقى اللّه تعالى و قد بتر الصلاة عليه و ترك اوامره» «۱».

و من جملة المضامين السياسية- الدينية التى وردت فى الصحيفة هى مسألة الامامة التى طرحت على شكل مفهوم اسلامى يشتمل بالاضافة الى احقية و اولوية اهل البيت فى تولّى قيادة المجتمع الاسلامى على جوانب إلهية من قبيل العصمة و الاستفادة من علوم

الأنبياء و خاصة النبى الاعظم. و نورد فيما يلى مقاطع منها:

«ربّ صلّ على اطائب اهل بيته الذين اخترتهم لأمرك و جعلتهم خزنة علمك و حفظة دينك، و خلفاءك فى ارضك و حججك على عبادك و طهّرتهم من الرجس و الدنس تطهيرا بارادتك و جعلتهم الوسيلة إليك و المسلك الى جنّتك» «۲».

و ورد فى ادعية أخرى. «اللّهم ان هذا المقام لخلفائك و اصفيائك، و مواضع امنائك فى الدرجة الرفيعة التى اختصصتهم بها قد ابتزّوها حتى عاد

---

(۱) تاريخ جرجان ص ۱۸۸.

(۲) نفس المصدر الدعاء ۴۷ الفقرة ۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۹

صفوتك و خلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزّين. اللهم العن اعداءهم من الأولين و الآخرين، و من رضى بفعالهم و اشياعهم و اتباعهم» «۱».

«و صلّ اللهم على خيرتك من خلقك محمد و عترته الصفوة من بريتك الطاهرين و اجعلنا لهم سامعين و مطيعين كما امرت» «۲».

«اللهم انك أيّدت دينك فى كلّ أوان بامام اقمته علما لعبادك و منارا فى بلادك بعد أن اوصلت حبله بحبلك و جعلته الذريعة الى رضوانك و افترضت طاعته و حذرت معصيته و امرت بامتثال اوامره و الانتهاء عند نهيه و لا يتقدمه متقدّم و لا يتأخر عنه متأخر فهو عصمة اللائذين و كهف المؤمنين و عروة المتمسّكين و بهاء العالمين و اقم به كتابك و حدودك و شرائعك و سنن رسولك صلوات اللّه عليه و آله و احى به ما اماته الظالمون من معالم دينك و اجل به صداء الجور عن طريقتك و ابن به الضّراء من سبيلك و ازل به الناكبين عن صراطك و امحق به بغاة قصدك عوجا و اجعلنا له سامعين مطيعين و فى رضاه ساعين» «۳».

يتضح جليّا من خلال العبارات السالفة ان الامام كان يبذل جهودا حثيثة لنشر مبدأ الاعتقاد بالامامة بمفهومه الشيعى على اعتباره اهم مسألة فى المسائل الاعتقادية الاسلامية و نظير هذا الثناء على اهل البيت يلاحظ بكثرة فى نهج البلاغة أيضا.

---

(۱) نفس المصدر السابق- الدعاء ۴۸ الفقرة ۹.

(۲) الصحيفة السجادية، الدعاء ۳۴ الفقرة ۵.

(۳) الصحيفة السجادية- الدعاء ۴۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۰

و هنا ينبغى الاشارة الى ان احدى الوظائف العظيمة الاهمية بالنسبة للائمة الاطهار هى تقديم انفسهم للناس بصفتهم ائمة منصبين من قبل اللّه. و هى الوظيفة التى ادّاها امير المؤمنين عليه السّلام و بيّنها فى رحبة مسجد الكوفة من خلال طرحه لحديث الغدير و فى قالب كلمة اهل البيت كما اشير الى ذلك سابقا. و بالاضافة الى ذلك فان الظلم الذى نزل بحق اهل البيت عليهم السّلام و غمرهم بين الناس كان يقتضى تقديم اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الحقيقيين الى الناس، حتى لا يتكرر ما حصل فى الشام و فى المناطق الاخرى من العالم الاسلامى حينما قال اهل الشام للسفّاح انهم لا يعلمون اهل بيت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سوى بنى أميّة. فعندها اخذ الامام السجاد عليه السّلام الى الشام، يبيّن للناس ما ينبغى لهم معرفته فى هذا الصدد سواء فى الخطبة- كما هو معروف- او من خلال احاديثه المباشرة مع الناس.

فها هو ابن الاعثم راوى هذا الحديث ينقله لنا كما يلى: «۱» «ادخلوا حرم رسول اللّه الى دمشق من الباب المسمى ب «التوماء» و وضعوهم فى المكان الذى يوضع فيه الاسرى قريبا من باب المسجد و عندها اقترب منهم شيخ و قال: الحمد اللّه الذى قتلكم و أراح

الناس منكم و سلّط امير المؤمنين عليكم.

فقال له الامام السجاد: يا شيخ هل قرأت القرآن؟

قال: نعم قرأته.

قال: هل قرأت هذه الآية: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى؟

قال: نعم قرأتها.

---

(۱) ابن الاعثم- ج ۵ ص ۲۴۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۱

قال: يا شيخ نحن القربى. يا شيخ و هل قرأت آية وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ فى سورة بنى اسرائيل؟

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن ذوو القربى. و هل قرأت: وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى؟

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن ذوو القربى، و هل قرأت هذه الآية: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن اهل البيت الذين خصّهم اللّه بآية التطهير.

فسكت الشيخ ساعة و ظلّ نادما و قال: اللهم انى اعوذ بك مما قلت و ما سبق منّى من بغضهم، اللهم انى ابرأ إليك من اعداء محمد و آل محمد».

و بالاضافة الى ما طرحه الامام فى هذه الادعية من مواضيع سياسية، فانه قد حاول فيها أيضا تبيان العقائد الاسلامية الصحيحة فى قالب هذه الادعية مثل باب التوحيد و ما شابه ذلك. فحينما تناهى الى سمعه ان جماعة يشبّهون اللّه بالمخلوقات، جاء الى قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم غاضبا و قرأ دعاء بيّن فيه المفهوم الاصيل للتوحيد و ردّ عقيدة التشبيه «۱».

ففى المجتمع الذى عمل بنو أميّة على انحطاطه، و جعلوا من الاسلام العزيز

---

(۱) الاربلى- كشف الغمة- ج ۲ ص ۸۹ ط تبريز.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۲

ألعوبة فى ايديهم و وسيلة لتحقيق اغراضهم الخبيثة و تمشية اهوائهم الدنيئة، اضحى ترنّم الامام السجاد بتلك الادعية و بكاؤه المتواصل درسا تربويا و هزّة عنيفة للناس المخدوعة و المستغفلة فى ذلك العصر. و كما كان الامام كثير الحزن و البكاء على واقعة كربلاء و ما تثيره ذكراها لديه من لواعج و شجون و كان يقول:

«لقد بكى يعقوب على يوسف و هو لا يعلم أ حيّ هو أم ميت حتى ابيضت عيناه، فكيف لا ابكى و قد رأيت اجساد ۱۶ من خيرة آل بيت الرسول تقطع اوصالهم» «۱».

الامام السجاد عليه السّلام و استقطاب الموالى

من جملة المساعى ذات الطابع الدينى- السياسى التى بذلها السجاد فى تلك الايام هى الالتفات الى طبقة تعرضت و منذ عهد الخليفة الثانى فصاعدا الى اقسى الضغوط الاجتماعية و خاصة فى العصر الاموى، اذ كانت من اشد الطبقات التى عانت الحرمان فى القرون

الاولى من انبثاق المجتمع الاسلامى فقد كان العبيد بما فى ذلك الرجال و النساء الايرانيون منهم و الروميون و المصريون و السودانيون يتحملون اشد صنوف العمل قسوة و يتلقون من اسيادهم اقبح انواع الاهانة و الاحتقار «۲».

فكان الامام السجاد كجدّه امير المؤمنين- الذى استقطب بسلوكه الاسلامى بعضا من موالى العراق- يسعى لرفع المنزلة الاجتماعية لهذه الطبقة المسحوقة و عند ما اعتق الامام احد إمائه و عقد عليها عابه عبد الملك بن مروان على ذلك

---

(۱) ر. ك- الطبرى- ج ۵ ص ۲۱۲ ط عز الدين بيروت.

(۲) ذكرنا هذا الموضوع فى كتاب «التاريخ السياسى للاسلام الى سنة اربعين للهجرة».

و قال له: ما الذى دفعك لمثل هذا العمل؟ فاجابه الامام السجاد محتجا بالآية الشريفة: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ «۱» و هو يشير بذلك الى زواج النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من صفية و يتبّه الى ما فعله النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث عقد لابنة عمته زينب على زيد بن حارثة الذى كان عبدا «۲» و بهذا يكون الامام قد احيا من جديد السيرة الحسنة التى كانت على عهد رسول اللّه و اندرست فى العهد الاموى نتيجة للاحتقار الذى لحق بالعبيد.

كتب سيد الاهل يقول:

«كان الامام السجاد يشترى العبيد من غير حاجة له فيهم و انما كان يشتريهم ليعتقهم و قد قيل انه اعتق ما يقارب المائة الف عبد. و كان العبيد الذين يعلمون ذلك يجعلون انفسهم دائما امام ناظريه ليشتريهم و يعتقهم. و كان الامام السجاد عليه السّلام يعتقهم فى اليوم و الشهر من السنة. و سرعان ما امتلأت المدينة بجماعات كبيرة من الموالى المعتوقين من الرجال و النساء و كانوا باجمعهم من مواليه» «۳».

و كتب العلامة السيد محسن الأمين:

«كان الامام السجاد يعتق فى نهاية كل شهر رمضان عشرين منهم، و لم يحتفظ باىّ منهم على حالة الرق اكثر من عام، و كان يضع الاموال فى ايديهم بعد عتقهم حتى لا يحتاجوا الى الناس» «۴».

---

(۱) سورة الاحزاب: ۲۱.

(۲) ابن سعد- ج ۵ ص ۲۴، ابن عبد ربه، العقد الفريد ج ۷ ص ۱۴۰.

(۳) سيد الاهل. زين العابدين ص ۴۷.

(۴) اعيان الشيعة- ج ۴ ص ۴۶۸.

و خلال فترة السنة التى يقضيها هؤلاء كخدم فى داره يطّلعون عن كثب على شخصيته العلمية و الاخلاقية و يتعرّفون على تقواه. و كان من الطبيعى ان تتعلق قلوب الكثير منهم بشخصيته و نمط تفكيره و سلوكه.

و فى احد الايام كان الامام السجاد عليه السّلام خارجا من المسجد فسبّه رجل، فهجم عليه الموالى لتأديبه، فمنعهم الامام عن ذلك و قال: «ما خفى عليه من سرنا فوق ما يقول». فاستحى الرجل و صار فيما بعد ممن شمله عطف الامام «۱».

و روى الطبرى عن عبد اللّه بن محمد بن عمر: «كان هشام بن اسماعيل (والى المدينة) يسيء جوارنا، و لقى منه على بن الحسين عليه السّلام اذى شديدا. فلما عزل امر به الوليد ان يوقف للناس، فقال ما اخاف الّا من على بن الحسين. فمرّ به على بن الحسين و قد اوقف عند دار مروان فسلّم عليه. و كان على بن الحسين قد تقدّم الى خاصّته ان لا يعرض له احد بكلمة. فلما مرّ ناداه هشام: اللّه اعلم حيث

يجعل رسالته».

ان سلوكية الامام السجاد هذه هى التى غرست عظمته و جلاله فى قلوب الناس و جعلتهم يحترمونه الى حد الخضوع حتى امام الخلفاء الذين اوجدوا لهم أبّهة كاذبة بين الناس.

فقد روى ان هشام بن عبد الملك عند ما حج اجتهد ان يستلم الحجر فلم يقدر فجاء على بن الحسين فوقف له الناس و تنحّوا حتى استلمه فقال اهل الشام لهشام: من هذا؟ فقال: لا اعرفه، فقال الفرزدق: و لكنى اعرفه؟ هذا على بن الحسين، و ارتجل قصيدة فى مدحه قال فيها:

---

(۱) الشبراوى، الاتحاف ص ۱۳۷، الاربلى، كشف الغمة ج ۲ ص ۱۰۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۵ يا سائلى اين حلّ الجود و الكرمعندى بيان اذا طلابه قدموا

هذا الذى تعرف البطحاء وطأتهو البيت يعرفه و الحل و الحرم

هذا ابن خير عباد اللّه كلّهمهذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا الذى احمد المختار والدهصلى عليه إلهى ما جرى قلم

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمهلخرّ يلثم منه ما وطا القدم

هذا علىّ رسول اللّه والدهامست بنور هداه تهتدى الامم

هذا الذى عمّه الطيار جعفر و المقتول حمزة ليث حبّه قسم

هذا ابن سيّدة النسوان فاطمةو ابن الوصى الذى فى سيفه نقم

اذا رأته قريش قال قائلهاالى مكارم هذا ينتهى الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحتهركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

و ليس قولك من هذا بضائرهالعرب تعرف من انكرت و العجم

ينما الى ذروة العز التى قصرتعن نيلها عرب الاسلام و العجم

يغضى حياء و يغضى من مهابتهفلا يكلّم الا حين يبتسم

يشق ثوب الدجى عن نور غرتهكالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم

ما قال «لا» قط الّا فى تشهّدهلو لا التشهد كانت «لاؤه» نعم

مشتقة من رسول اللّه نبعتهطابت عناصره و الخيم و الشيم

حمال اثقال اقوام اذا فدحواحلو الشمائل تحلو عنده نعم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهلهبجدّه انبياء اللّه قد ختموا

اللّه فضّله قدما و شرّفهجرى بذاك له فى لوحه القلم

من جدّه دان فضل الأنبياء لهو فضل أمته دانت له الامم

عمّ البرية بالاحسان فانقشعتعنها العماية و الاملاق و الظلم

كلتا يديه غياث عمّ نفعهمايستوكفان و لا يعروهما عدم

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۶ سهل الخليقة لا تخشى بوادرهيزيده الخصلتان الحلم و الكرم

لا يخلف الوعد ميمونا نقيبتهرحب الفناء أريب حين يعترم

من معشر حبّهم دين و بغضهم كفر و قربهم منجى و معتصم

يستدفع السوء و البلوى بحبّهمو يستزاد به الاحسان و النعم

مقدّم بعد ذكر اللّه ذكرهمفى كل فرض و مختوم به الكلم

ان عدّ اهل التقى كانوا ائمتهماو قيل من خير اهل الارض؟ قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهمو لا يداينهم قوم و ان كرموا

هم الغيوث اذا ما ازمة ازمتو الأسد اسد الشرى و البأس محتدم

يابى لهم ان يحل الذمّ ساحتهمخيم كريم و ايد بالندى هضم

لا يقبض العسر بسطا من اكفهمسيّان ذلك ان آثروا و ان عدموا

اى القبائل ليست فى رقابهملأوّليهٔ هذا او له نعم

من يعرف اللّه يعرف اوليهٔ ذافالدين من بيت هذا نالت الامم

بيوتهم فى قريش يستضاء بهافى النائبات و عند الحكم اذ حكموا

فجدّه فى قريش فى ارومتهامحمد و علىّ بعده علم

بدر له شاهد و الشعب من احدو الخندقان و يوم الفتح قد علموا

و خيبر و حنين يشهدان لهو فى قريظهٔ يوم صيلم قتم

مواطن قد علت فى كلّ نائبهٔعلى الصحابهٔ لم اكتم كما كتموا

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۷

الامام الباقر عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۹

محمد بن المنكدر: «ما رأيت احدا يفضل على على بن الحسين حتى رأيت ابنه محمدا اردت يوما ان اعظه فوعظنى» «۱».

الامام الخامس للشيعهٔ هو محمد بن على بن الحسين عليه السّلام المعروف بالباقر.

ولد سنهٔ ۵۸ للهجرة «۲». فقد روى عنه اليعقوبى انه قال: «قتل جدّى الحسين و لى اربع سنين و انى لاذكر مقتله و ما نالنا فى ذلك الوقت» «۳».

ذكر اليعقوبى سنهٔ شهادته انها كانت فى عام ۱۱۷ للهجرة الّا ان اكثر الروايات تشير الى انها كانت عام ۱۱۴ «۴». سمّه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك

---

(۱) تهذيب التهذيب، ج ۹ ص ۳۵۲.

(۲) كشف الغمهٔ ج ۲ ص ۱۱۸ طبعهٔ تبريز و راجع كتاب بحار الانوار ج ۴۶ ص ۲۱۷.

(۳) اليعقوبى- ج ۲ ص ۳۲۰.

(۴) الفسوى، المعرفهٔ و التاريخ ج ۳ ص ۳۴۶، تاريخ ابى زرعهٔ الدمشقى ج ۱ ص ۲۹۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۰

فاستشهد و دفن فى البقيع «۱» فى المدينهٔ المنوّرهٔ.

ذكرت الادلة على امامته مفصّلا فى كتب الشيعة «۲». و كان نقش خاتمه الذى يعبر عادة عن شعار الائمة فى مواجهتهم لمشاكل عصرهم: «العزة للّه جميعا» «۳».

اشتهر خامس ائمة الشيعة بلقب «الباقر» و قد فسره جابر بن يزيد الجعفى بقوله: «لانه بقر العلم بقرا أى شقه و اظهره اظهارا».

و يقول اليعقوبى: «كان سمى الباقر لأنّه بقر العلم» «۴».

و يقول محمد بن مكرّم أيضا فى معنى كلمة الباقر ما يلى: «التبقّر التوسع فى العلم و المال و كان يقال محمد بن على بن الحسين بن على الباقر رضوان اللّه عليهم لأنه بقر العلم و عرف اصله و استنبط فرعه» «۵».

و روى جابر بن عبد اللّه الانصارى رواية فى فضل الامام الباقر عليه السّلام، يقول عنها ابن شهرآشوب ان جميع فقهاء المدينة و العراق نقلوها «۶». يقول جابر فى هذه الرواية:

«قال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: انّك ستبقى حتى ترى رجلا من ولدى اشبه الناس بى اسمه على اسمى اذا رأيته لم يخل عليك فاقرأه منّى السلام».

---

(۱) الفصول المهمة، ص ۲۲۱.

(۲) اثبات الهداة، ج ۵ ص ۲۶۳، اثبات الوصية ص ۱۴۲، بحار الانوار ج ۴۶، الكافى ج ۱ ص ۳۰۵.

(۳) الكافى ج ۲ ص ۴۷۳، حلية الاولياء ج ۳ ص ۱۸۶، تاريخ جرجان ص ۴۱۹ «القوة للّه جميعا».

(۴) علل الشرائع ج ۱ ص ۲۳۳.

(۵) لسان العرب، آخر كلمة باقر.

(۶) ر. ك- بحار الانوار ج ۴۶، ص ۲۹۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۱

و فى تاريخ اليعقوبى جاءت بقية هذه الرواية كما يلى: الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج۱ ۲۱۱ الامام الباقر عليه السلام ..... ص : ۲۰۷

فلما كبر سن جابر و خاف الموت جعل يقول: يا باقر يا باقر اين أنت حتى رآه فوقع عليه يقبل يديه و رجليه و يقول: بابى و أمى شبيه ابيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم انّ أباك يقرؤك السلام» «۱».

و نقلت هذه الرواية أيضا عن الامام الصادق عليه السّلام و اشار فيها الى ان كلمة الباقر فضيلة اختصت بأبيه «۲».

و قد ادّى نقل هذه الرواية عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الى شهرة الامام الباقر عليه السّلام بهذا اللقب ثم كشفت هذه الكلمة عن وجهها العملى حينما اضحى مجلس الامام موطئا لاجتماع و استفادة عدد كبير من المحدّثين و الرواة من اهل السنّة.

و لما كان زيد بن على عند هشام وصف هشام الباقر «بالبقرة» استهزاء و تنكيلا بزيد، فرد عليه زيد قائلا: «سماه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باقر العلم و أنت تسمّيه البقرة لقد اختلفتما اذن» «۳».

المكانة العلمية للامام الباقر عليه السّلام

لا شك ان الكثير من علماء السنّة يعتقدون ان الامام الباقر عليه السّلام قد حاز على شهرة عالمية فى زمانه، و كان مجلسه يغصّ دوما بالوافدين من مختلف ارجاء و اصقاع الارض الاسلامية. و كانت مكانته العلمية بصفته رجلا عالما و فقيها

---

(۱) اليعقوبى ج ۲ ص ۳۲۰، و ر. ك. الطبرى، المنتخب من ذيل المذيل ص ۴۲.

(۲) الاختصاص ص ۶۲.

(۳)- ابن قتيبة، عيون الاخبار ج ۲ ص ۲۱۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۲

و خاصّة باعتباره حاملا لعلوم اهل البيت، تستهوى الكثيرين للاستفادة من مجلسه و الاستعانة به لحل المعضلات العلمية و الفقهية التى تواجههم. و قد فتن بشخصيته فى ذلك الوقت اهل العراق الذين كان يشكل الشيعة نسبة كبيرة منهم «۱».

و كان الوافدون عليه يبدون خضوعا و اجلالا كبيرا لشخصيته العلمية بحيث كان عبد اللّه بن عطاء المكّى يقول: «ما رأيت العلماء عند احد قط اصغر منهم عند ابى جعفر و لقد رأيت الحكم بن عيينة مع جلالته فى القوم بين يديه كأنّه صبىّ بين يدى معلّمه» «۲».

و من المؤكد ان شهرة الامام العلمية على حد وصف ابن عنبة له بقوله: «كان واسع العلم و وافر الحلم» هى اكبر من أن يتحدث عنها احد «۳».

و لم تكن تلك الشهرة مقتصرة فى زمنه على الحجاز كما يعبّر عنها ابن ابى الحديد: «كان سيّد فقهاء الحجاز» «۴»، بل انها امتدت و انتشرت على نطاق واسع فى العراق و خراسان أيضا، كما يقول الراوى: «رأيت ابا جعفر عليه السّلام و حوله اهل خراسان يسألونه عن مناسك الحج» «۵».

و يقول الذهبى عن الامام الباقر عليه السّلام: «كان احد من جمع بين العلم و العمل

---

(۱) الشيخ المفيد الارشاد ص ۲۸۲، بحار الانوار ج ۴۶، كشف الغمة، ج ۲ ص ۱۲۶.

(۲) المفيد، الارشاد ص ۲۸۰، حلية الاولياء ج ۳ ص ۱۸۰، كشف الغمة ج ۲ ص ۱۱۷.

(۳) ابن عنبة عمدة الطالب ص ۱۹۵.

(۴) ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ۱۵ ص ۷۷.

(۵) الكلينى الكافى، ج ۶ ص ۲۶۶، بحار الانوار ج ۴۶ ص ۳۵۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۳

و السؤدد و الشرف و الثقة و الرزانة و كان اهلا للخلافة» «۱».

و كتب الاستاذ ابو زهرة عن المرجعية العامّة للامام ما يلى: «كان محمد الباقر عليه السّلام وريثة الامام السجاد فى امامة اهله و نيل الهداية و لذا كان مقصد العلماء من كلّ البلاد الاسلامية و ما زار احد المدينة الّا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ منه».

و كتب أيضا: «كان يقصده من ائمة الفقه و الحديث كثيرون» «۲».

و نقل أيضا عن عيون الاخبار: «قد أخذ عنه اهل الفقه ظاهر الحلال و الحرام» «۳».

كان شأنه أيضا شأن ابيه السجاد عليه السّلام الذى كان يتمتع بشهرة علمية عظيمة بين الناس و يحظى باحترام الخاص و العام. يقول محمد بن المنكدر و هو من اعلام محدّثى اهل السنّة عن عظمة الامام الباقر عليه السّلام: «ما رأيت احدا يفضل على بن الحسين حتى رأيت ابنه محمدا» «۴».

اثنى عليه الكثير من علماء الاسلام الكبار، و امتدحوا مقامه العلمى و مكانته الفقهية بكلمات و عبارات جميلة، و قد جمعها الاستاذ اسد حيدر فى كتابه «۵».

---

(۱) الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج ۴ ص ۴۰۲.

(۲) ابو زهرة، الامام الصادق ص ۲۲ دار الفكر العربى- بيروت.

(۳) حياة الامام الباقر عليه السّلام- ج ۱ ص ۱۳۹.

(۴) الشبراوى، الاتحاف ص ۱۴۵.

(۵) اسد حيدر، الامام الصادق و المذاهب الاربعة، ج ۲ ص ۴۳۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۴

و قد أدّت كثرة رواياته فى الفقه و العقائد و العلوم الاسلامية الاخرى الى أن يروى عنه عدا رواة الشيعة الكثير من محدّثى اهل السنّة، من اشهرهم ابو حنيفة الذى لم يكن يقبل اكثر الاحاديث الواردة عن طريق اهل السنّة، لذلك فقد روى الكثير من الروايات المنقولة عن اهل البيت و خاصة عن الامام الباقر «۱».

و كما ذكر الذهبى فقد نقل عنه الاحاديث سوى ابى حنيفة، عمر بن دينار و الاعمش و الاوزاعى و ابن جريج و قرّة بن خالد «۲».

و لما رآه ابو اسحاق و راى مكانته الرفيعة قال واصفا إيّاه: «لم أر مثله قط» «۳».

و قال عنه ابو زرعة كذلك: «ان ابا جعفر اكبر العلماء» «۴».

و يمكن القول بكل جرأة ان سند اغلب روايات الشيعة ينتهى بعد أمير المؤمنين عليه السّلام بالامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام. و سبب ذلك يعود الى الظرف السياسى الخاص للمجتمع آنذاك و الذى اتاح لهذين الامامين اكثر من غيرهما فرصة نشر علوم آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و لذلك فان محافل احاديث الشيعة تنقل اكثر رواياتها عن هذين الامامين.

و لذلك قيل: «لم يظهر من ولد الحسن و الحسين من العلوم ما ظهر منه

---

(۱) الذهبى، تذكرة الحفّاظ، ج ۱ ص ۱۲۷. راجع كتاب جامع مسانيد الامام الاعظم ابو حنيفة.

(۲) الذهبى، تذكرة الحفّاظ ج ۱ ص ۱۲۴.

(۳) اسد حيدر الامام الصادق و المذاهب الاربعة ج ۲ ص ۴۴۵ اعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۲۰.

(۴) ابن شهرآشوب، مناقب آل ابى طالب ج ۳ ص ۲۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۵

فى التفسير و الكلام و الاحكام و الحلال و الحرام» «۱».

و هذا هو السبب فى شهرتهم الواسعة فى مجتمع ذلك العصر و العصور اللاحقة بصفتهم علماء فقه و رواة حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. و كان ابو زهرة من جملة الشخصيات الكثيرة التى كانت تتردد على مجلسه و تأخذ عنه العلوم و المعارف، و قد ذكر ان سفيان الثورى و سفيان بن عيينة (محدّث مكّة) و ابا حنيفة كانوا يحضرون مجلسه أيضا «۲».

سأل الابرش الكلبى هشام بن عبد الملك: «من هذا الذى احتوشه اهل العراق يسألونه؟ قال: هذا نبى الكوفة و هو يزعم انّه ابن رسول اللّه و باقر العلم و مفسر القرآن» «۳».

و جاء فى موضع آخر ان هشاما وصفه ب «المفتون به اهل العراق» «۴».

و مع كل هذا الثناء و التمجيد الذى قاله العلماء بحقّه كم يكون غير منصف من يقول: «ليس يروى عن الباقر من يحتجّ به» «۵».

ان الدافع من وراء كل هذه التصريحات الباطلة بشأن الائمة الاطهار، هو انقباض الكثير من المحدّثين غير الشيعة اذ يعتبرون كل من يبدى اى اهتمام بأهل البيت و علومهم قد فقد صلاحيته العلمية فى رأيهم و ان لم يكن شيعيا. و لا ندرى كيف يعتبر ابن سعد كل اولئك المحدثين من اهل السنة الذين رووا فى كتبهم

---

(۱) نفس المصدر السابق ص ۳۲۷ بحار الانوار ج ۴۶ ص ۲۹۴.

(۲) ابو زهرة الامام الصادق ص ۲۲.

(۳) الكافى ج ۸ ص ۱۲۰، بحار الانوار ج ۴۶ ص ۳۵۵.

(۴) الشبلنجى، نور الابصار ص ۱۴۳، سير اعلام النبلاء ج ۴ ص ۴۰۵.

(۵) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ۵ ص ۳۲۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۶

الروايات و الاحاديث عن الامام الباقر، من الـذين لا يحتـجّ بهم. فكان عليه أن يسـتثنى منهم على اقل تقـدير الاوزاعى «۱» أو الآخرين الذين ذكرهم ابن حجر فى كتاب (تهذيب التهذيب).

الامام و الاختلافات الفقهية بين الفرق الاسلامية

كانت الفترة الممتـدة بين عام (۹۴- ۱۱۴) هى الفترة التى بـدأت و اتسـعت فيها المشارب الفقهية، و بلغت فيها رواية الحديث المتعلّقة بالتفسير ذروتها. فنشط فى هذه الفترة من علماء اهل السـنّة مثلا الزهرى و مكحول و قتادة و هشام بن عروة فى مجال نقل الاحاديث و تقديم الفتاوى. و كان ارتباط بعض العلماء من امثال:

الزهرى و ابراهيم النخعى و ابى الزناد و رجاء بن حياة بالسـلطات الاموية الحاكمة، يسـتدعى احياء السنة الحقيقية لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بعيـدا عن شوائب التحريف العمـدى للخلفـاء و العلمـاء المرتبطين بهم. فقـد كتب الامام الباقر عليه السّـلام كتابا الى سعد الخير يشـكو له فيه من علماء السوء و جاء فيه: «فاعرف اشـباه الأحبار و الرهبان الذين ساروا بكتمان الكتاب و تحريفه فما ربحت تجارتهم و ما كانوا مهتدين» «۲».

و لو امعنا النظر فى كثرة الاحاديث المنقولة فى هذه الفترة، و اشـتهار علم الفقه بين المحدّثين فى ذلك العصـر، لأمكننا القول بأن علم الفقه لدى اهل السـنّة قد دخل اساسا فى مرحلة التدوين منذ هذه المرحلة فصاعدا فقد انكمشت التحولات السياسـية بعد واقعة كربلاء، و انكسار شوكة ابن الزبير و القضاء عليه، و بعد استتباب الامور لحكم بنى أميّة، مما حدا بالكثير من العلماء الى هجر الساحة

---

(۱) راجع كتاب ابن حبان الثقات. نهاية اسم محمد بن على الباقر عليه السّلام.

(۲) الكلينى، الروضة ص ۷۷ طبعة الاسلامى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۷

السياسـية و الانخراط فى حلقات الـدرس و الحـديث، و ايجاد حل للاختلاف الموجود بين الروايات و تقـديم الفتاوى الفقهيـة للناس. ففى عام ۱۰۰ للهجرة اصدر عمر بن عبد العزيز لاوّل مرّة امرا الى ابى بكر بن حزم يوصيه فيه بتدوين الاحاديث «۱».

و هـذا خير شاهـد على ان الحركة الثقافية عند اهل السـنة قد بدأت فى القرن الثانى بينما بدأت عند الشـيعة على عهد الامام الباقر عليه السّـلام. و ذلـك مـا كـان يتطلب اتخاذ المواقف الحازمـة لغرض نشـر الآراء الفقهيـة لاهل البيت فى مقابل الانحرافات التى انغرست و لأسـباب مختلفـة فى احاديث اهل السـنّة. و مع ان ملامح الفقه الشـيعى كانت الى ذلك العهد قد توضـحت فى نطاق محدود و ضـمن اطار الاذان و التقيـة و صـلاة الميّت، الّا انه قد تقدم خطوات مهمّة فى ظل وجود الامام الباقر، و نشـطت بين الشـيعة حركة ثقافية تلفت الانتباه، و فى تلك المرحلة بالذات بدأ الشيعة تدوين ثقافتهم بما فيها الفقه و التفسير و الاخلاق.

لم يكن الفقه و الحـديث قبـل ذلـك يلقى ايـة رعايـة او اهتمـام فى المجتمع الاسـلامى. فالصـراعات السياسـية و نمـط التفكير المادى الجامـح الذى اسـتحوذ على جهاز الحكم افضـى الى اغفال اساس الدين بين الناس و خاصة الفقه. و قد كان المنع من تدوين الحديث

بأمر الخليفتين الاول و الثانى من العوامل الاساسية فى انزواء الفقه الذى كان يستند ۸۰٪ منه على اقل تقدير على الاحاديث المروية عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. ينقل الذهبى عن ابى بكر انه قال:

«فلا تحدّثوا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شيئا فمن سألكم فقولوا: بيننا و بينكم

---

(۱) عبد الرزاق، المصنف ج ۹ ص ۳۳۷، الدارمى، السنن ج ۱ ص ۱۲۶، البغدادى، تقييد العلم، ص ۱۰۵

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۸

كتاب اللّه فاستحلوا حلاله و حرّموا حرامه» «۱».

و قال عمر أيضا فى هذا الصدد: «اقلّوا الرواية عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و انا شريككم» «۲».

و حكى عن معاوية أيضا قوله:

«عليكم من الحديث بما كان فى عهد عمر فإنّه كان قد اخاف الناس فى الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۳».

و قد بلغ جهل الناس ذروته عند بدء الفتوحات الاسلامية فانشغال الولاة و الناس و انهماكهم فى قضايا الفتوحات و المسائل العسكرية و الشؤون المالية. كان قد منعهم من الاهتمام بالنشاطات العلمية و التربية الدينية. فعند ما قال ابن عباس فى آخر شهر رمضان بالبصرة التى كانت احد المراكز الاصلية للفتوحات، و هو يخطب على المنبر: «اخرجوا صدقة صومكم» لم يفهم الناس معنى كلامه. لذا قال ابن عباس: «من كان من اهل المدينة حاضرا فليقم و يوضّح لهم معنى صدقة الصوم فانّهم لا يعلمون من زكاة الفطرة الواجبة شيئا» «۴».

و فى زمن بنى أميّة ازداد ذلك الجهل شدّة، كما ذكر الدكتور على حسن:

«فى اثناء عصر بنى أميّة الذين كانوا لا يهتمون كثيرا بامور الدين كان الشعب فى الواقع قليل الفهم و المعرفة للفقه و مسائل الدين و لم يكن يعرف من هذه

---

(۱) الذهبى، تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۲.

(۲) الذهبى، تذكرة الحفّاظ، ج ۱ ص ۷.

(۳) الذهبى تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۷.

(۴) ابن حزم، الاحكام فى اصول الاحكام، ج ۲ ص ۱۳۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۹

الشؤون الّا اهل المدينة وحدهم» «۱».

و ورد فى مصادر اخرى أيضا ان الناس لم يكونوا يعرفون كيفية الصلاة و الحج طوال فترة النصف الثانى من القرن الهجرى الاوّل «۲».

و كان انس بن مالك يتأمل فى زمانه و يقول: «ما أعرف شيئا مما كان على عهد رسول اللّه؟ قيل الصلاة. قال: أ ليس صنعتم ما صنعتم فيها؟» «۳».

و كل هذا يدل على نسيان الفقه بين عامّة الناس، و هو من اهم الاسباب التى دفعت الإمامين الباقر و الصادق عليهما السّلام الى الاهتمام بالفقه، بهدف احيائه بين الناس، و صيانته من التحريف الذى كان يحصل بالتأكيد فى تدوينه و اعادة كتابته.

و كان الامام الباقر عليه السّلام هو الممثل عن مذهب اهل البيت و من اوائل الواضعين لاسس الفقه و التفسير من وجهة نظر المذهب الشيعى. اذ يعتبر هذا المذهب ان السبيل الوحيد لنيل العلوم الاسلامية الأصيلة يتم فقط عن طريق اهل البيت الذين هم باب علم رسول اللّه، و لذا قال حضرته لسلمة بن كهيل، و الحكم بن عيينة: «شرّقا او غرّبا فلا تجدان علما صحيحا الا شيئا خرج من عندنا» «۴».

و كان يقول أيضا: «فليذهب الحسن- يعنى البصرى- يمينا و شمالا، فو اللّه ما يوجد العلم الا هاهنا» «۵».

(۱) نظرة عامّة فى تاريخ الفقه الاسلامى، ص ۱۱۰.

(۲) كشف القناع فى حجيّة الاجماع، ص ۵۶.

(۳) ضحى الاسلام، ج ۱ ص ۳۸۶، نقلا عن البخارى و الترمذى.

(۴) الكشى ص ۲۱۰/ الكافى، ج ۱ ص ۳۹۹/ الصفّار، بصائر الدرجات ص ۹.

(۵) الكافى، ج ۱ ص ۵۱، وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۰

و كان يقول كذلك: «فليذهب الناس حيث شاءوا فو اللّه ليس الامر الّا هاهنا- و اشار الى بيته- «۱».

و بصفته ممثلا عن اهل البيت فانّه كان يسعى خلال مناقشاته الى نشر الآراء الفقهية لأهل البيت و تحديد مواضع الانحراف عند اهل السنّة و كشفها للناس. و كان الامام معروفا بانه الميزان لتحديد الصحيح من السقيم حتى بين اكابر علماء عصره، و لهذا نجدهم كثيرا ما كانوا يعرضون عليه معتقداتهم ليتأكدوا من صحّتها او سقمها. فها هو ابو زهرة ينقل احدى المناقشات بين ابى حنيفة و الامام، و يكتب بعدها: «و من هذا الخبر تتبيّن امامة الباقر للعلماء يحضرون إليه و يحاسبهم على ما يبلغه عنهم او يبدر منهم و كأنّه الرئيس يحاكم مرءوسيه ليحملهم على الجادّة و هم يقبلون طائعين تلك الرئاسة» «۲».

و فى احد المرات جاء عبد اللّه بن معمر (عمير) الليثى الى الامام الباقر عليه السّلام و سأله: «أ صحيح ما يقال عنك انّك تقول بحليّة المتعة؟ فقال له الامام: «أحلّها اللّه فى كتابه و سنّها رسول اللّه و عمل بها اصحابه».

فقال له عبد اللّه: لكن عمر نهى عنها. فأجابه الامام: فأنت على قول صاحبك و انا على قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» «۳».

و كما لا حظنا فالامام يستدل وفقا لكتاب اللّه و سنّة نبيّه و ينبرى لمواجهة من يستدلّون بغيرهما. و الرواية الآتية تعكس لنا هذا المسار الذى سار عليه

(۱) الكافى ج ۱ ص ۳۹۹/ الصفّار، بصائر الدرجات ص ۱۲.

(۲) ابو زهرة، الامام الصادق، ص ۲۴.

(۳) كشف الغمّة، ج ۲ ص ۳۶۲/ بحار الانوار، ج ۴۶ ص ۳۵۶/ راجع كتاب الميزان ج ۳ ص ۳۸۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۱

الامام:

يروى محجول بن ابراهيم عن قيس بن الربيع قال: «سألت ابا اسحاق عن المسح على الخفّين قال: كنت ارى الناس يمسحون على الخفين حتى رأيت رجلا من بنى هاشم و كان محمد بن على بن الحسين و سألته عن المسح على الخفّين فقال:

«لم يكن امير المؤمنين عليه السّلام يمسح عليهما (و كان يقول): سبق الكتاب المسح على الخفّين «۱». ثم يواصل ابو إسحاق كلامه: منذ ان نهانى الامام لم امسح بعدها على الخفين».

يقول قيس بن الربيع: «و انا أيضا منذ سمعت هذه المسألة من ابى إسحاق، لم امسح بعدها على الخفّين».

إنّ قوّة استدلال الامام بالكتاب و السنّة لم تقنع ابا إسحاق وحده بل و أقنعت معه أيضا قيس بن الربيع.

و عند ما حرّف نافع مولى عمر حديثا و رواه بشكل خاطئ لغرض الاستدلال على حكم ما، كشف الامام عن ذلك التحريف و روى الحديث بشكله الصحيح «۲».

كما وقف اصحاب الامام الباقر عليه السّلام أيضا فى مقابل الاستدلالات الواهية لأبى حنيفة فيما يخص القضايا الفقهية و أدانوه من الناحية الفقهية «۳».

---

(۱) اسد حيدر، الامام الصادق و المذاهب الاربعة ج ۲ ص ۴۵۲.

(۲) دعائم الاسلام، ج ۲ ص ۲۶۰/ مستدرک الوسائل، ج ۱۵ ص ۲۸۶.

(۳) دعائم الاسلام، ج ۱ ص ۹۵/ مستدرک الوسائل، ج ۱۵ ص ۲۸۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۲

و عارض الامام الباقر عليه السّلام بشدّة استدلال اصحاب القياس «۱»، و تصدّى لهم بشدّة من بعده ولده الامام الصادق عليه السّلام. و اتخذ الباقر عليه السّلام مواقف حازمة ضد سائر الفرق الاسلامية المنحرفة، و كان يسعى خلال هذه المواجهة الى تحديد و عزل المعتقدات الصحيحة لاهل البيت فى المجالات المختلفة عن بقيّة الفرق. و كان موقف الامام ازاء فرقة المرجئة حسّاسا و حازما. إذ كانت هذه الفرقة تعتقد ان الايمان اعتقاد باطنىّ ليس الّا و لا يؤثر فيه العمل خيرا كان او شرّا، و كانوا يزيلون بالتدريج قيمة العمل الصالح من اذهان الناس. و قد قال الامام عنهم مرة:

«اللهم العن المرجئة فانّهم اعداؤنا فى الدنيا و الآخرة» «۲».

و كان للامام موقفه من الخوارج الذين كانت لهم تلك الأيام صولات، حيث وصفهم بالمتنسّكين الجهلة و اصحاب الديانة القشرية و المتعصبين فى معتقداتهم و قال عنهم: «ان الخوارج ضيّقوا على أنفسهم بجهالتهم ان الدين اوسع من ذلك» «۳».

تصدّيه للافكار اليهودية

ان من جملة الجماعات الخطيرة التى تغلغلت فى المجتمع الاسلامى آنذاك، و كانت تخلّف آثارا عميقة فى ثقافته هم اليهود. فبعض احبار اليهود ممن اعتنقوا الاسلام ظاهرا و غيرهم ممن بقوا على دينهم كانوا منتشرين فى ارجاء مختلفة من الوطن الاسلامى، و كان ترجع إليهم و تأخذ من علومهم جماعة من السذّج

---

(۱) المفيد، المجالس، ص ۳۹. طبعة النجف/ وسائل الشيعة، ج ۱۸، ص ۳۶.

(۲) الكلينى، الكافى، ج ۸ ص ۲۷۶/ بحار الانوار ج ۴۶ ص ۲۹۱.

(۳) الطوسى، التهذيب، ج ۱ ص ۲۴۱/ من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۳

و المغفّلين. و قد ظهرت تأثيرات هؤلاء على الثقافة الاسلامية بصورة أحاديث موضوعة تسمّى بالاسرائيليات، يختص القسم الاعظم منها بالتفسير و سرد تاريخ الأنبياء السابقين. و كان من جملة العلماء المسلمين الذين ادخلوا هذه الاحاديث الموضوعة فى مؤلفاتهم هو الطبرى المفسر المعروف الذى حصل على اكثر رواياته بشأن تفسير القرآن عن هذا الطريق.

و قد تركت المساعى العلمية اليهودية فى داخل المجتمع الاسلامى تأثيرات مقلقة فى المسائل الفقهية و الكلامية أيضا، و هذه القضية على درجة من الوضوح فى التاريخ بحيث لا يبقى معها ابهام او ترديد «۱».

و كانت قضية مواجهة اليهود و السموم التى ينفثونها فى الثقافة الاسلامية، قضية تستأثر بقسم مهم من برنامج عمل الأئمة الأطهار عليهم السّلام. و تفنيد الأحاديث الموضوعة و الملفّقة من قبل اليهود الخونة بشأن الأنبياء الربانيين و المواضيع التى تخدش الصورة الملائكية لانبياء اللّه، هو من جملة الاهتمامات التى تلاحظ بوضوح فى سلوك الأئمة الأطهار، نشير فيما يأتى الى مثالين منها:

۱- جاء رجلان الى النبى داود عليه السّلام يختصمان فى قضية و طلبا منه الفصل فيها اشارت إليه الآيتان ۲۳ و ۲۴ من سورة (ص)، حيث تشير الآيتان المذكورتان الى أن احد الرجلين كانت له ۹۹ نعجة و للآخر نعجة واحدة. فاشتكى ذو النعجة الواحدة من ذى التسعة و تسعين نعجة بأنه كان ينوى غصب نعجته. فحكم بينهما داود عليه السّلام بدون الاستماع الى اقوال الشخص الآخر اذ قال: (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه).

---

(۱) السيد الروحانى، بحوث مع اهل السنّة و السلفية، ص ۵۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۴

و فى هذا الصدد وضع اليهود احاديث و نشروها بين المسلمين تشير الى ان هذه القصة كناية عن زواج داود بزوجة «اوريا». اذ يستفاد من تلك الاحاديث الموضوعة ان النبى داود كان على سطح الدار يتابع حمامة، فأطل من هناك على دار «اوريا» و رأى زوجته فتعلّق بها قلبه. و لكى يحقق النبى داود غرضه فقد جعل «اوريا» فى خط المواجهة من المعركة فقتل و تزوّج داود امرأته، و ان اللّه تعالى قد اشار من خلال هذه الآيات الى تلك القصة بصورة رمزية.

فكم تسيء هذه الروايات الموضوعة الى النبى داود بصفته نبيّا من انبياء اللّه. ان هذه الاحاديث التى نشرت فى العصر الاسلامى الاوّل على يد اشخاص امثال: (كعب الاحبار) و (عبد اللّه بن سلام) قد جوبهت من قبل الامام على بن ابى طالب عليه السّلام اذ قال:

«لا اوتى برجل يزعم ان داود تزوّج امرأة أوريا الّا جلدته حدّين حدّا للنبوّة و حدا للاسلام» «۱».

و واجه الامام الرضا عليه السّلام أيضا الاحاديث المسماة بالاسرائيليات و اشكل عليها «۲».

۲- كان اليهود الذين عاشوا فى المجتمع الاسلامى- سواء منهم من اسلموا فى الظاهر و من بقوا على دينهم- يسعون الى اقناع المسلمين بأفضلية بيت المقدس- الذى كان قبلة لليهود- على الكعبة. فوضعوا فى هذا الصدد احاديث و نشروها بين المسلمين على نطاق واسع. و من جملة ذلك ما نقله زرارة فيما يلى:

---

(۱) الطبرسى، مجمع البيان، ج ۸، ص ۴۷۲.

(۲) تفسير الصافى، ج ۴ ص ۲۹۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۵

«كنت قاعدا الى جنب ابى جعفر عليه السّلام و هو مستقبل الكعبة. فقال: اما ان النظر إليها عبادة. فجاءه رجل من بجيلة يقال له عاصم بن عمر فقال له: ان كعب الاحبار يقول ان الكعبة تسجد لبيت المقدس فى كل غداة. فقال له ابو جعفر عليه السّلام: فما تقول فيما قال كعب؟ قال الرجل: صدق كعب. فقال له الباقر عليه السّلام كذبت و كذب كعب الاحبار معك ثم قال و هو غاضب:

«ما خلق اللّه عز و جل بقعة فى الأرض احب إليه منها» «۱».

و سار أئمة الشيعة الآخرون على نفس المنوال أيضا فيما بعد و اطلقوا بعض العبارات مثل: «لا تشبّهوا باليهود» «۲» من اجل قطع تلك الصلة الثقافية التى ظهرت الى الوجود بين المسلمين و اليهود و التى كادت ان تؤدى الى حرف الثقافة الاسلامية الأصيلة و الغنيّة، هذا فى الوقت الذى كان فيه رواة الفرق الاسلامية الاخرى يستقبلون تلك الأحاديث بكل سذاجة و يصنّفونها فى الابواب المختلفة لكتبهم و يلوّثون بها ثقافتهم. لكن التابعين لاهل البيت تمسكوا بتوصياتهم، و كانوا على حذر من تلك الأفكار الضالّة فابتعدوا عنها و بقوا فى مأمن منها.

ان نظرة عابرة على اسانيد الفقه و التفسير لدى الشيعة تجعلنا ندرك ان جزء كبيرا من الروايات فى مجال الفقه و الاخلاق و التفسير عند الشيعة قد نقلت عن الامام الباقر عليه السّلام. فكتاب وسائل الشيعة و كتب التفسير مثل البرهان للعلّامة البحرانى، و الصافى للمحقق فيض الكاشانى تشتمل على كثير من الروايات المبيّنة

---

(۱) الكلينى، الكافى، ج ۴ ص ۲۳۹/ بحار الانوار، ج ۴۶، ص ۳۵۴.

(۲) وسائل الشيعة- ج ۳ ص ۵۷۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۶

للمسائل الفقهية و الموضّحة للآيات القرآنية و اسباب نزولها قد نقلت عنه عليه السّلام بكثرة.

و بالاضافة الى ما ذكر سابقا فهناك الكثير من الأخبار التاريخية بشأن امير المؤمنين عليه السّلام و حرب صفّين نقلت عنه أيضا «۱». و رويت عنه كذلك احاديث و حكم باهرة و ذات معان عميقة فى مجال الاخلاق. و له أيضا جمل قصار فى منتهى الجمال و الروعة منبثقة عن روح العصمة و الكمال الباطنى للامام عليه السّلام. و عن هذه الابعاد كتب ابو زهرة ما يلى: «و كان رضى اللّه عنه مفسّرا للقرآن و مفسّرا للفقه الاسلامى مدركا حكمة الأوامر و النواهى فاهما كل الفهم لمراميها» «۲».

و كتب عن الأفكار و الجمل الأخلاقية للامام عليه السّلام ما يلى: «و لكمال نفسه و نور قلبه و قوّة مداركه انطقه اللّه تعالى بالحكم الرائعة و رويت عنه عبارات فى الاخلاق الشخصية و الاجتماعية ما لو نظم فى سلوك لتكوّن منه مذهب خلق سام» «۳».

و من الامثلة على الدروس الاخلاقية العملية للامام هى معارضته للتنسّك و التحجّر، فهو كان يعارض بالممارسة العملية رأى تلك الفئة التى تتصور ان الورع فى الاسلام يتمثل بترك جميع النعم الدنيوية. يقول الحكم بن عيينة:

«دخلت على ابى جعفر و هو فى بيت منجّد و عليه قميص رطب و ملحفة مصبوغة قد أثّر الصبغ على عاتقه فجعلت انظر الى البيت و أنظر فى هيئته. فقال

---

(۱) راجع كتاب ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ۲ ص ۲۱۲- ۲۲۹- ۲۳۴- ۲۸۶ و ج ۳ ص ۳۲۴.

(۲) ابو زهرة، الامام الصادق، ص ۲۴.

(۳) ابو زهرة، الامام الصادق، ص ۲۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۷

لى: يا حكم ما تقول فى هذا؟ فقلت: ما عسيت ان اقول و انا أراه عليك فأمّا عندنا فانّما يفعله الشباب المرهق».

فقال لى: «يا حكم (من حرّم زينة اللّه التى اخرج لعباده و الطيّبات من الرزق) و هذا مما اخرج اللّه لعباده. فأمّا هذا البيت الذى ترى فهو بيت المرأة و انا قريب العهد بالعرس و بيتى البيت الذى تعرف» «۱».

و كان البعض يتصور ان السعى من اجل المعيشة و الذى يتجسّد فى النشاط من اجل حياة افضل امر غير صحيح. فان محمد بن المنكدر و هو احد حفّاظ القرآن الكريم فى عصر الإمام الباقر عليه السّلام كان يثنى على الامام فيقول:

«اردت ان اعظه فوعظنى. سألوه: و كيف؟ قال: خرجت يوما من المدينة الى الصحراء فى ساعة حارّة فلقينى ابو جعفر محمد بن على و كان رجلا بادنا ثقيلا و هو متكئ على غلامين اسودين او موليين فقلت فى نفسى: سبحان اللّه شيخ من اشياخ قريش فى هذه الساعة على هذه الحال فى طلب الدنيا أما لاعظنّه فدنوت منه فسلّمت عليه فردّ علىّ السلام بنهر و هو يتصبب عرقا.

فقلت له: اصلحك اللّه شيخ من اشياخ قريش فى هذه الساعة على هذه الحالة فى طلب الدنيا أ رأيت لو جاء اجلك و أنت على هذه الحالة ما كنت تصنع؟ فقال:

لو جاءنى الموت و انا على هذه الحالة جاءنى و انا فى طاعة اللّه عز و جل اكف بها نفسى و عيالى عنك و عن الناس، و انما كنت اخاف لو جاءنى الموت و انا على معصية من معاصى اللّه. فقلت: صدقت يرحمك اللّه اردت أن اعظك فوعظتنى».

---

(۱) الكافى، ج ۶ ص ۴۴۶/ بحار الانوار ج ۴۶ ص ۲۹۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۸

و اما فى مجال التفسير خاصة فللامام الباقر عليه السّلام شهرة واسعة بين اهل السنة أيضا لما نقلوه عنه من روايات كثيرة فى هذا الشأن، و لهذا السبب قالوا عن شخصيته العلمية:

«لم يظهر على احد من ولد الحسن و الحسين من العلوم ما ظهر منه فى التفسير و الكلام و الفتيا و الاحكام و الحلال و الحرام» «۱».

و مدح مالك بن أعين الجهنى الامام الباقر عليه السّلام بالابيات الشعرية الآتية:

اذا طلب الناس علم القرآن كانت قريش عليه عيالا

و ان فاه فيه ابن بنت النبى تلقّت يداه فروعا طوالا «۲» اما فيما يخص المسائل الكلامية فقد نقل الامام الباقر عليه السّلام أيضا الكثير من خطب امير المؤمنين عليه السّلام فى توحيد اللّه و صفاته «۳». و كان له دور كذلك فى تبيان الكثير من المسائل الكلامية الدقيقة التى يختلف بشأنها الشيعة و اهل السنة و تلاحظ مثل هذه الروايات فى كتاب اصول الكافى بكثرة.

و نسب ابن النديم فى (الفهرست) الى الامام الباقر عليه السّلام كتابا فى التفسير و قال هذا الكتاب نقله ابو الجارود زياد بن منذر عن الامام «۴».

---

(۱) ابن شهرآشوب ج ۳ ص ۳۲۷/ بحار الانوار ج ۴۶ ص ۲۹۴.

(۲) الاتحاف بحب الاشراف، ص ۱۴۴/ كشف الغمة، ج ۲ ص ۱۲۳/ ابن عنبة عمدة الطالب، ص ۱۹۵/ الفصول المهمة ص ۲۱۰/ سير اعلام النبلاء، ج ۴۰۴/ الشبلنجى، نور الابصار ص ۱۴۳.

(۳) راجع كتاب: القرشى، الامام الباقر ج ۱ ص ۱۹۰.

(۴) راجع كتاب: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ۳۲۷/ ورد تفسير ابى الجارود فى تفسير القمى، و طبعا كانت طرق تفسير ابى الجارود موضع اشكال بالنسبة للمحققين/ راجع كتاب الذريعة فى آخر اسم تفسير ابى الجارود.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۹

و قد ادّت الجهود الحثيثة التى بذلها الامام الباقر عليه السّلام و من بعده الامام الصادق عليه السّلام الى ان يدخل الفقه الشيعى القائم على احاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الالهام الغيبى الملقى على قلوب الائمة الاطهار عليهم السّلام الى مرحلة التدوين قبل اهل السنّة، و هذا ما حدا بمصطفى عبد الرزاق الى القول:

«و من المعقول ان يكون الشروع الى تدوين الفقه كان اسرع الى الشيعة لانّ اعتقادهم العصمة فى أئمتهم او ما يشبه العصمة كان حريا الى تدوين أقضيتهم و فتاويهم» «۱».

فهذا هو التراث الفقهى للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد وصلنا عن طريق اهل بيت العصمة بشكل مستقل. و اهل السنة عند ما ينقلون الاحاديث عن الامام الباقر عليه السّلام يوصلون سندها عادة الى أبيه الى آبائه الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. لكن الشيعة و بسبب اعتقادهم بعصمة هذا الامام و الائمة الآخرين فهم لا يحتاجون فى مثل هذه الحالة الى ذكر سند الحديث. سئل الامام الباقر عليه السّلام عن الاحاديث التى ينقلها عن النبى بلا سند قال:

«إذا حدّثت بالحديث و لم أسنده فسندى فيه الى زين العابدين عن ابيه الحسين الشهيد عن ابيه على بن ابى طالب عن رسول اللّه عن

جبرائيل عن اللّه تعالى» «۲».

و قد بذل الامام الباقر عليه السّلام أيضا- شأنه فى ذلك شأن بقية ائمة الشيعة- جهودا كبيرة لبيان اهمية و مكانة اهل البيت من الوجهة الدينية، و قد ورد فى

---

(۱) تمهيد تاريخ الفقه الاسلامى ص ۲۰۳.

(۲) الشيخ المفيد، الامالى، ص ۴۲/ الطبرسى اعلام الورى ص ۲۶۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۰

رواية نقلت عنه فى هذا الجانب انّه قال: «آل محمد ابواب اللّه و سبيله و الدعاة الى الجنّة و القادة إليها» «۱».

و روى عنه أيضا انه قال: «كل شىء لم يخرج من هذا البيت فهو وبال» «۲».

و فى الحقيقة انه كان يروى علوم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى وردت عن طريق على عليه السّلام الى الناس و ذلك فى زمن كان فيه اشخاص مثل مكحول «۳» يمتلئ رعبا عند ما يروى حديثا عن امير المؤمنين عليه السّلام و لا يتجرّأ على ذكر اسمه بل يكنيه بأبى زينب.

و لهذا فالشيعة هم الوارث الوحيد لاحاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الدليل على ذلك هو ان هذا الارث يستند باجمعه الى القرآن و هذا هو ما اشار إليه الامام الباقر عليه السّلام بقوله: «اذا حدّثتكم بشىء فاسألونى عن كتاب اللّه» «۴».

فتراث الامام الباقر عليه السّلام هو الذى ادّى الى حفظ و صيانة الشيعة من التحريفات التى استهدف منها حرف الدين و القضاء عليه بسبب عدم تدوين الحديث و غيره من الدوافع الاخرى، فالامام الباقر هو الذى استدلّ بحديث «علىّ اقضاكم» و الذى نقل عن النبى بطرق متعددة لاقناع احد علماء اهل السنّة بقبول احكام قضاء الامام على عليه السّلام و ابطال عقيدة ذلك العالم القائمة على جواز العمل بالاحكام القضائية للآخرين «۵». و كذلك اعلن حضرته فى بعض المواقف عن بطلان

---

(۱) تفسير العياشى ج ۱ ص ۸۶/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۹.

(۲) الاختصاص ص ۳۱.

(۳) عده ابن ابى الحديد من مبغضى امير المؤمنين عليه السّلام فى حاشية ص ۱۲۸ من الاختصاص.

(۴) الميزان، ج ۳ ص ۱۷۶، نقلا عن الكافى.

(۵) الطوسى، التهذيب، ج ۶ ص ۲۲۰/ الكلينى، فروع الكافى ج ۷ ص ۴۰۸/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۸- ۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۱

العلوم التى نقلت عن طريق بعض الصحابة، بحيث قال فى احدى المرّات بعد تقسيمه الاحكام الى احكام اسلامية و أخرى جاهلية: «اشهدكم على زيد بن ثابت لقد حكم فى الفرائض باحكام الجاهلية» «۱».

اوضاع و مكانة الشيعة وفقا لرأى الامام

تزامن عهد الامام الباقر عليه السّلام مع الضغوط المتواصلة لخلفاء بنى أميّة و ولاتهم على الشيعة فى العراق حيث كان العراق هو المركز الاصلى للشيعة و لذلك قيل عن الامام الباقر عليه السّلام: المفتون به اهل العراق «۲» و امام اهل العراق «۳» او من هذا الذى احتوشه اهل العراق يسألونه «۴».

و كان الشيعة يتصلون بالامام فى كلّ عام اثناء موسم الحج. و كانت تلك الاتصالات تتم عادة فى مكة او عند عودة الحجّاج من بيت

اللّه الحرام و مرورهم بالمدينة. و عن هذا يقول الامام الرضا عليه السّلام: ۲ «مع ما فيه (الحج) من التفقّه و نقل اخبار الائمة عليهم السّلام» «۵».

و هناك مسألة واجهت الامام و شيعته فى تلك الأيّام هى مشكلة الغلاة الذين كان عددهم يتزايد يوما بعد يوم. فقد كان هؤلاء يستغلون روايات الامام و ينسبون إليه احاديث اخرى موضوعة و غرضهم من ذلك هو اكتساب الصبغة

---

(۱) الكلينى، ج ۷ ص ۴۰۷/ التهذيب ج ۶ ص ۲۱۷.

(۲) الارشاد. ص ۲۸۲.

(۳) اعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۴۳.

(۴) الكافى ج ۸ ص ۱۲۰.

(۵) وسائل الشيعة، ج ۸ ص ۸.

و الهوية الشيعية و جر الشيعة وراءهم بهدف تحقيق غاياتهم. و قد ازداد نشاط هؤلاء الانتهازيين عند ما كان الامام فى المدينة على وجه الخصوص، و لما طردهم الامام و ابعدهم عن محيطه بادر اصحاب الامام الى طردهم أيضا. و كفّروا كلا من المغيرة بن سعيد و بيان بن سمعان اللذين كانا من مشاهير الغلاة و قادتهم. و قد نظم ابو هريرة العجلى شعرا بهذا الصدد يقول فيه:

أبا جعفر أنت الامام نحبّهو نرضى الذى ترضى به و نتابع

أتتنا رجال يحملون عليكمأحاديث قد ضاقت بهن الاضالع

أحاديث أفشاها المغيرة عنكمو شر الامور المحدثات البدائع «۱» هذه الاشعار تعكس جهود الغلاة فى نشر الاحاديث الملفّقة باسم الائمة لغرض استقطاب شيعة العراق. فهؤلاء كانوا يعتقدون ان التمسك بطاعة الامام يعفيهم من اداء واجباتهم الاسلامية، و ان معرفة الامام تكفى وحدها لبلوغ الفلاح و تحقيق المقاصد الاسلامية المقدّسة و فى المقابل كان الامام الباقر عليه السّلام يؤكد مرارا و تكرارا على وجوب الاتكاء على العمل الصالح.

و كانت احاديث الامام التى سنوردها فيما يلى بمثابة الاجراء المضاد لمواقف الغلاة و معتقداتهم التافهة، و ربما يكون الدافع وراء طرح مثل هذه الاحاديث هو ابطال مفعول افكار الغلاة بين الشيعة: «ان شيعتنا من اطاع اللّه» «۲».

«شيعتنا اهل الورع و الاجتهاد و اهل الوفاء و الامانة و اهل الزهد و العبادة و اصحاب الاحدى و خمسين ركعة فى اليوم و الليلة القائمون بالليل

---

(۱) وسائل الشيعة، ج ۸ ص ۸.

(۲) الفصول المهمة ص ۲۱۳.

و الصائمون بالنهار يزكّون اموالهم و يحجّون البيت و يجتنبون كل محرّم» «۱».

و تشير الروايات الاخرى الواردة فى هذا الصدد الى تآمر بعض الغلاة مما اضطر الامام الباقر هنا الى التصدى لهم بشدّة. يقول على بن محمد النوفلى:

«جاء المغيرة بن سعد الى الامام الباقر عليه السّلام و قال له: اخبر الناس انى اعلم الغيب و انا أطعمك العراق. فزجره ابو جعفر زجرا شديدا و اسمعه ما كره فانصرف عنه. فاتى ابا هاشم بن محمد بن الحنفية رحمه اللّه فقال له مثل ذلك، فوثب عليه فضربه ضربا شديدا

اشرف به على الموت» «۲».

المشكلة الاخرى التى بقيت ملازمة لاهل العراق هى عدم امكانية وثوق الامام بمعتقدهم و مدى اخلاصهم. فرغم جميع ما كانوا يبدونه من حبّ و موالاة و ما كان يبدو عليهم من رغبة عميقة فى استقبال احاديث اهل البيت و نشرها، الّا ان اعلان الوفاء ذلك لم يكن من اليسير الاطمينان إليه لأسباب متعددة يتعلق بعضها بالسوابق التاريخية لاهل الكوفة و العراق. فقد نقل عن بريد العجلى أنّه قال للامام: «يقال إن لاصحابنا بالكوفة جماعة كثيرة فلو امرتهم لاطاعوك و اتّبعوك.

فقال له الامام: يجىء احدكم إلى كيس أخيه فيأخذ منه حاجته؟

قلت. لا.

قال الامام: بدمائهم ابخل» «۳».

---

(۱) صفات الشيعة ص ۱۶۳.

(۲) ابن ابى الحديد، ج ۸ ص ۱۲۱.

(۳) وسائل الشيعة، ج ۳ ص ۴۲۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۴

و من جهة أخرى كانت المصلحة تفرض على الامام التزام التقية رغم الضغط الشديد و الكبت القاتل الذى كان يفرض على الشيعة فى العراق و ما كانوا ينتظرونه من قدوم الامام الى العراق و اعلان الثورة و لهذا السبب اعتراهم بعض الشك فى امامته، كما ان عدم حصولهم على المعلومات الكافية عن امامته، جعلهم فى حالة شك بينه و بين اخيه زيد، و هذا ما افضى الى حصول انشقاقات بين الشيعة. و مع ان الامام توفى قبل سبع سنوات من ثورة اخيه زيد فى الكوفة الّا أن جذور الميل الى زيد كانت قد نمت فى ذلك العهد بين عدد من الشيعة. و على الرغم من جميع هذه المصاعب، الّا أن الاختلافات الداخلية نادرا ما كانت تهددهم و كان السر فى ذلك هو توجّهاتهم و مسارهم المعاكس لمصالح بنى أميّة.

و قد كان تخفيف الضغط السياسى الموجّه ضدّهم يتناسب طرديا مع اتساع نشاط الغلاة بحيث تجذّرت فى زمن الامام الصادق عليه السّلام حتى عادت هى القضيّة الرئيسة لدى الشيعة، و لم تخفّ وطأة الضغوط التى كانت تمارس ضد الشيعة طوال فترة الخلافة الاموية الّا فى عهد حكومة عمر بن عبد العزيز التى استمرت لمدة عامين.

و الحديث التالى: «من بلى من شيعتنا ببلاء فصبر كتب اللّه له اجر الف شهيد». يعكس مدى الضغوط التى كانت تمارس ضد الشيعة، و مدى الجهود التى كان الامام يبذلها لاقناعهم بالتحمل و التزام الصبر. و قد نقلت عن الامام الباقر عليه السّلام رواية يحلل فيها الاوضاع السياسية للشيعة و انواع الضغوط التى كان الخلفاء يمارسونها ضدّهم من بداية الخلافة الى عهده. نورد فيما يلى نص تلك الرواية على امل ان تتكون لدينا فكرة عن رأى الامام بهذا الصدد:

«ما لقينا من ظلم قريش ايّانا و تظاهرهم علينا و ما لقى شيعتنا

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۵

و محبّونا من الناس، ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبض و قد اخبر أنّا اولى الناس بالناس فتمالأت قريش حتى اخرجت الامر عن معدنه و احتجّت على الانصار بحقّنا و حجّتنا ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا و نصبت الحرب لنا و لم يزل صاحب الامر فى صعود و كئود حتى قتل فبويع الحسن عليه السّلام ابنه و عوهد ثم غدر به .. ثم بايع الحسين من اهل العراق عشرون الفا ثم غدروا به، ثم لم نزل اهل البيت نستذل و نستضام و نقصى و نمتهن و نحرم و نقتل و نخاف و لا نأمن على دمائنا و دماء اوليائنا و وجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم و جحودهم موضعا يتقربون به الى اوليائهم و قضاة السوء و عمال السوء فى

كلّ بلدة فحدثوهم بالاحاديث الموضوعة المكذوبة و رووا عنا ما لم نقله و لم نفعله ليبغضونا الى الناس و كان عظم ذلك و كبر فى زمن معاوية بعد موت الحسن فقتلت شيعتنا فى كل بلدة و قطعت الايدى و الارجل على الظنّة و كان من يذكر بحبّنا و الانقطاع إلينا سجن و نهب ماله او هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد و يزداد الى زمان عبيد اللّه بن زياد قاتل الحسين عليه السّلام ثم جاء الحجّاج فقتلهم كل قتلة و اخذهم بكل ظنّة و تهمة حتى أن الرجل ليقال له زنديق او كافر احب إليه أن يقال له شيعة على حتى صار الرجل يذكر بالخير و لعلّه يكون ورعا صدوقا يحدث باحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة و لم يخلق اللّه تعالى شيئا منها و لا كانت و لا وقعت و هو يحسب انها حقّ لكثرة من رواها ممن لم يعرف بكذب و لا بقلّة ورع» «۱».

تظهر الرواية السالفة اسلوب تحليل ائمة الشيعة للاوضاع السياسية فى تلك

---

(۱) ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ۱۱ ص ۴۴/ ابو زهرة الامام الصادق، ص ۱۱۱.

الحقبة الزمنية و تتضمن أيضا اشارة الى تشدد الخلفاء الامويين ضد الشيعة الذين كانوا يكثرون فى العراق بالخصوص. بديهى أنّ الشيعة كان لهم وجود فى مكّة و المدينة أيضا الّا انهم كانوا اقل بكثير من شيعة العراق. و كان من جملتهم ابن ميمون الذى سأله الامام يوما: كم انتم بمكّة؟

قال: نحن اربعة. فقال له: انكم نور فى ظلمات الارض «۱». (يحتمل ان هذا العدد كان يمثل الشيعة المخلصين).

و لم يكن الكثير من الشيعة قد بلغ درجات عالية فى التشيّع بل كان عدد منهم يرغب فى الاستفادة من علوم اهل البيت الى جانب احاديث اهل السنّة.

و لذا اعتبروا فى كتب الرجال جزء من اصحاب الامام الباقر عليه السّلام. و أمّا ما ورد فى رجال الطوسى بشأن اصحاب الامام و ان عددهم كان ۴۶۷ رجلا فلم يكن ذلك يمثل الّا الاشخاص الذين كانت علاقتهم به اقوى، و الّا فقد ورد فى كتب السنّة اشخاص كثيرون جدا نقلوا الاحاديث عن الامام الباقر عليه السّلام لكنّهم لا يعدّون من اصحابه. و كان عدد الشيعة السياسيين- و هم الذين كانوا يوالون و يناصرون اهل البيت لا بسبب ايمانهم بامامة ائمة الشيعة، بل بسبب افضلية الشخصية الانسانية و السياسية لاهل البيت- كثيرا جدا فى العراق، الّا ان احدا لم يكن يعتمد عليهم او يثق بهم فى مجال تفجير حركة سياسية او ثورة مع ادنى احتمال فى النصر. و ما كلام بريد العجلى مع الامام، و الذى مرّ ذكره فى الصفحات السابقة الّا تعبيرا عن هذه الحقيقة.

و قد اشتهر من بين اصحاب الامام عدد يسير منهم و نقلت عن طريقهم اكثر

---

(۱) رجال الكشى، ص ۳۴۶.

من نصف احاديثه الموجودة حاليا فى جوامع احاديث الشيعة.

فزرارة بن اعين، و معروف بن خربوذ، و بريد بن معاوية العجلى و ابى بصير الاسدى و فضيل بن يسار و محمد بن مسلم، كانوا من جملة من حظى بصحبة الامام الصادق عليه السّلام و هم موثوقون من قبل علماء الشيعة «۱».

اما زرارة، فقد قال بحقّه الامام الصادق عليه السّلام: «رحم اللّه زرارة بن اعين، و لو لا زرارة لاندرست اثار النبوّة و احاديث ابى» «۲».

و حصل اشخاص مثل محمد بن مسلم على معرفة عميقة بالامام، فلم يأخذ علمه الّا عن الامام الباقر عليه السّلام ثم عن الامام الصادق عليه السّلام، فكان يقول عن نفسه:

«ما شجر فى قلبى شىء قط الّا سألت عنه ابا جعفر عليه السّلام حتى سألته عن ثلاثين الف حديث، و سألت ابا عبد اللّه عليه السّلام ستّة

عشر الف حديث» «۳».

حتى ان بعض الشيعة اعتبره (اى محمد بن مسلم) افقه الشيعة «۴».

و كان جابر بن يزيد الجعفى احد الشيعة المعروفين أيضا، و كان عند ما يروى حديثا عن الامام الباقر عليه السّلام يقول:

«حدّثنى وصىّ الاوصياء و وارث علم الأنبياء محمد بن على بن الحسين» «۵».

---

(۱) نفس المصدر السابق ص ۲۳۸ رجال الكشى.

(۲) رجال الكشى ص ۹۰/ المفيد، الاختصاص ص ۶۶.

(۳) الاختصاص ص ۲۰۱/ رجال الكشى ص ۱۰۹.

(۴) الاختصاص ص ۲۰۳.

(۵) الارشاد ص ۲۸/ حلية الأولياء ج ۳ ص ۱۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۸

و هذه الكلمات نفسها كان يرددها مالك الاشتر النخعى على مسامع الناس حينما كان يتحدث عن امير المؤمنين عليه السّلام، فكان يقول: «أيها الناس هذا وصىّ الاوصياء و وراث علم الأنبياء» «۱».

و قد اعتبره ابو حنيفة شخصية فريدة فقال عنه: «ليس عندى فى الكوفة فى بابه اكبر منه» «۲».

و كان حمران بن اعين و عبد اللّه بن شريك من اصحاب الامام الذين يقل نظيرهم «۳».

و قال الصادق عليه السّلام بشأن اصحاب ابيه من جملة حديثه: «ما اجد احدا احيا ذكرنا و احاديث ابى عليه السّلام الّا زرارة و ابو بصير المرادى و محمد بن مسلم و بريد ابن معاوية و لو لا هؤلاء ما كان احد يستنبط هدى، هؤلاء حفاظ الدين و أمناء ابى عليه السّلام على حلاله و حرامه و هم السابقون إلينا فى الدنيا و الآخرة» «۴».

الامام و القضايا السياسية

اعتبر الشيعة الزيدية قيام الامام بالسيف احد اصول مذهبهم فى الامامة، فالشخص العلوى فى نظر الزيدية انما يعتبر اماما اذا قام بالسيف و الّا لم يكن كذلك. و لو التفتنا الى نتيجة هذه العقيدة لدى الزيدية لم نجد سوى عدد معدود من الثورات المسلحة التى باءت بالفشل و قام بها كل من محمد ذو النفس الزكيّة

---

(۱) تاريخ اليعقوبى، ج ۲ ص ۱۷۹. طبعة دار صادر.

(۲) المناقب للمكّى، ج ۲ ص ۱۸ نقلا عن ابى زهرة، الامام ابو حنيفة ص ۷۲.

(۳) بحار الانوار ج ۴۶ ص ۳۴۳.

(۴) المفيد، الاختصاص ص ۶۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۹

و اخوه ابراهيم و الحسين بن على المعروف بشهيد فخّ و غيرها من الثورات التى قامت فى انحاء مختلفة من العالم الاسلامى. و لم تحرز اى من هذه الثورات نجاحا ملحوظا سوى ثورة طبرستان التى يشكّ فى انتماء قادتها الى الزيدية او الى الامامية (و الاحتمال الاقوى انهم كانوا زيدية) فكانت نتيجة ذلك هى:

اولا: انهم لم يتبعوا الاوصياء الذين اصطفاهم اللّه اى الائمة الاطهار عليهم السّلام بل اتبعوا كل علوى حمل السيف.

ثانيا: انهم من الناحية الثقافية فى الفقه و التفسير و الكلام لم يكن لهم ما للشيعة من ثقافة متسعة و مترابطة و منظمة. ففى بابى التفسير و الفقه كانوا ياخذون برأى ابى حنيفة غالبا و قلدوا فى علم الكلام المعتزلة. و قد اعتبروا بنحو عام من فرق و شعب اهل السنة.

و قد ادّت الاعمال و النشاطات التى قام بها ائمة الشيعة و خاصة الامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام الى ايجاد ثقافة خاصة و غنيّة للمذهب الشيعى الذى عرف فيما بعد بالمذهب الجعفرى و ان كانت شهرته بالمذهب الباقرى لم تكن بعيدة عن الصواب أيضا.

هذا المذهب الفكرى الذى يعرض علوم اهل البيت بشكل منظم و فى جميع المجالات كان ثمرة الجهود المتواصلة التى استمرت ۵۵ عاما (من عام ۴۸- ۹۴) لهذين الامامين.

ان اختيار مثل هذا الموقف فى ظل الاوضاع السياسية التى كانت سائدة آنذاك و التى تميّزت بشدة القمع التى كانت تمارسها السلطة الاموية و من بعدها السلطة العباسية من اجل بقاء حكومتها ضد كل معارضة لم يكن من الممكن أن

يقترن بمشاركة فى الخطوات السياسية المهمة، اذ ليس من الصحيح المشاركة دوما و فى كل الاحوال و الظروف فى التحركات السياسية بالغا ما بلغ الثمن، حتى ان كان ثمن ذلك هو الاغضاء عن تبيان المعارف الحقّة و اغلاق الطريق أمام الامة الى الابد. و لذا اتخذ ائمة الشيعة فى هذه البرهة موقفا يقوم على بيان المعارف الدينية الحقيقية و كان نشاطهم الاساس يتمثل فى تدوين الثقافة الدينية و هذا ما نشاهد و نلمس نتائجه اليوم بشكل واضح.

و لا يعنى هذا ان ائمة الشيعة لم يتخذوا ايّ موقف ازاء غطرسة الحكّام المتسلطين. فجميع الشيعة و حتى الامويين كانوا يدركون جيدا ان قادة الشيعة يطالبون بالخلافة، و انهم كانوا- كما تشير الروايات التى نقلناها عن الامام الباقر- يرون الخلافة حقا لهم و لآبائهم و أن قريشا اخذتها منهم عنوة. و لهذا كان الشيعة يمتنعون من التعاون مع الحكّام الّا فى بعض الحالات الاستثنائية التى يسمح فيها بذلك لاسباب خاصة لكن هذه المسألة لم تتخذ دوما طابع المواجهة العلنية المسلحة او المشاركة المستمرة فى الثورات. و بناء على هذا فان المعارضة و الدعوة الى عدم التعاون و المواجهة السلبية كانت من المواقف الواضحة و البارزة للامام.

جاء عقبة بن بشير الاسدى و كان من الشيعة الى الامام الباقر عليه السّلام، و اشار الى مكانته و علو منزلته فى قبيلته قائلا: «كان لقبيلتنا عريف «۱» مات و يريدون تعريفى عليهم، فما ترى فى ذلك؟ فقال له الامام:

تمنّ علينا بحسبك ان اللّه تعالى رفع بالايمان من كان الناس سموه وضيعا اذا كان مؤمنا، و وضع بالكفر من كان يسمونه شريفا اذا كان كافرا،

---

(۱) رجال الكشى ص ۲۰۴.

فليس لاحد فضل الّا بتقوى اللّه. اما قولك ان قومى كان لهم عريف فهلك فأرادوا أن يعرّفونى عليهم. فان كنت تكره الجنّة و تبغضها فتعرّف على قومك يأخذ السلطان بامرئ مسلم يسفك دمه فتشركهم فى دمه عسى ان لا تنال من دنياهم شيء» «۱».

تبيّن لنا هذه الرواية كيف ان الامام كان يمنع شيعته من تسلّم اى عمل او منصب لدى الحكومة و لو كان بدرجة عريف و هى درجة تافهة لا اهمية لها و يعلل ذلك بجور الحكّام على الرعية، و يعتبر مثل ذلك العمل مشاركة لهم فى ارتكاب ذلك الذنب.

و كان الامام الباقر عليه السّلام يحثّ الناس بصورة مختلفة على الاعتراض على تصرفات الحكّام و نصيحتهم، و قد وردت عنه عليه السّلام رواية جاء فيها: «من مشى الى سلطان جائر فأمره بتقوى اللّه و وعظه و خوّفه كان له مثل اجر الثقلين من الجن و الانس و مثل اجورهم» «۲».

و كانت التقية درعا هاما و واقيا بيد الشيعة يصونون به انفسهم فى الفترات المظلمة للحكم الاموى و العباسى و قد روى الباقر عليه

السّلام عن ابيه انه قال: «ان التقية دينى و دين آبائى و لا دين لمن لا تقية له» «۳».

امّا بشأن ادعاء الامامة من قبل اهل البيت، فهناك ادلّة و شواهد تاريخية كثيرة تؤكدها بجلاء و وضوح، و هى قضية واضحة للناس، و الجميع يعلم أن ائمة

---

(۱) قال ابن الاثير: العرفاء جمع عريف و هو القيم بامور القبيلة او الجماعة من الناس يلى امورهم و يتعرّف الامير منه احوالهم لسان العرب.

(۲) المفيد، الاختصاص، ص ۲۶۱.

(۳) دعائم الاسلام، ج ۱ ص ۹۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۲

الشيعة يعتبرون الامامة حقا لهم لا ينافسهم فيها غيرهم. و اما من الناحية النظرية فقد اكد الامام الباقر و بقية الائمة على عدم مشروعية عمل السلطات الحاكمة آنذاك، و انهم يطرحون امام الناس وجوب اقامة الحكومة الحقّة فى المجتمع الاسلامى:

«و كذلك يا محمد (بن مسلم) من اصبح من هذه الامة لا إمام له من اللّه عز و جل ظاهر عادل اصبح ضالا تائها و ان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر و نفاق، و اعلم يا محمد ان ائمة الجور و اتباعهم لمعزولون عن دين اللّه قد ضلّوا و اضلّوا فاعمالهم التى يعملونها كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد» «۱».

و النتيجة الطبيعية لمثل هذه الكلمات هى سوق الناس نحو اهل البيت و تنبيههم الى الجور الذى يمارسه الولاة بحق ابناء الامة. كما أنّ تأكيدات الامام المتكررة على كون الامامة مع الصوم و الصلاة و الحج و الزكاة تشكّل الاحكام الاساسية الخمسة فى الاسلام، ترجع فى الحقيقة الى هذا الامر. ثم يقول فى نهاية الحديث مؤكّدا على امر الولاية: «و لم يناد بشىء كما نودى بالولاية فأخذ الناس بأربع و تركوا الولاية» «۲».

و قد روى ان الامام الباقر دخل يوما على هشام بن عبد الملك و لم يسلّم عليه بالخلافة و امرة المؤمنين، فغضب هشام و اشار الى من حوله ليعنّفوا الامام، ثم قال: «لا يزال الرجل منكم شق عصا المسلمين و دعا الى نفسه».

و بعد ان فرغ هشام من توبيخ الامام و أمر الناس بلومه التفت الامام نحو

---

(۱) الكافى، ج ۱ ص ۱۸۳- ۱۸۴.

(۲) الكافى ج ۱، ص ۱۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۳

الناس و قال:

«ايّها الناس اين تذهبون و اين يراد بكم، بنا هدى اولكم و بنا ختم آخركم فان يكن لكم ملك معجل فان لنا ملكا مؤجّلا و ليس بعد ملكنا ملك، لأنا اهل بيت العاقبة، يقول اللّه: وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ*.

فاصدر هشام امرا بحبس الامام، و تأثر من كان فى السجن بشخصية الامام فعلم هشام بذلك فأمر بارجاعه الى المدينة «۱».

و فى عهد الامام الباقر عليه السّلام كان بنو اميّة عامّة يضيقون الخناق على اهل البيت و لم يكن ذلك التضييق الا بسبب ادعائهم الامامة و الزعامة الدينية السياسية و اعتبارهم بنى أميّة غاصبين لها. و قد ذكرت المصادر التاريخية- التى لا نعلم مدى صحّتها و دقتها- ان عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الوحيد من بين آل أميّة الذى كان تعامله مع اهل البيت جيدا نسبيا.

و انطلاقا من هذا يروى اهل السنّة عن الامام الباقر عليه السّلام انه قال: «عمر بن عبد العزيز نجيب بنى اميّة» «۲».

و ورد كذلك فى مصادر الشيعة ان عمر بن عبد العزيز كان يدفع عطاء اهل البيت من بيت المال «۳»، كما أرجع فدك لبنى هاشم «۴».

و فى العهد الاموى كانت اشد الضغوط وطأة على اهل البيت هى تلك التى

---

(۱) ائمتنا، ج ۲ ص ۳۵۸ نقلا عن الكافى ج ۱ ص ۴۷۸/ المناقب، ج ۲ ص ۲۸۰.

(۲) الذهبى، تذكرة الحفّاظ، ج ۱ ص ۱۱۹.

(۳) الحميرى، قرب الاسناد، ص ۱۷۲.

(۴) الخصال، ج ۱ ص ۵۱/ ر. ك. أمالى الطوسى ص ۸۰/ السيوطى، تاريخ الخلفاء ص ۲۳۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۴

مارسها ضدهم هشام بن عبد الملك، و كانت اهانته و كلماته النابية هى التى دفعت زيد بن على الى الثورة عليه فى الكوفة (عام ۱۳۱). ففى لقاء حصل بين هشام و زيد تطاول هشام بالاهانة على الامام الباقر عليه السّلام، و قال عنه باستهزاء «البقرة»، فغضب زيد من هذا السلوك الوقح و قال له: «سمّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الباقر و أنت تسمية البقرة لشدّ ما اختلفتما و لتخالفنّه فى الآخرة كما خالفته فى الدنيا فيرد الجنّة و ترد النار» «۱».

و قد سبّ شخص مسيحى النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بحضور هشام، فلم يبرز منه اىّ رد فعل، و هذا ما خلق لدى زيد ردة فعل عنيفة فيما بعد، و قد قيل ان هذه التصرفات كانت هى الدوافع الاصلية و المهمة فى ثورة زيد ضد الحكومة الاموية، فكانت بذلك بداية لسلسلة من الثورات المتواصلة على امتداد الوطن الاسلامى الكبير و فى المشرق و ايران بالخصوص ضد السلطة الاموية.

و جاء كذلك فى مصادر الشيعة ان الامام الباقر عليه السّلام استدعى الى الشام برفقة ابنه الصادق عليه السّلام ليواجها هناك الاهانة و الاستخفاف و يتخليا عن فكرة الحكومة و معارضة السلطة الاموية.

و قد روى الامام الصادق عليه السّلام بدوره هذه الحادثة فى رواية مطوّلة، ننقل فيما يلى مقاطع منها عن لسان الراوى قال:

«حج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين و كان قد حج فى تلك السنة محمد بن على الباقر عليه السّلام و ابنه جعفر بن محمد عليه السّلام فقال جعفر عليه السّلام:

«الحمد للّه الذى بعث محمدا بالحقّ نبيّا و اكرمنا به فنحن صفوة اللّه على

---

(۱) ابن ابى الحديد ج ۷، ص ۱۳۲/ ابن عنبة، عمدة الطالب ص ۱۹۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۵

خلقه و خيرته من عباده و خلفائه فالسعيد من اتبعنا و الشقى من عادانا و خالفنا».

ثم قال عليه السّلام: فاخبر مسلمة اخاه بما سمع فلم يعرض لنا حتى انصرف الى دمشق و انصرفنا الى المدينة. فانفذ بريدا الى عامل المدينة باشخاص ابى و اشخاصى معه، فاشخصنا فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثا، ثم اذن لنا فى اليوم الرابع فدخلنا و اذا قد قعد على سرير الملك، و جنده و خاصته وقوف على ارجلهم سماطان متسلحان و قد نصب البرجاس حذاه، و اشياخ قومه يرمون، فلما دخلنا و ابى امامى و انا خلفه. فنادى ابى و قال: يا محمد ارم مع اشياخ قومك الغرض. فقال له: انى قد كبرت عن الرمى فهل رأيت ان تعفينى فقال: و حقّ من اعزنا بدينه و نبيّه محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا اعفيك. ثم اومأ الى شيخ من بنى أمية ان اعطه قوسك. فتناول ابى عند ذلك قوس الشيخ ثم تناول منه سهما، فوضعه فى كبد القوس، ثم انتزع و رمى وسط الغرض فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشقّ فواق سهمه الى نصله ثم تابع الرمى حتى شقّ تسعة أسهم بعضها فى جوف بعض. و هشام يضطرب فى مجلسه. فلم

يتمالك الّا أن قال: اجدت يا ابا جعفر و أنت ارمى العرب و العجم، هلّا زعمت انّك كبرت عن الرمى، ثم ادركته ندامة على ما قال.

و كان هشام لم يكن كنّى احدا قبل ابى و لا بعده فى خلافته. فهمّ به و اطرق الى الارض اطراقة يتروّى فيها و انا و ابى واقف حذاه مواجهين له. فلمّا طال وقوفنا غضب ابى فهمّ به. و كان ابى عليه السّلام اذا غضب نظر الى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب فى وجهه.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۶

فلمّا نظر هشام الى ذلك من ابى قال له: إلىّ يا محمد! فصعد ابى الى السرير و انا اتبعه، فلما دنا من هشام قام إليه و اعتنقه و اقعده عن يمينه، ثم اعتنقنى و اقعدنى عن يمين ابى. ثم اقبل على ابى بوجهه فقال له:

يا محمد لا تزال العرب و العجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك، للّه درك، من علّمك هذا الرمى؟ و فى كم تعلّمته؟ فقال ابى: قد علمت ان اهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته ايام حداثتى ثم تركته. فلمّا اراد امير المؤمنين منّى ذلك عدت فيه. فقال له ما رأيت مثل هذا الرمى قط مذ عقلت، و ما ظننت ان فى الارض احدا يرمى مثل هذا الرمى. ايرمى جعفر مثل رميك؟

فقال: انا نحن نتوارث الكمال و التمام اللذين انزلهما اللّه على نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قوله الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً و الارض لا تخلو ممّن يكمل هذه الامور التى يقصر غيرنا عنها.

قال: فلما سمع ذلك من ابى انقلبت عينه اليمنى فاحولّت و احمرّ وجهه و كان ذلك علامة غضبه اذا غضب.

ثم واصل هشام حديثه قائلا: ان عليا كان يدّعى علم الغيب و اللّه لم يطلع على غيبه احدا فمن اين ادّعى ذلك؟ فقال ابى: ان عليا هو الذى تولّى نشر معارف القرآن و علوم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

ثم امر هشام باطلاقهما و ارجاعهما الى المدينة.

ثم جرت بين الامام و الرهبان و القساوسة المسيحيين المقيمين فى الشام محاجّة و مساءلة، و قد جاء ذكرها مفصلا فى كتب الحديث.

ثم امر هشام ان يغادر الامام المدينة باسرع ما يمكن حتى لا يتأثر اهل الشام بعلمه. و قد كان بعث بريدا

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۷

الى عامله على المدينة كتب فيه: «ان ابنىّ ابى تراب ساحرين و يدّعيان كذبا ما يظهران من الاسلام لانهما تأثرا برهبان النصارى و مالا إليهم. فكرهت أن انكّل بهما لقرابتهما، فاذا وصلا الى المدينة، ناد فى الناس: برئت الذمة ممن يشاريهما او يبايعهما او يصافحهما او يسلّم عليهما فانهما قد ارتدا عن الاسلام».

و قد صدق الناس ما ورد فى هذا الكتاب، و اغلظوا للامام فى المعاملة و القسوة لكن الامام حذّرهم و نصحهم و خوفهم من عذاب اللّه، فكفوا عن اهانته و ايذائه و هذه الرواية تعكس حيلة هشام من اجل مسخ صورة اهل البيت.

ى

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۹

الامام الصادق عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۱

ابو عمرو الجاحظ: «جعفر بن محمد الذى ملأ الدنيا علمه و فقهه» «۱».

الامام السادس للشيعة هو جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام، ولد عام ۸۰ او عام ۸۳ للهجرة.

يرجع الاساس الفكرى و العقائدى للشيعة الى الامام الصادق عليه السّلام، فعلى يده تم نشر الكثير من علوم و احاديث اهل البيت. و قد كان الامام الصادق الحد الفاصل بين الفرق، نتيجة ظهوره لدى الشيعة، و قد جعل اهم واجب امام ناظره هو صيانة الشيعة من الانحراف و وقايتهم من التأثر بالانحرافات التى كانت سائدة فى عصره و التى كانت تهدد على الدوام النقاء الفكرى و العقائدى و الاستقلال الثقافى لهم.

---

(۱) رسائل الجاحظ ص ۱۰۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۲

و الروايات الواردة فى امامة جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام كثيرة تعرضت لها الكثير من جوامع الحديث و الكتب التاريخية للشيعة من جملتها (الكافى، كتاب الحجّة)، و (كشف الغمة فى معرفة الائمة) «۱»، و (اثبات الوصية)، و (ارشاد المفيد) و (اثبات الهداة).

كان الامام الباقر عليه السّلام يعيش فى المدينة، و اما الامام الصادق عليه السّلام فحيث كان اكثر شيعته فى العراق فانّه عاش فيه ردحا من الزمن لهذا السبب او لأسباب أخرى «۲».

و فى عهده سقطت الدولة الاموية و انتقل الحكم الى بنى العباس، و بعد أن أمضى عليه السّلام اطول مدّة- قياسا الى سائر الائمة- فى ارشاد الناس، رحل اخيرا عن هذه الدنيا فى شوال عام ۱۴۸ للهجرة، و ترك الشيعة فى حزن دائم و مأتم لا ينقطع لفقده. و نقلت بشأن شهادته رواية عن اهل السنة انفسهم «۳» الّا ان ابا زهرة اعتبرها غير صحيحة، مستندا بذلك الى ثناء المنصور على الصادق عليه السّلام و اعلانه عن اسفه لرحلته، و هو ما رواه اليعقوبى «۴».

كما اعتبر ان مثل هذه الاجراء من قبل المنصور يتعارض و سياسته فى توطيد دعائم حكمه «۵».

لكن ينبغى القول بان كلا الردّين لا يعتبران نصا تاريخيا و لا يشكّلان دليلا

---

(۱) كشف الغمة، ج ۲ ص ۱۶۷- ۱۷۳.

(۲) الملل و النحل ج ۱ ص ۱۴۷. طبعة القاهرة.

(۳) الاتحاف، للشبراوى، ص ۱۴۷.

(۴) اليعقوبى، ج ۳ ص ۱۱۷/ الامام الصادق، ابو زهرة، ص ۶۷.

(۵) الامام الصادق ص ۶۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۳

على عدم استشهاده. لأن اعلان المنصور عن اسفه بصفته خليفة- فلا يريد أن يظهر ان الامام الصادق عليه السّلام استشهد بناء على اوامره- امر طبيعى جدا، و قد حصل نظير هذا الموقف أيضا للمأمون ازاء الامام الرضا عليه السّلام، بل يعتبر مثل هذا الامر قضية طبيعية جدا فيما يخص السلاطين و حوادث الاغتيال السياسية التى تنفّذ بناء على اوامرهم.

و كذلك قيام المنصور بقتل عدد كبير من العلويين و عدائه الصريح لهم يتنافى مع سلوكية المنصور حسبما يصرّح به ابو زهرة.

بل ان العكس هو الصحيح، فقد كان قتل الامام الصادق عليه السّلام متطابقا و اسلوبه فى الحكم، كما هو الحال فى سلوكه مع اعدائه الآخرين. و كل ذلك كان يجرى فى الخفاء و بسرية تامة لكى يبقى هو فى مأمن من افرازاته و اعراضه الجانبية. و على هذا فلو وجد شاهد تاريخى ينبئ بسمّه على يد المنصور فسيكون ذلك اكثر مقبولية من اعلان المنصور عن اسفه.

شخصية الامام الصادق عليه السّلام الفقهية و الاخلاقية

توجد شواهد جمة على نبوغ شخصية الامام الصادق العلمية. اما من جهة نظر الشيعة فهم يعتقدون بتنصيبه لمقام الامامة من اللّه تعالى، اذ ستكون النتيجة المباشرة لمثل هذا الاعتقاد انّ لديه علم الامامة الخاص. و اما عند اهل السنّة فقد كان يحظى بمقام شامخ فى مجالات الرواية و الحديث و الفقه و الافتاء عندهم، حتى انهم يعدّونه من شيوخ ابى حنيفة و مالك بن انس و عدد كثير من كبار محدّثيهم. فمالك بن انس من جملة من تتلمذوا مدّة طويلة على يد الامام الصادق عليه السّلام، و قال عنه:

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۴

«و لقد كنت آتى جعفر بن محمد و كان كثير المزاح و التبسّم، فاذا ذكر عنده النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اخضر و اصفر و لقد اختلفت إليه زمانا و ما كنت اراه الّا على ثلاث خصال: اما مصليا و إ ما صائما و اما يقرأ القرآن. و ما رأيته قط يحدّث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الّا على الطهارة و لا يتكلم فيما لا يعنيه و كان من العلماء الزهّاد الذين يخشون اللّه و ما رأيته قط الّا يخرج الوسادة من تحته و يجعلها تحتى» «۱».

و نقل عن عمرو بن المقدام انّه قال: «كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انّه من سلالة النبيين» «۲».

و قال الجاحظ و هو من مشاهير علماء القرن الثالث: «جعفر بن محمد الذى ملأ الدنيا علمه و فقهه و يقال ان ابا حنيفة من تلامذته و كذلك سفيان الثورى و حسبك بهما فى هذا الباب» «۳».

و يثنى ابن حجر الهيثمى أيضا على مكانة الامام و شخصيته العلمية و يشير الى أن اشخاصا مثل يحيى بن سعيد و ابن جريح و مالك و سفيان الثورى و ابى حنيفة و شعبة و ايوب السجستانى نقلوا عنه الكثير من الروايات «۴».

و قد نقلت عبارات كثيرة قالها العلماء و المفكرون عن شخصيته جمع الاستاذ اسد حيدر اغلبها فى كتابه القيّم (الامام الصادق و المذاهب الاربعة) «۵» و لا حاجة

---

(۱) المناقب للزواوى، ص ۴۱ نقلا عن ابى زهرة/ الامام مالك ص ۹۴- ۹۵.

(۲) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلانى، ج ۲ ص ۱۰۴/ كشف الغمة ج ۲ ص ۱۸.

(۳) وسائل الشيعة الجاحظ، ص ۱۰۶.

(۴) الصواعق المحرقة، ص ۱۲۰.

(۵) الامام الصادق و المذاهب الاربعة، ج ۱ ص ۶۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۵

الى ذكرها فى هذا الكتاب.

و لا شك ان كثرة المتعلّمين الذين كانوا يحضرون فى حلقة درسه، او الذين نقلوا عنه الاحاديث يظهر مدى عظمة شخصيته العلمية.

كان الحسن بن على الوشّاء يقول: «رأيت فى مسجد الكوفة تسعمائة شخص يقول كل منهم حدّثنى جعفر بن محمد» «۱».

و تتلمذ على يده أيضا نصير بن كثير و سفيان الثورى- الذى طارت شهرته فى المصادر السنية بالزهد و العلم- و اكتسبا منه العلم و الاخلاق «۲» قد جاء إليه عند وقت الحج و قالا: «إنّا ذاهبان الى الحج، علّمنا شيئا تكون به نجاتنا. فعلّمهما الامام دعاء» «۳».

و فى مواقف أخرى يلحّ فى سؤال الامام ليروى له حديثا «۴».

و قد كان هناك أيضا من يروى الاحاديث الملفقة عن الامام الصادق عليه السّلام بقصد الاساءة إليه. يقول شريك فى هذا الصدد: «كان جعفر بن محمد رجلا صالحا مسلما ورعا. فاكتنفه قوم جهّال يدخلون عليه و يخرجون من عنده و يقولون حدّثنا جعفر بن محمد و يحدّثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر يستأكلون الناس بذلك و يأخذون منهم الدراهم و من هؤلاء بيان بن

سمعان الذى ادّعى ان معرفة الامام تكفى عن الصوم و الصلاة،

---

(۱) الامام الصادق، فضل اللّه، ص ۱۲۹، و ر. ك، الامام الصادق و المذاهب الاربعة ج ۱ ص ۶۷.

(۲) كشف الغمة، ج ۲ ص ۱۶۶ ط تبريز.

(۳) السهمى، تاريخ جرجان ص ۵۵۴/ المزنى، تهذيب الكمال ج ۵ ص ۹۲.

(۴) تهذيب الكمال ج ۴ ص ۸۵/ سيرة اعلام النبلاء، ج ۶ ص ۲۶۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۶

و ما قال جعفر شيئا من هذا قط. كان جعفر اتقى و اورع من ذلك» «۱».

و لو تجاوزنا جميع هذه الموارد فقد كانت للامام بين شخصيات عصره و خاصة العلماء منهم عظمة تثير الاعجاب و الحيرة. كتب ابو زهرة فى هذا الشأن:

«ما أجمع علماء الاسلام على اختلاف طوائفهم فى امر كما اجمعوا على فضل الامام الصادق و علمه» «۲».

و كتب أيضا الشهرستانى مؤلف كتاب (الملل و النحل) عن شخصيته العلمية و الاخلاقية كما يلى: «و هو ذو علم غزير فى الدين و أدب كامل فى الحكمة و زهد بالغ فى الدنيا و ورع تام عن الشهوات» «۳».

و بالاضافة الى ما اكتسبه منه ابو حنيفة «۴» فقد روى عنه الاحاديث أيضا، و تلاحظ الكثير من رواياته التى نقلها عن الامام الصادق عليه السّلام فى كتاب (الآثار) «۵».

و قال عن الامام الصادق عليه السّلام: «ما رأيت افقه من جعفر بن محمد و انّه اعلم الامة» «۶».

و يقول عنه المؤرخ المشهور ابن خلكان: «احد الائمة الاثنى عشر على مذهب الامامية و كان من سادات اهل البيت و لقّب بالصادق لصدق مقالته

---

(۱) اختيار معرفة الرجال، الطوسى، ص ۳۲۴- ۳۲۵ طبعة مشهد.

(۲) الامام الصادق، ابو زهرة ص ۶۶.

(۳) الملل و النحل، ج ۱ ص ۱۴۷/ الامام الصادق، ابو زهرة ص ۳۹.

(۴) جامع المساند ابو المؤيد بن احمد الخوارزمى، ج ۲ ص ۳۴۹، ط بيروت، دار الكتب الاسلامية.

(۵) ابو زهرة، الامام الصادق ص ۳۸.

(۶) جامع المساند ج ۱ ص ۲۲۲/ الامام الصادق، ابو زهرة، ص ۲۲۴/ و الامام ابو حنيفة، ص ۷۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۷

و فضله اشهر من أن يذكر» «۱».

و قال عنه الشيخ المفيد رحمه اللّه: «و لم ينقل العلماء عن احد من اهل بيته ما نقل عنه» «۲».

كان المنصور العباسى فى صراع دائم مع العلويين و قد سعى الى التقليل من شخصية الامام الصادق عليه السّلام من خلال تعظيمه لبعض علماء اهل السنة من امثال مالك بن انس. اذ كان يقول له: «أنت و اللّه اعقل الناس و اعلم الناس، و لئن بقيت لاكتبنّ قولك كما يكتب المصاحف. و لابعثن به الى الآفاق فأحملهم عليه» «۳».

لم تكن حركة المنصور هذه ناتجة عن حبه لمالك، بل اراد جعله رمزا و تجسيدا ليطفئ بذلك نار حقده و غضبه على الامام الصادق عليه السّلام.

فقد كان المنصور يتشبث بكل وسيلة ممكنة للاساءة الى الامام، و خدش شخصيته العلمية و الفقهية، مثلما دفع ابا حنيفة للوقوف فى مقابل الامام و مناقشته و التباحث معه فان انتصر ابو حنيفة، فسيكون ذلك بمثابة اخراج للامام من ساحة العلوم و المعارف الاسلامية و قد روى ابو حنيفة نفسه هذه الحادثة فقال:

«قال لى المنصور ان الناس ولعوا بجعفر بن محمد و هم يتوافدون عليه باستمرار، فاجمع له من المسائل المستعصية و اسأله عن جوابها فان هو عجز عن الاجابة عليها سقط فى اعين الناس، فجمعت له اربعين مسألة مما تصعب الاجابة عليه». ثم التقى الامام الصادق عليه السّلام و ابو حنيفة فى الحيرة بحضور المنصور، و وصف

---

(۱) وفيات الاعيان- ج ۸ ص ۱۰۵.

(۲) كشف الغمة، ج ۲ ص ۱۶۶.

(۳) تذكرة الحفّاظ، ج ۱ ص ۲۰۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۸

ابو حنيفة لحظة دخوله مجلس المنصور كالآتى:

«لما دخلت المجلس رأيت هيبة جعفر بن محمد غطّت حتى على المنصور نفسه، فسلّمت و جلست فى مكانى، فالتفت المنصور إلىّ و قال: اعرض ما لديك من مسائل على ابى عبد اللّه.

فألقيت عليه المسائل التى اعددتها الواحدة تلو الاخرى و هو يجيب قائلا:

رأيكم فى القضية الفلانية كذا و اهل المدينة يقولون كذا و نحن نقول كذا. و كان رأيه فى قسم من المسائل يوافق رأينا و فى مسائل أخرى يوافق رأى اهل المدينة و بعضها يختلف عن الجانبين، حتى اجاب عن اربعين سؤالا.

و عند انتهاء الاسئلة قال ابو حنيفة مشيرا الى الامام الصادق عليه السّلام: ان اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس» «۱».

و من الطبيعى جدا ان ينادى الامام مثلما كان جدّه امير المؤمنين عليه السّلام ينادى:

«سلونى قبل ان تفقدونى فإنّه لا يحدّثكم احد بعدى بمثل حديثى» «۲».

و الاحاديث التى وصلتنا من الامام الصادق عليه السّلام لا تختص بالفقه فقط، بل وصلتنا منه احاديث أيضا فى مجال التفسير و علم الكلام و الاخلاق. و لو راجعنا كتاب (اصول الكافى)، لتبيّن لنا عمق وسعة نظر الامام فى المسائل العقلية الاسلامية. كما تضمنت تفاسير البرهان و الصافى و نور الثقلين عددا كبيرا من احاديثه.

---

(۱) المزى، تهذيب الكمال، ج ۵ ص ۷۹- ۸۰/ ابن عدى، الكامل فى ضعفاء الرجال، ج ۲ ص ۵۵۶.

(۲) تهذيب الكمال، ج ۵ ص ۷۹، سير اعلام النبلاء، ج ۶ ص ۲۵۷، الكامل فى ضعفاء الرجال، ج ۲ ص ۵۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۹

كتب العالم السنّى ابو زهرة فى هذا الصدد يقول: «و لم يكن علمه مقصورا على الحديث و فقه الاسلام بل كان يدرّس علم الكلام» «۱».

و لا يمكننا هنا تبيان جميع النظريات الكلامية للامام، الّا أن عبارته بشأن مسألة الجبر و التفويض و هى عبارة مشهورة قال فيها: «لا جبر و لا تفويض بل امر بين أمرين» تعدّ اجمل و اشمل و ادق تعبير طرح فى هذا المجال.

و يقول ابو زهرة فى موضع آخر من كتابه عن الامام الصادق عليه السّلام: «و فوق هذه العلوم كان الامام الصادق على علم بالاخلاق و ما يؤدّى الى فسادها» «۲».

و كان عدد الرواة الذين رووا عنه الاحاديث كبيرا جدا، يمكن العثور على اسمائهم فى (تهذيب الكمال) للامام المزّى «۳» و بقية كتب الرجال مثل (تهذيب التهذيب)، و من بينهم عدد كبير من الشخصيات البارزة عند اهل السنة، و قد اورد الذهبى فى كتاب سير اعلام النبلاء اسماء الرواة الذين نقلوا عن الامام الصادق عليه السّلام «۴».

هذا فى وقت كان فيه الكثير من المحدّثين لا يجرءون على النقل عنه فى عهد بنى أميّة، فقد ذكر بشأن مالك بن انس بأنه: «لم يرو عن جعفر بن محمد حتى ظهر امر بنى العبّاس» «۵».

---

(۱) ابو زهرة، الامام الصادق ص ۶۶.

(۲) ابو زهرة- الامام الصادق ص ۶۷.

(۳) تهذيب الكمال، ج ۵ ص ۷۵ و ۷۶.

(۴) الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج ۶ ص ۲۵۶.

(۵) ابن عدى الكامل فى ضعفاء الرجال ج ۲ ص ۵۵۵/ الذهبى، سير اعلام النبلاء ج ۶ ص ۲۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۰

شيعة الامام الصادق عليه السّلام

كان اتساع نطاق التشيّع و كثرة اصحاب الامام الصادق عليه السّلام مصحوبا طبعا بالكثير من الاختلافات و المصاعب. فلم يكن باستطاعة جميع تلاميذه و شيعته فى ذلك العصر وضع جميع افكارهم و تصوراتهم فى الزاوية الصحيحة، و اكتساب معارفهم الدينية من مصدرها الاساس و هو بيت الرسالة، كما كان الحال بالنسبة لمحمد بن مسلم و زرارة.

فقد كان الكثير منهم يحضرون فى حلقات درس المحدّثين من اهل السنّة، و هذا ما كان يؤثر على نمط تفكيرهم و فهمهم، و من جانب آخر فقد كان لكثرة اصحابه و انتشارهم فى الاصقاع القاصية و الدانية تأثيره أيضا اذ كان يتعذر عليهم الاتصال المباشر بالامام لذا فهم كانوا يرجعون فى مسائلهم الفقهية و العقائدية الى الشيعة الاكثر شهرة و قد ادّى ذلك الى سريان الاختلاف فى وجهات نظرهم الى بقية الشيعة. و قد اوجد التناحر السياسى بين عدد من الشيعة ميولا لدى البعض منهم تجاه الحكومة العبّاسية الفتيّة التى كان لها قبل هذا نفوذ واسع فى الاوساط الشيعية و هذا ما اضاف عاملا آخر الى عوامل الاختلاف بين الشيعة.

و علاوة على كلّ ذلك اصبحت قضية الزيدية عاملا آخر يضاف الى عوامل هذه التفرقة اذ ادّت حركاتهم الثورية الى استقطاب الشيعة السياسيين و المتطرّفين الى الالتفاف حول هذه الفرقة، و كان من الطبيعى أن تترك مثل هذه الاحداث تأثيراتها السلبية و العميقة نسبيا على الشيعة.

و فى نفس الوقت كان بين اصحاب الامام الصادق عليه السّلام شيعة حقيقيّون بذلوا جهودا جبّارة و متواصلة من اجل المحافظة على آثاره العلمية و ما ورد عنه من روايات.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۱

يقول الامام الصادق عليه السّلام بهذا الشأن: «ما احد أحيى ذكرنا و أحاديث ابى الّا زرارة و ابو بصير ليث المرادى و محمد بن مسلم و بريد بن معاوية العجلى و لو لا هؤلاء ما كان احد يستنبط هذا، هؤلاء حفاظ الدين و أمناء ابى عليه السّلام على حلال اللّه و حرامه و هؤلاء السابقون إلينا فى الدنيا و السابقون إلينا فى الآخرة» «۱».

و قال أيضا: «رحم اللّه زرارة بن اعين لو لا زرارة و نظراؤه لاندرست احاديث ابى» «۲».

و كان من بين هؤلاء من اعتبره الامام الصادق عليه السّلام مرجعا للشيعة. فعند ما سأله احد شيعته: ربما احتجنا ان نسأل الشيء فمن

نسأل؟ قال له: «عليك بالاسدى، يعنى ابا بصير» «۳».

و قال فى موقف آخر: «ما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفى فانه سمع من ابى و كان عنده وجيها» «۴».

و فى مقابل هؤلاء، كان فريق منهم متذبذب بين الزيدية و المذهب الجعفرى، فعند ما سأل الامام الصادق عليه السّلام عبد الملك بن عمر عن سبب عدم مشاركته فى الحرب، اشار ضمن جوابه:

«فانّ الزيدية يقولون ليس بيننا و بين جعفر خلاف الّا انه لا يرى الجهاد».

---

(۱) الطوسى- نفس الكتاب ص ۱۳۷، و ر. ك: وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۱۰۳- ۱۰۴

(۲) الطوسى، نفس الكتاب ص ۱۳۶.

(۳) وسائل الشيعة، ج ۱۸ ص ۱۰۳.

(۴) وسائل الشيعة، ج ۱۸ ص ۱۰۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۲

فحاول الامام دفع هذه التهمة عن نفسه و قال: «بلى و اللّه إنّى لأراه و لكنّى اكره ان ادع علمى الى جهلهم» «۱».

و قد تعرّض السيد الحميرى و هو من شعراء الشيعة المعروفين الى انحراف من نوع آخر وضعه العباسيّون امام اقدام الشيعة، فهو كان يميل الى مذهب الكيسانية الذى اصطنعه العباسيّون. الّا انه جاء فيما بعد الى الامام الصادق عليه السّلام و غيّر معتقده و اصبح من شيعته المخلصين «۲».

و قد نظم قصيدة يحكى فيها كيفية عودته و التحاقه بالامام الصادق عليه السّلام يقول فيها:

تجعفرت باسم اللّه و اللّه اكبرو ايقنت ان اللّه يعفو و يغفر و قد ترحّم عليه الامام الصادق عليه السّلام فيما بعد و اشار الى انه ارتكب ذنوبا فقال عنه: «و ما خطر ذنب عند اللّه ان يغفره لمحب علىّ» «۳».

و النقطة التى تستثير الاهتمام فيما يخص تشتت شمل الشيعة او بعبارة أخرى ظهور التفرقة فيما بينهم هو ان بعض علماء البلاط فى عهد المهدى العبّاسى كانوا يؤجّجون هذه الاختلافات و يبذلون جهودا كبيرة فى اظهارها بمظهر يفوق حجمها الحقيقى. و فى هذا الصدد يذكر الكشى شخصا يدعى بابن المفضل الّف كتابا فى الفرق و ذكر فيه كل واحد من اصحاب الامام الصادق عليه السّلام باعتباره زعيما لفرقة من الفرق.

---

(۱) وسائل الشيعة ج ۱۱ ص ۳۲.

(۲) الطوسى، اختيار معرفة الرجال ص ۲۲۸. الاغانى ج ۷ ص ۲۳۳.

(۳) الاغانى، ج ۷ ص ۲۴۲ و ۲۷۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۳

و فى ختام هذا الفصل لا بد من الاشارة الى أنّ شيعة الامام الصادق عليه السّلام كانوا يتواجدون على الاغلب فى العراق و فى الكوفة على وجه الخصوص. و اما بقية الولايات فكانت اما خالية من الشيعة او تضمّ عددا قليلا منهم، رغم ان بعض الناس كان يأتى الى الامام من خراسان و يعرض عليه الاسئلة الفقهية «۱».

فحين ذهب حفص بن غياث الى البصرة لرواة الاحاديث طلبوا إليه أن لا يروى عن بعض الناس و كان من جملتهم جعفر بن محمد، و سبب ذلك هو الروحية العثمانية التى كانت سائدة على اهالى البصرة و منشؤها حرب الجمل، فقال لهم حفص: «لو أنكم قلتم هذا الكلام فى الكوفة لاخذتكم النعال المطرقة» «۲».

الامام الصادق عليه السّلام و الغلاة

اشارة

لقد تعرضنا اثناء حديثنا عن حياة الامام الباقر عليه السّلام الى مسألة مواجهته للغلاة، و نرى هنا وجوب التعرض الى هذه المسألة بشكل اوسع حيث نستعرض تصرفات و افعال الغلاة و ردّ فعل الامام الصادق عليه السّلام تجاههم. حيث يبدو لنا أن اسلوبه فى مواجهتهم يعتبر من اهم الجهود التى بذلها للحفاظ على الشيعة و صيانتهم من الانحراف، فكل مذهب يمر فى زمان حياته بمرحلتين و هما مرحلة النشوء و التكوين و الثانية هى مرحلة الاتساع و التطوّر، و فى كل مرحلة يوجد خطر جسيم يتربص به الدوائر.

تشتمل عقائد الغلاة على آراء ينسبون بموجبها بعض صفات اللّه الى بعض

---

(۱) تاريخ يحيى بن معين، ج ۴ ص ۳۷۲.

(۲) ابن عدى، الكامل فى ضعفاء الرجال ج ۲ ص ۵۵/ تهذيب الكمال، ج ۲ ص ۷۸/ سير اعلام النبلاء ج ۶ ص ۲۵۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۴

البشر و يعترفون لهم بنوع من الالوهية، فيجعلون منهم آلهة حينا او اصحاب صفات إلهية حينا آخر «۱».

و بما ان الائمة كانوا يطرحون انفسهم بصفتهم منصبين من قبل اللّه فان ذلك كان يسهّل الارضية للصق مختلف الصفات بهم و يجعلهم غرضا للحب و الولاء المتطرف و يهيّئ الظروف لمثل تلك الآراء المغالية.

ان اهمّ جوانب حياة الامام الصادق عليه السّلام التى لها دور كبير فى حياة الشيعة هى معارضته و تصدّيه العلنى للغلاة و مسألة الغلو، و التى نتج عنها تحجيم الغلاة فى شتى المجالات، و جعلهم خارج دائرة الشيعة، و الّا لما بقى للتشيّع الحقيقى من اثر يذكر و لا صبح هذا المذهب العوبة بيد المخبولين الذين سيشكلون صورة أخرى عن الشيعة متأثرة بالثقافة و الآراء المسيحية و اليهودية.

و قبل التطرق الى موضوع مواجهة الامام الصادق عليه السّلام للغلاة، ينبغى الاشارة الى هذه الحقيقة و هى ان كتب الفرق و المذاهب التى كتبت فيما بعد على يد علماء اهل السنّة و بسبب عدم تمييزها بين الشيعة الواقعيين و الغلاة، حرّفت افكار قرائها عن حقيقة الحال و ضللتهم. و بقيت الاوساط السنية الى ما قبل عدّة سنوات بل بقى بعضها الى الآن، غير مدركة لهذه الحقيقة و هى ان الشيعة الامامية يختلفون عن الغلاة، و ان الامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام قد رفضا وجود هذه الفئة بين اوساط الشيعة. فلو كان مؤلفو تلك الكتب على دراية بمدى تصدّى الشيعة للغلاة و تكفير أئمة الشيعة لهم لما وقعوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش. بل ان بعض

---

(۱) ابن ابى الدنيا، مقتل امير المؤمنين عليه السّلام مجلة تراثنا، العدد ۱۲ ص ۱۲۱ حديث ۹۲، و قد سبق للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ان تحدث بمثل هذا الحديث قائلا لامير المؤمنين عليه السّلام: «سيهلك فيك رجلان». و قال كذلك لابن عباس: «ايّاك و الغلو إنمّا هلك من كان قبلك بالغلو». الطبقات ج ۲ ص ۱۸۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۵

المستشرقين حاول مؤخّرا- و بإهمال متعمّد- التحدث عن الشيعة و كأنهم يحملون نفس افكار و آراء الغلاة، بينما تشير الحقائق التاريخية التى سنتطرق الى بعضها فيما يأتى الى انفصال هاتين الفرقتين عن بعضهما منذ تاريخ نشوئهما، و هو ما يبطل اوهام المستشرقين فى هذا المجال.

اما سياسة الائمة تجاه الغلاة فكانت تتمثل بما يلى:

۱- صيانة الشيعة الحقيقيين من الغلاة:

فمن جملة الاساليب التى دأب عليها الامام فى مواجهته للغلاة هو ايجاد فاصل بينهم و بين الشيعة الاصليين. إذ كان الاتصال بهم و الاختلاط معهم يعنى ترك بعض الآثار السلبية على الشيعة.

فقد ورد فى رواية مسندة عن الامام الصادق عليه السّلام انّه قال للمفضّل بن مزيد مشيرا فى كلامه الى اصحاب ابى الخطّاب و الغلاة: «يا مفضّل لا تقاعدوهم و لا تؤاكلوهم و لا تشاربوهم و لا تصافحوهم و لا تؤاثروهم» «۱».

و فى رواية أخرى منقولة عن ابى عبد اللّه عليه السّلام انه قال: «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، الغلاة شر خلق اللّه يصغّرون عظمة اللّه و يدّعون الربوبية لعباده» «۲».

۲- تكذيب عقائد الغلاة:

دأب الامام على رفض و استنكار عقائد الغلاة مستهدفا بذلك ابعادهم عن

---

(۱) الطوسى، اختيار معرفة الرجال ج ۲ ص ۵۸۶ حديث ۵۳۵/ مستدرك الوسائل، ج ۱۲ ص ۳۱۵.

(۲) أمالى الشيخ، ج ۲ ص ۲۶۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۶

المجتمع الشيعى، فحدد الامام كتاب اللّه باعتباره الميزان الذى يميز الحق عن الباطل، و هو فى نفس الوقت الذى انبرى فيه لتسفيه معتقدات المغالين، اوجد حركة فكرية مناسبة بين الشيعة فى سياق تصحيح احاديث و عقائد الشيعة.

ينقل الشهرستانى بأن سديرا الصيرفى جاء الى الامام الصادق عليه السّلام و قال له:

«بنفسى أنت، ان شيعتك اختلفوا فيك و يصرّون على ذلك، فمنهم من يقول ان كل ما يحتاج إليه الامام لهداية الناس يلقى إليه، و بعضهم يقول: يوحى إليه، و بعضهم يقول: يلهم قلبه، و يقول جماعة آخرون: يرى فى المنام، و يقول جماعة آخرون: يفتى على كتابات آبائه فاى هذه الآراء صحيح فدتك نفسى؟

فقال له الامام: «يا سدير ليس من هذه الاحاديث حديث صحيح، فنحن حجج اللّه و امناؤه على عباده و نأخذ الحلال و الحرام من كتاب اللّه» «۱».

تظهر الرواية السالفة كيف اثّرت العقائد المغالية على الشيعة، و اوجدت بينهم الانقسامات حتى اختار طلاب الحقيقة وسط هذا المعترك فوجدوا فى الامام الصادق عليه السّلام الملاذ الوحيد الذى يمكن الاطمئنان إليه، فيقوم بارشادهم كما ينبغى.

و ينقل الشهرستانى رواية أخرى تعكس وجود نفس هذا الاختلاف الفكرى بين الشيعة فقد جاء الفيض بن المختار الى الامام الصادق عليه السّلام و قال له:

«بنفسى أنت، ما هذا الاختلاف الذى وقع بين شيعتك؟ فانى احضر فى مجلسهم احيانا فأوشك على الشك فيكم، ثم اذهب الى المفضل فيطرح علىّ بعض النقاط التى تعيد لى الثقة و السكينة.

---

(۱) تفسير الشهرستانى المخطوط، الورقة ۲۵، نقلا عن آذرشب، مجلة تراثنا، العدد ۱۲ ص ۱۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۷

فقال له ابو عبد اللّه عليه السّلام: نعم ان الناس قد اصبحوا ميّالين للكذب و كأن اللّه قد اوجبه عليهم و لا يريد منهم سواه. فأنا احدثهم

بالحديث فما يخرجون من عندى الّا و يؤوّلونه على غير معناه الصحيح» «۱».

يعكس القسم الاخير من الرواية مشكلة اختلاف وجهات النظر بين الشيعة و التى اشرنا إليها فى البداية باسم الانحراف. فنفوذ بعض الافكار الالحادية للغلاة بين بعض اتباع الامام دفعهم الى تأويل احاديثه تأويلا غير صحيح خلق مشاكل بين الشيعة، بحيث ان عددا معدودا من الاصحاب الحقيقيين للامام كان باستطاعتهم أن يكونوا مرجعا لحل تلك المشاكل مثل المفضل.

و جاء فى رواية أخرى ان عيسى الجرجانى قال: قلت للامام جعفر بن محمد عليه السّلام هل لى ان اعرض عليك ما سمعته من هذه الجماعة؟ قال: قل. فقلت له:

«فان طائفة منهم عبدوك و اتخذوك الها من دون اللّه، و طائفة أخرى والوا لك بالنبوّة. قال فبكى حتى ابتلت لحيته ثم قال: «ان امكننى اللّه من هؤلاء فلم اسفك اللّه دم ولدى على يدىّ» «۲».

و كانت مهدوية الامام الباقر عليه السّلام من جملة ما تخرّصت الغلاة فى عهد الصادق عليه السّلام به و قد استنكرها الامام بشدّة «۳». و قد طرحت قضية نبوّة الائمة المعصومين من قبل الغلاة أيضا، و ردّ عليها الائمة، فقد نقل عن الامام الصادق عليه السّلام انه قال بهذا الشأن «من قال إنّا انبياء فعليه لعنة اللّه و من شك فى ذلك فعليه

---

(۱) الشهرستانى نفس المصدر ص ۲۶/ تراثنا، العدد ۱۲ ص ۱۸.

(۲) السهمى- تاريخ جرجان ص ۳۲۲.

(۳) الطوسى- اختيار معرفة الرجال ص ۳۰۰.

لعنة اللّه» «۱».

و من المعتقدات الاخرى المتطرفة للغلاة هى اطلاقهم كلمة (إله) على الامام و قالوا: «هو الذى فى السماء إله و فى الارض إله» قال: «هو الامام».

و قد اعتبر الصادق عليه السّلام القائلين بهذا الرأى شرّ من المجوس و اليهود و النصارى «۲».

و جاء فى رواية اخرى ان فنّد قول الغلاة «على فى السحاب» و قال: «ان النبى قد غطّى عليا بعباءة اسمها السحاب ۲، و لما جاء بها مع آله الى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: هذا علىّ قد اقبل فى السحاب» «۳».

القضية الاخرى المهمة التى كان يستند إليها الغلاة هى اعطاؤهم صفة الالوهية للائمة و رفعهم من مقام العبودية للّه، لكن الامام الصادق عليه السّلام قال فى دحضه لهذه المقولة: «لعن اللّه من قال فينا ما لا نقوله فى انفسنا، و لعن اللّه من ازالنا عن العبودية للّه الذى خلقنا و إليه مآبنا و معادنا و بيده نواصينا» «۴».

۳- تكفير الغلاة:

لقد كفّر الامام عليه السّلام قادة الغلاة و اتباعهم و فصل بذلك بين خطّهم و خط شيعته، و بهذا الموقف تمكّن الامام من تعيين المسار الذى ينبغى ان يسلكه الشيعة و انقذهم من التلوّث و الانحراف الذى كان ينفث نحوهم من قبل اولئك المغالين.

---

(۱) نفس المصدر ص ۳۰۱.

(۲) نفس المصدر ص ۳۰۰.

(۳) الذهبى، ميزان الاعتدال ج ۳ ص ۹۸.

(۴) نفس المصدر السابق ص ۳۰۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۹

كان التجسيد او التجسيم واحدا من ادوات الغلاة فى تحليل المفاهيم الدينية، فهم لم يطلقوا المفاهيم الدينية على مصاديقها الحقيقية، بل كانوا يتصورون امثلة تجسد معانيهم المفترضة و قد ادى مثل هذا الاتجاه الفكرى- الذى يعد انحرافا جليا فى الدين و اقصاء له عن حقيقته- الى ان يستنكره الامام الصادق عليه السّلام. إذ جاء فى رواية انه كتب كتابا الى ابى الخطاب و هو من زعماء الغلاة ورد فيه:

«بلغنى انك تزعم ان الزنا رجل و ان الخمر رجل و ان الصلاة رجل و ان الصيام رجل و ان الفواحش رجل، و ليس هو كما تقول انّا اصل الحق و فروع الحق طاعة اللّه، و عدوّنا اصل الشر و فروعهم الفواحش» «۱».

و جاء فى رواية اخرى انه كلّم بعض الغلاة فقال لهم: «توبوا الى اللّه فانتم فساق كفار مشركون» «۲».

ان تأكيد الامام على استنكار و ادانة الغلاة كان بسبب اتساع عملهم الدعائى و تأثيرهم على فئة كبيرة من اهل الكوفة، و قد ادّى وجود التقية آنذاك فى اغلب تصرّفات الشيعة الى أن يتصور الكثير منهم ان الامام قد ادانهم فى الظاهر و لكنه يؤيدهم فى الباطن و انه هو الذى رتب لهم الامور و اظهرهم الى الوجود.

و قد ضاعف هذا التصوّر من معاناة الامام بشأن فرز و ابعاد الغلاة من الاوساط الشيعية.

و قد كان الغلاة عادة يروّجون لمثل هذه المعتقدات لاسباب و دوافع خاصة نجملها بالنقاط التالية:

---

(۱) نفس المصدر ص ۲۹۱.

(۲) نفس المصدر ص ۲۹۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۰

۱- التحرر من قيود العمل و بنفس الشكل الذى قالت به المرجئة فى وقت من الاوقات. فهم يروون حديثا عن الامام الصادق عليه السّلام انه قال: «من عرف الامام فليفعل ما شاء» «۱».

الّا ان الامام رد عليهم قائلا: «إنمّا قلت اذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير و كثيره فانّه يقبل منك».

فعند ما يخرج الخمر و الصوم و الصلاة عن معانيها الفقهية، لا تعود هناك اية ضرورة للالتزام بالعمل بها، و لذا فانهم كانوا يختبرون الغلاة باداء الصلاة فى وقتها «۲».

و دعوى ان الغلاة جعلوا من هذه المسائل ذريعة للتهرب من العمل غير مجازفة بل قد وردت فى رواية مطولة ضمن كتاب بعثه الامام الصادق الى بعض اصحابه، و قد روى هذا الحديث القاضى النعمان «۳».

و هذا الحديث نقله الشهرستانى بتفصيل اكثر، و جاء فى روايته ان الامام ذكر فى احدى فقرات كتابه ما يلى:

«و اعلم ان هؤلاء القوم سمعوا ما لم يقفوا على حقيقته و لم يعرفوا حدود تلك الاشياء مقايسة برأيهم و منتهى عقولهم و لم يضعوها على حدود ما أمروا به تكذيبا و افتراء على رسوله و جرأة على المعاصى».

و من ثم بين الامام اساس هذا الانحراف و هو ان التأكيد المتواصل من قبل

---

(۱) اصول الكافى ج ۴ ص ۴۶۴ ط. غفارى.

(۲) الطوسى نفس المصدر ص ۵۳۰.

(۳) ابو زهرة الامام الصادق، ص ۵۸- ۵۹ نقلا عن دعائم الاسلام.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۱

الامام الصادق عليه السّلام و بقية الائمة المعصومين عليهم السّلام على موضوع معرفة الامام، ادى بهم الى تصور أن الدين يتلخص فى معرفة الامام فتركوا العمل بتعاليمه جانبا.

و لهذا فقد اشار الامام فى مقاطع أخرى من نفس الكتاب الى هذا الموضوع ثانية و جعل العمل بالاوامر الالهية الى جانب معرفة اللّه و النبى و الامام و قال:

«ان اللّه تبارك و تعالى اختار الاسلام لنفسه دينا و رضيه من خلقه فلم يقبل من احد الّا به، و به بعث انبياءه و رسله، فمعرفة الرسل و ولايتهم و طاعتهم هو الحلال، فالمحلل ما احلوا و المحرم ما حرموا و هم اصله و منهم الفروع و الحلال و ذلك سعيهم، و عدوّهم هو الحرام المحرم، و اولياؤهم الداخلون فى امرهم الى يوم القيامة، فهم الفواحش ما ظهر منها و ما بطن» «۱».

۲- الغباء و حب الدنيا هو أيضا واحد من اسباب ظهور الغلاة «۲» حيث سعى الغلاة الى جمع الناس حولهم تحت ستار المذهب الحق ليبلغوا بذلك غاياتهم و اغراضهم، يقول الامام الصادق عليه السّلام فى هذا السياق:

«ان الناس اولعوا بالكذب علينا و انى لاحدث احدهم بحديث فلا يخرج من عندى حتى يتأوله على غير تأويله و ذلك لأنهم لا يطلبون بحديثنا و بحبنا ما عند اللّه و انما يطلبون الدنيا» «۳».

لقد ترك انتشار افكار الغلاة ضرره على الشيعة، و خلق اجواء من السخط ضدهم ناهيك عن تأليب اهل السنّة ضد الشيعة و العمل على تحجيمهم- بهدف

---

(۱) تفسير الشهرستانى، راجع مقالة آذرشب فى مجلة تراثنا، العدد ۱۲ ص ۱۸/ بحار الانوار ج ۲۴ ص ۲۸۶ - ۳۸۹ نقلا عن الشهرستانى.

(۲) الطوسى، نفس المصدر ص ۲۹۵.

(۳) الطوسى، نفس المصدر السابق ص ۱۳۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۲

تحجيم الغلاة- حتى ان ابا حنيفة كان يوصى اتباعه بعدم رواية حديث الغدير منعا لانتشار الغلو «۱».

اعتماد الفقه الشيعى على روايات اهل البيت عليهم السّلام

كان عصر الامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام هو عصر انتشار علوم اهل البيت فى مختلف المجالات. و هذه المسألة تصدق على الامام الصادق عليه السّلام اكثر من غيره، و ذلك يعود الى تزامن جزء من عهد امامته مع اجواء من الانفتاح السياسى نتيجة للفراغ السياسى الذى نشأ من سقوط الحكم الأموى من جهة، و مجيء الحكم العباسى من جهة أخرى. فقد جعل الامام الشيعة يلتفون بشكل تام حول احاديث اهل البيت و نهاهم عن التمسك بأحاديث غيرهم. و كان هذا من اهم العوامل فى تشكل الفقه الشيعى بصورته المستقلة الاصيلة. و قد اوضحنا اهمية هذا الامر الى حد ما سابقا فى حياة الامام الباقر عليه السّلام. و مع هذا فسوف نلقى فيما يلى نظرة عامة على تأكيدات الامام الصادق عليه السّلام فى هذا الجانب:

قال الامام فى رواية: «ايّتها العصابة، عليكم بآثار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سنّته و آثار الائمة الهداة من اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» «۲».

و قال أيضا ليونس بن ضبيان: «يا يونس ان اردت العلم الصحيح فعندنا اهل البيت، فانّا ورثنا و أوتينا شرح الحكمة و فصل الخطاب» «۳».

---

(۱) أمالى الشيخ المفيد ص ۲۷. يحتاج البحث فى موضوع الغلاة الى دراسة مستقلة و هذا ما لا يستوعبه مثل هذا المختصر، نأمل القيام بهذه المهمة فى الفرصة المناسبة ان شاء اللّه.

(۲) وسائل الشيعة، ج ۱۸ ص ۲۳ و ۶۱ نقلا عن روضة الكافى ص ۵.

(۳) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۳

و قد خصص الشيخ الحر العاملى فى كتابه (وسائل الشيعة) بابا تحت عنوان (باب وجوب الرجوع فى جميع الاحكام الى المعصومين)، جمع فيه احاديث اهل البيت فى هذا الجانب «۱».

قال ابان بن تغلب- و كان من الشيعة الصادقين المخلصين للامام الصادق عليه السّلام- فى وصف المذهب الشيعى ما يلى: «الشيعة الذين اذا اختلف الناس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اخذوا بقول على و اذا اختلف الناس عن على اخذوا بقول جعفر بن محمد» «۲».

قال يونس بن يعقوب للامام الصادق عليه السّلام: «انى سمعتك تنهى عن علم الكلام، فقال له الامام: إنّما قلت ويل لهم ان تركوا ما اقول و ذهبوا الى ما يريدون» «۳».

و من هذا المنطلق كان الامام يوصى شيعته بمساعدة بعضهم الآخر، و يقول:

«رحم اللّه من احيا امرنا» «۴».

كان الامام الصادق عليه السّلام ينقل رواياته لتلاميذه و كانوا- بشيعتهم و سنّتهم- يكتبونها مع فارق واحد و هو أن اهل السنة كانوا ينقلون الحديث عن جعفر بن محمد عن ابيه عن آبائه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعبارة أخرى ينقلون الحديث عنه مع ذكر السند، بينما كان تلامذته من الشيعة ينقلونه عن ابى عبد اللّه دون بقية السند الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لأنّ اعتقاد الشيعة بعصمة و امامة الائمة و حجّية قولهم

---

(۱) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۱.

(۲) رجال النجاشى، ص ۹ ط داورى.

(۳) الكافى ج ۱ ص ۱۷۱، وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۵.

(۴) على سبيل المثال راجع كتاب تاريخ جرجان ص ۵۷۱، ۴۰۵ و ۲۶۵، ۱۷۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۴

يغنيهم عن ذكر السند، و مع كل هذا فقد كان الامام يؤكّد بأن احاديثه هى نفس احاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «حديثى حديث ابى و حديث ابى حديث جدّى و حديث جدّى حديث على بن ابى طالب و حديث على حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قول اللّه» «۱».

و جميع احاديث ائمة الشيعة تقريبا لها نفس هذا الحكم الّا ما كانت الضرورة تقضى بنقله عن شخص آخر. قيل لأبى بكر بن عيّاش لم تستمع الحديث من جعفر بن محمد مع انك ادركته؟ قال: سألت جعفر بن محمد عن الاحاديث التى كان ينقلها هل سمع شيئا منها- اى هل لها شيوخ حديث-؟ قال: لا، لكنّها رواية رويناها عن آبائنا» «۲».

اهمية هذا النقل ذات قيمة كبيرة جدا و هو فى الحقيقة يوضح ماهيّة عقائد الشيعة من حيث المبدأ. يقول ابن عدى:

«و لجعفر بن محمد حديث كبير عن ابيه عن جابر و عن ابيه عن آبائه و نسخا لأهل البيت يرويه جعفر بن محمد» «۳»، و يضيف ان اشخاصا مثل ابن جريح و شعبة بن الحجاج و آخرين يروون عنه أيضا.

و قد حاول ابو زهرة جاهدا العثور على شيوخ رواية يربط من خلالهم بين الصادق عليه السّلام و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيجعل منهم قناة فى ايصال و نقل الاحاديث من غير قناة اجداده الطاهرين، لكنه لم يذكر كمثال على ذلك سوى اسم قاسم بن

---

(۱) كشف الغمة ج ۲ ص ۱۷۰/ الكافى ج ۱ ص ۵.

(۲) تهذيب الكمال ج ۵ ص ۷۷/ الكامل فى ضعفاء الرجال ج ۲ ص ۵۵۵. الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج۱ ۲۷۴ اعتماد الفقه الشيعى على روايات اهل البيت عليهم السلام ..... ص : ۲۷۲

(۳) الكامل فى ضعفاء الرجال، ج ۲ ص ۵۵۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۵

محمد بن ابى بكر «۱».

اما اذا افترضنا انّ الامام الصادق عليه السّلام- كما فى كتاب تذكرة الحفّاظ حيث ذكر كل واحد منهم عشرة اشخاص على الاقل كمشايخ لروايته- كما يفعل سائر المحدّثين الكبار فى ذلك العصر، فينقل الاحاديث عن طريق شيوخ الرواية و دون الطريق المتعارف عن اجداده عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقد كان ينبغى له ان يذكر مشايخ روايته بينما نرى انه ينقل الاحاديث عن طريق اجداده فقط و هم ممن لا يمكن اعتبارهم شيوخ رواية.

لقد اكد ائمة اهل البيت منذ البداية ان ليس لديهم شيوخ رواية، و انهم يستقون علمهم عن طريق آخر غير طريق مشايخ الرواية المتعارف يقول امير المؤمنين عليه السّلام فى تبيان هذا الموضوع: «الا أن ابرار عترتى و اطائب ارومتى احلم الناس صغارا و اعلمهم كبارا الا و انّا اهل البيت من علم اللّه علمنا و بحكم اللّه حكمنا و من قول صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحقّ من تبعها لحق و من تأخر عنها غرق» «۲».

و قال الامام الصادق عليه السّلام: «ان عندنا ما لا نحتاج معه الى الناس و ان الناس ليحتاجون إلينا و ان عندنا كتابا املاه رسول اللّه و خطه على عليه السّلام صحيفة فيها كل حلال و حرام» «۳».

هذا التناسق و التناغم الموجود فى كتب الاحاديث الشيعية لا يوجد له نظير

---

(۱) الامام الصادق، ابو زهرة، ص ۸۸- ۹۰.

(۲) العقد الفريد، ج ۴ ص ۶۷. نقلا عن كتاب الامام الصادق لمحمد جواد فضل اللّه ص ۹۰.

(۳) الكافى ج ۱ ص ۲۴۱ نقلا عن كتاب الامام الصادق لفضل اللّه ص ۹۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۶

مطلقا فى كتب حديث السنّة لان كتبهم مشحونة بالآراء المختلفة و الاحاديث المتناقضة التى تعود فى الاساس الى الاختلاف و التناقض فى آراء الصحابة. و على هذا فمن غير الانصاف وصف الشيعة عند الحديث عنهم بانهم نحلة مركّبة من آراء و افكار مختلفة تسللت إليه الكثير من الاوهام و الاباطيل «۱».

و لذلك فعند ما اراد الامام الصادق عليه السّلام تقييم علوم محدثى العامّة فى زمانه قال: «ان الناس بعد نبى اللّه ركب اللّه به سنّة من كان قبلكم فغيّروا و بدّلوا و حرّفوا و زادوا فى دين اللّه و نقصوا منه فما من شىء عليه الناس اليوم الا و هو متحرف عمّا نزل به الوحى من عند اللّه» «۲».

و قد نفذت روايات ائمة الشيعة فى فقه السنة أيضا و نقل الكثير من محدثيهم روايات عن الامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام و بعضها مدروج فى جوامع احاديثهم و توجد أيضا فى كتب السنّة الكثير من الروايات التى تشابه روايات اهل البيت من ناحية اللفظ او

من ناحية المضمون «٣».

و الحقيقة ان مثل هذا الطريق فى الحديث الذى نقل عن الامام الصادق فى مثل هذه الموارد التى لم يطرح بشأنها اى حكم لحد الآن، اظهرت حاجة اهل السنّة الى الاجتهاد فى العصر الحالى ليبدأ بعملية استنباط من الروايات و الحصول على احكام جديدة.

و المشكلة الاساس التى كانت تواجه اهل السنّة تتمثل فى قلّة مصادر

---

(١) ابو زهرة، الامام ابو حنيفة ص ١١١.

(٢) الطوسى نفس المصدر ص ١۴٠.

(٣) راجع كتاب الشيخ محمد قانصوة، الروايات المشتركة، طبعة قسم العلاقات الدولية فى منظمة الاعلام الاسلامى.

الحديث عندهم «١» و بالاضافة الى ذلك فان المقدار الموجود منها كان مخزونا فى ذاكرة بعض الاشخاص من المؤرخين على مدد متعددة و متباعدة مع ما كان يوجد بين تلك الروايات من اختلاف فى المحتوى، و هذه الروايات نفسها كانت سببا فى مضاعفة المشكلة و قد حلّت هذه المشكلة المستعصية فيما بعد- الى حد ما- عند ما اعتبر علماء اهل السنّة افعال الخلفاء و الصحابة و حتى التابعين شرعية.

أما مدى انسجام هذا العمل مع المبانى الدينية و العقلية فهى مسألة أخرى طبعا، و قد وردت عن الامام الصادق عليه السّلام رواية جميلة تشير الى ضعف الاحاديث عند غير الشيعة و هى كما يلى:

«يظنّ هؤلاء الذين يدّعون انهم فقهاء علماء انهم قد اثبتوا جميع الفقه و الدين مما يحتاج إليه العامة و ليس كلّ علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علموه و لا- صار إليهم من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا عرفوه، و ذلك ان الشىء من الحلال و الحرام و الاحكام يرد عليهم فيسألون عنه و لا يكون عندهم فيه اثر عن رسول اللّه» «٢».

و هذا الضعف فى روايات اهل السنّة و اتكاؤهم على عمل الصحابة و التابعين ادى بشكل طبيعى الى ضعف بنائهم الفقهى، لأن اختلاف الآراء و الاذواق بين الصحابة و التابعين كان على درجة من الكثرة يصعب معها جدا جمع الآراء و الفتاوى، فقد كتب ابو زهرة عن العصر الذى عاش فيه كل من ابى حنيفة و الامام الصادق عليه السّلام ما يلى:

«لقد كثر المأثور من فتاوى الصحابة فى ذلك العصر كثرة عظيمة شغلت

---

(١) و السبب الاساسى فى ذلك يعود الى عدم السماح للناس بتدوين الحديث بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(٢) تفسير العياشى، ج ٢ ص ٣٣١ ط الاسلامية/ وسائل الشيعة ج ١٨ ص ۴٠.

عقول الفقهاء و اتخذوها نبراسا فى اجتهادهم فتأثروا بها فى اجتهادهم» «١».

و علاوة على استناد فقهاء اهل السنة الى سيرة الصحابة و التابعين، نجدهم قدّموا أيضا مصادر أخرى للحكم و الفتوى اهمها طريقة القياس. و قد تذرّع احد علماء السنّة عن سبب تمسكه بالقياس فقال انه نقص النصوص «٢». و هذا ما كان يصرّح به الامام الصادق عليه السّلام فى ذلك الزمان، فقال مشيرا الى الضعف فى مجال الروايات عند اهل السنة «و يستحيون ان ينسبهم الناس الى الجهل و يكرهون ان يسألوا فلا- يجيبون فيطلب الناس العلم من معدنه فلذلك استعملوا الرأى و القياس فى دين اللّه و تركوا الآثار و دانوا بالبدع» «٣».

يشير الامام فى الرواية السالفة الى سبب اتجاه السنّة نحو الرأى و القياس و يحدده بضعفهم فى مجال الحديث و الرواية، و هذا التوجّه

هو سبب اعراضهم عن الروايات.

و فى الحقيقة ان تشبثهم بالرأى و القياس لسد النقص الحاصل لديهم فى الحديث ادّى الى ان يفقد التعبد بالنص قيمته تقريبا ليحل محله الرأى و القياس كمصدر للحكم و الفتوى. و ان فقها كهذا و بمثل هذه المصادر لا يمكن أن يكون فقها اصيلا متطابقا مع الآثار و الاخبار.

لقد وقف الامام الصادق عليه السّلام موقف المعارض لمثل هذا المذهب الفقهى، و خصّص الجزء الاكبر من نشاطه الثقافى لمعارضته اسلوب الرأى و القياس حيث

---

(۱) الامام ابو حنيفة ص ۱۰۵.

(۲) مصطفى احمد الزرقاء، المدخل الفقهى العام ج ۱ ص ۷۴ نقلا عن مجلة نور العلم العدد ۱۰ ص ۵۵.

(۳) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۹

نقلت عنه روايات عديدة فى هذا المجال سنشير الى بعضها فى الفقرات القادمة.

و كان ابو حنيفة من جملة المتمسكين بالرأى و القياس و يبدو أنه سبق الآخرين فى هذا المضمار حتى ان مذهبه الفقهى فى العراق كان معروفا بمذهب الرأى، و مردّ ذلك هو عدم اعترافه بصحّة الروايات المنقولة عن طريق اهل السنّة.

يقول ابن خلدون بشأن مجموع الروايات التى يقبلها (ابو حنيفة) هى ۱۷ رواية او ما يقارب ذلك.

و كذلك مالك فانه يقبل ۳۰۰ حديث فقط و يعتبرها صحيحة «۱».

و يقول ابو بكر بن داود: تبلغ الاحاديث التى رواها ابو حنيفة مائة و خمسون حديثا «۲».

و كان توجّه ابى حنيفة نحو الرأى و القياس و ترك العمل بالنصوص يعزى الى سببين:

۱- عدم اعترافه بصحة الروايات الموجودة مما حدا به الى عدم نقلها و التمسك بها.

۲- منذ أن اتّجه الى الرأى و القياس، بدا له ان مثل هذه المصادر تغنيه حتى عن النصوص، فترك حتى ذلك المقدار الذى كان يؤمن بصحته، و عدل الى الرأى و القياس تماما.

و كان مركز انتشار مذهب الرأى هو العراق، و هو الاقليم الذى كان يتواجد

---

(۱) مقدّمة ابن خلدون ص ۴۳۴ ط بيروت.

(۲) تاريخ بغداد ج ۱۳، ص ۴۱۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۰

فيه الشيعة بكثرة أيضا و لذلك بدا اصطدام الشيعة و اصحاب الرأى امرا لا مفر منه، و فى نفس هذا السياق كان الامام الصادق عليه السّلام يبذل كل مساعية لنقض مبدأ الرأى و القياس و الاستحسان.

و ورد فى الرواية المشهورة عن المناقشة التى جرت بين الامام الصادق عليه السّلام و ابى حنيفة، بان الامام حذّره من القياس فى الدين و ذكر له عدّة موارد لا يمكن استخدام القياس فيها بأى شكل من الاشكال.

فقد سأله الامام عليه السّلام: أيّهما اعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس.

قال عليه السّلام: فان اللّه عز و جل قد قبل فى قتل النفس شاهدين و لم يقبل فى الزنا إلّا اربعة، ثمّ أيّهما أعظم الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة. قال عليه السّلام: فما بال الحائض تقضى الصيام و لا تقضى الصلاة فكيف يقوم لك القياس.

و ذكرت امثلة أخرى من هذا القبيل فى روايات أخرى «۱». و بهذا اثبت الامام كيف ان القياس يوقع الفقيه فى آراء و فتاوى مناقضة للاحكام المسلّمة فى الاسلام. و قد نقل هذه الرواية موفق المكّى فى كتاب مناقب ابى حنيفة و بشكل يظهر و كأنّها جرت بين ابى حنيفة و الامام الباقر عليه السّلام و ليس الامام الصادق عليه السّلام و يظهر كذلك كأنّ ابا حنيفة هو الذى يضرب هذه الامثلة للامام الباقر عليه السّلام، و يريد ان يثبت من خلال اعتراض الامام انه لا يعتقد بمبدإ القياس «۲».

لقد كان الامام يمنع اصحابه من مجالسة اهل الرأى اذا كان يؤثر على

---

(۱) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۳۰/ الاحتجاج ص ۱۹۶ ط النجف/ وفيات الاعيان ج ۱ ص ۴۷۱.

(۲) راجع كتاب ابو زهرة، الامام ابو حنيفة ص ۶۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۱

افكارهم «۱»، و قد وردت روايات كثيرة تظهر استنكار الامام للعمل بمبدإ القياس «۲». و ما كان الامام يخفى قلقة الشديد من اولئك الذين كانوا ينقلون عنه الحديث و يعملون بالقياس.

قال داود بن سرحان، سمعت الامام الصادق عليه السّلام يقول: «انّى لاحدّث الرجل بالحديث و انهاه عن الجدال و المراء فى دين اللّه و انهاه عن القياس فيخرج من عندى فيتأول حديثى على غير تأويله» «۳».

و من المؤكد لو أن الامام الصادق عليه السّلام لم يقف بوجه القياس و اصحابه و مبتدعيه لتأثر فقه الشيعة- الذين لم تكن تفصلهم عن اصحاب الرأى فى العراق سوى فاصلة قصيرة- و لفقد اصالته، لكننا نرى العكس من ذلك، حيث بقى فقهاء شيعة العراق يتعبدون بالنص الى حد كبير و جعلوه اسلوبهم الدائم فى استنباط الاحكام و ظلوا يبيّنون الاحكام الفرعية على مرّ الزمن وفقا لتلك النصوص، و قدّموا مذهبا فقهيا غنيا و مثيرا و ذا اصول و قواعد متينة و هو عمل ادّى الشيخ الطوسى دورا اساسيا فى تكوينه فى (المبسوط).

و اما ما يخص موضع السند فقد وجد اهل السنة انفسهم امام مصاعب جمّة و لهذا لم يعتمد عليه ابو حنيفة لكون اكثر طرق الحديث ما كانت من النوع الذى يطمأن إليه و الخلاصة هى ان الفقه غير الشيعى يستند الى مجموعة ناقصة من الاحاديث التى لا يعتمد عليها.

---

(۱) المحاسن ص ۲۰۵ الحديث ۳۵۶/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۱۶.

(۲) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۲۳- ۲۹/ الكافى ج ۱ ص ۵۸/ علل الشرائع ج ۱ ص ۸۲/ رجال الكشى ص ۱۸۹.

(۳) الطوسى، اختيار معرفة الرجال ص ۱۷۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۲

لكن الشيعة المعتقدين بعصمة الائمة و على رأسهم الامام امير المؤمنين عليه السّلام لم تكن لديهم ايّة مشكلة فى هذا الصدد، و حتى الكثير من علماء اهل السنة لم يكن لديهم اى شك فى هذا. و ابو حنيفة نفسه يؤمن بصحّة عدد كبير من الاحاديث التى وردت عن طريق اهل البيت «۱».

حتى انّه سمع فى احد الايّام حديثا عن الامام الصادق عليه السّلام و لما خرج من عنده سئل: «لما ذا لم تسأل جعفر بن محمد عن السند الذى نقل إليه الحديث عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قال: ما ذا اقول لرجل يقول قال رسول اللّه؟» «۲».

و المصدر الذى كان يستند إليه الشيعة كان مقبولا لدى السنة أيضا لأن الامام الصادق عليه السّلام كان ينقل الاحاديث عن طريق آبائه و مردّها النهائى الى امير المؤمنين عليه السّلام ثم الى شخص الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقد بقى امير المؤمنين لسنوات متمادية فى محضر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كان فقيها و محدثا معتمدا من جميع الفقهاء و المحدثين.

و فى عهد بنى أمية اندرست الآثار المتبقية من امير المؤمنين عند غير الشيعة، و لم يحفظ تراثه و آثاره غير اهل بيته حيث تناقله ابناؤه

و شيعته يدا عن يد و جيلا بعد جيل.

يشير ابو زهرة الى زوال الكثير من اقوال امير المؤمنين فى عهد بنى أميّة قائلا: «من غير المعقول ان يسبّوا عليا على المنابر و يتركون احاديثه شائعة و متداولة بين الناس باعتبارها مصدرا ثرّا و غنيا بالعلوم الاسلامية .. و لذلك بقيت

---

(۱) راجع كتاب الآثار لما سئل احمد بن حنبل عن السند عن موسى بن جعفر بن محمد عن محمد بن على عن على بن الحسين عن الحسين بن على عن على بن ابى طالب عن النبى قال: هذا اسناد لو قرء على المجنون لأفاق، مناقب ابن شهرآشوب ج ۲ ص ۳۷۸.

(۲) أمالى المفيد ص ۲۱- ۲۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۳

علومه بين اهل بيته فقط».

و بناء على ما مرّ ذكره بقيت روايات امير المؤمنين عليه السّلام محفوظة باكملها عند اهل بيته، و ابناؤه هم الذين نقلوا احاديثه التى رواها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كذلك فقهه و فتاواه «۱». و الحديث المنقول عن هذا الطريق لا يقاس بايّ سند آخر، فشخصية الائمة عليهم السّلام اسمى و ارفع علميا و اخلاقيا من اية شخصية أخرى وفقا لابسط المقاييس الموجودة عند اهل السنة. و لهذا السبب كان العجلى- و هو من قدماء رجال الحديث عند اهل السنة- يكتب فى نهاية اسم الامام الصادق عليه السّلام: «جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى اللّه عنهم اجمعين و لهم شيء ليس لغيرهم خمسة ائمة» «۲».

كتابة الحديث فى عصر الامام الصادق عليه السّلام

لقد منعت كتابة الحديث بعد وفاة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الّا ان كراهية كتابة الحديث بقيت سائدة بين الناس الى فترة طويلة، حتى ان بعض محدّثى اهل السنة فى القرن الثالث للهجرة كانوا يمتنعون عن تدوين الحديث «۳».

و فى مقابل هذا النمط، كان اهل بيت العصمة و منذ البداية يشجعون اصحابهم على تدوين الاحاديث و حفظها من الاندراس «۴»، و كان الامام الصادق عليه السّلام شأنه فى ذلك شأن بقية الائمة يؤكد على هذا الامر كثيرا. و رغم ان

---

(۱) ابو زهرة الامام الصادق ص ۱۹۵.

(۲) العجلى، تاريخ الثقات ص ۹۸.

(۳) تذكرة الحفّاظ ج ۱ ص ۴۶۱/ جامع بيان العلم ج ۱ ص ۷۸- ۷۹/ سنن الدارمى ج ۱ ص ۱۱۹- ۲۱۰.

(۴) الطبقات الكبرى ۶ ص ۱۶۸/ تقييد العلم ص ۹۰، ربيع الابرار ج ۳ ص ۲۹۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۴

بعض الاشخاص فى عهده بدءوا بجمع و تدوين الاحاديث لكن الكثير لم يزل فى شك و ريبة من ذلك، و قد اشار ابو زهرة الى أن الامام الصادق عليه السّلام كان من دعاة كتابة الحديث مدّعيا انّ هذا الامر كان شائعا فى تلك الايام، كما ان مالك بن انس الّف كتابه (الموطأ) فى جمع الاحاديث فى ذلك العصر «۱». و لو قبلنا ان مالكا كتب موطأه فى ذلك العصر فان ذلك كان خلافا للمسار العام الذى كان سائدا آنذاك كما هو الحال بالنسبة لأبى حنيفة الذى امتنع عن القيام بايّ اجراء فى هذا الصدد.

فقد روى انه كان يقول: «رأيت رجال الحديث و اخذته عنهم، اما جعفر بن محمد فهو صحّاف». فلما بلغ هذا الكلام الى سماع الامام الصادق عليه السّلام ضحك و قال:

«حقا اننى صحّاف فقد قرأت صحف اجدادى و صحف ابراهيم و موسى» «۲».

و الاستناد الى صحف الآباء يدل على انّه ورث عن آبائه صحفا و هذا تأييد صريح لحقيقة انّ فقه الشيعة يعوّل و منذ عهد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على ركيزة مدوّنة فى الحديث. و فى هذا المضمار نقلت عشرات الروايات فى كتب الشيعة الروائية تشير الى أن الائمة ينقلون الاحاديث للناس من تلك الصحف و كانوا يؤكدون للناس فى بعض الاوقات على ضرورة مشاهدة تلك الصحف «۳».

و جاءت روايات متعددة عن الامام الصادق عليه السّلام يحث فيها اصحابه على كتابة الحديث و هى تظهر أيضا ضعف رغبة الناس آنذاك فى تدوين الاحاديث.

فقد جاء فى رواية انّه عليه السّلام قال: «أكتب و بثّ علمك فى اخوانك فان متّ فورّث

---

(۱) ابو زهرة الامام الصادق، ص ۹۵.

(۲) روضات الجنّات ج ۸ ص ۱۶۹.

(۳) فروع الكافى، ج ۷ ص ۷۷- ۹۵- ۹۸/ مكاتيب الرسول ص ۷۳- ۷۶/ رجال النجاشى ص ۲۵۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۵

كتبك بنيك» «۱».

الامام الصادق و الاحتجاجات الفقهية لأهل السنّة

يختلف المذهب الفقهى الشيعى مع الرؤيا الفقهية عند اهل السنّة فى عدة جوانب.

ففى الفترة التى عاش فيها الامامان الباقر و الصادق عليهما السّلام كان الفقه فى حالة نمو و اتساع و كانت هناك احتجاجات مختلفة تطرح فى مجال تطبيق الاحكام على الموارد الجديدة. و كان الامام الصادق عليه السّلام يؤكد ان آثار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم موجودة بتمامها عند اهل البيت فقط، ففى الوقت الذى ضيّعها الآخرون بقيت باجمعها عندهم من غير أن يمسّها ايّ سوء، يقول الراوى سألت الامام الصادق عليه السّلام:

«اصلحك اللّه اتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الناس بما يكتفون فى عهده؟ قال: نعم و ما يحتاجون إليه الى يوم القيامة. فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ فقال: لا، هو عند اهله» «۲».

الضغط السياسى على الشيعة

لم تتوفر الحرّية السياسة فى عهد الامام الصادق عليه السّلام سوى فى العقد الثالث من القرن الثانى للهجرة، و كانت حرّية نسبية طبعا بقيت خلالها نشاطات الامام و شيعته تحت المراقبة. اما قبل هذه الفترة و ما بعدها فقد كانت اشد الضغوط السياسية تمارس ضد الشيعة على يد بنى اميّة و بنى العباس حيث لم يكن يسمح

---

(۱) كشف الغمة، ابن طاوس، نقلا عن بحار الانوار ج ۲ ص ۱۵۰ كتاب العلم.

(۲) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۶

لهم بالتعبير عن وجودهم. جاء فى الرواية:

قال رجل لأبى جعفر الثانى عليه السّلام: «جعلت فداك ان مشايخنا رووا عن ابى جعفر و ابى عبد اللّه عليهما السّلام و كانت التقية

شديدة فكتبوا كتبهم و لم ترو عنهم، فلمّا ماتوا صارت الكتب إلينا، فقال: حدّثوا بها فإنّها حقّ» «۱».

و هذا التضييق طبعا ادّى الى أن تبقى علوم اهل البيت و فتاواهم متروكة.

فعن ابان بن تغلب، قال: «قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام انى اقعد فى المسجد فيجىء الناس فيسألونى، فان لم اجبهم لم يقبلوا منّى و اكره ان اجيبهم بقولكم و ما جاء عنكم! فقال لى: انظر ما علمت انه من قولهم فاخبرهم بذلك» «۲».

ان تأكيد الامام الصادق عليه السّلام على التقية لهو دليل واضح على وجود مثل هذه الضغوط السياسية. فقد كان خطر الهجوم على الشيعة متوقعا الى درجة ان الامام اعلن ان ترك التقية هو بمثابة ترك الصلاة «۳».

فمن جملة ما قاله الامام للمعلى بن خنيس الذى قتل بيد حكّام ذلك العصر، ما يلى: «يا معلى اكتم امرنا و لا تذعه فانّ من كتم امرنا و لا يذيعه اعزّه اللّه فى الدنيا» «۴».

و على ايّة حال توجد روايات تشير الى انّ الضغط كان شديدا على الشيعة حتى ان احدهم كان يمر على صاحبه فلا ينظر إليه «۵». و جاء فى رواية أخرى عن

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۵۳/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۵۸.

(۲) الطوسى، اختيار معرفة الرجال ص ۳۳.

(۳) مستدرك الوسائل ج ۱۲ ص ۲۵۴/ وسائل الشيعة ج ۹ ص ۴۵۹ و ما بعدها.

(۴) مختصر بصائر الدرجات ص ۱۰۱.

(۵) الطوسى اختيار معرفة الرجال، ص ۳۷۸/ مستدرك الوسائل، ج ۱۲ ص ۲۹۷- ۲۰۰/ وسائل

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۷

جواسيس المنصور ما يلى: «كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق شيعة جعفر فيضربون عنقه» «۱».

و جاء فى تاريخ الواقدى ان المنصور قبض على معتب و هو من غلمان الامام الصادق عليه السّلام فضربه الف سوط الى أن مات «۲».

و فى ذلك العهد كان اتهام اى شخص بالرفض كافيا لزوال حرمة نفسه و ماله فيؤخذ و يعذب «۳».

الامام الصادق عليه السّلام و المسائل السياسية

۱- ثورة زيد:

وقعت فى عهد الامام الصادق عليه السّلام احداث سياسية مهمة كان من جملتها حركة العلويين (قيام زيد بن على، و قيام محمد بن عبد اللّه بن الحسن و اخيه ابراهيم فى الاعوام ۱۴۵- ۱۴۶) و ثورة العباسيين التى تبعها سقوط الحكومة الاموية و سيطرة بنى العباس على مقاليد الامور و ابتعاد العباسيين عن العلويين و هو ما كانت ارضيته قد تهيأت قبل وصول بنى العباس الى السلطة، و هذه من جملة الاحداث التى وقعت فى عهده.

و لا يسعنا المجال لطرح جميع المسائل السياسية و الدينية المهمة التى حصلت

الشيعة، ج ۱۹ ص ۳۲.

(۱) الطوسى نفس المصدر ص ۲۸۲.

(۲) المنتخب من ذيل المذيل، ج ۳ ص ۶۵۲.

(۳) المحاسن ص ۱۱۹/ حياة الامام الباقر عليه السّلام، ج ۱ ص ۱۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۸

للعلويين و العباسيين (بنى هاشم) منذ اوائل القرن الاول للهجرة و بشكل كامل و مفصّل، لكننا سنحاول توضيح المسائل المذكورة فيما يتعلق منها بالامام الصادق عليه السّلام جهد الامكان.

فالولاء الذين كان يحظى به العلويّون- و الفاطميون على وجه الخصوص- بين محبى اهل البيت لم يكن يحظى به العباسيون. و كان لهذا الولاء اسبابه المختلفة من اهمها معاملة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهم. اضافة الى ان مسألة امامة امير المؤمنين و ابنائه- و التى كانت ذات اهمية قصوى بالنسبة للشيعة على اقل تقدير- كانت ترفع من نسبة هذا الحب و الولاء. و كان الفاطميون هم المتبقى الوحيد من نسل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هذا ما كان يعطيهم اهمية خاصة أيضا.

و بعد شهادة الامام الحسين عليه السّلام، كان محمد بن الحنفية يتميز بمقام اجتماعى و سياسى مرموق، الا أن الشخصية العلمية و الاخلاقية للامام السجاد احتلت مكانتها فى المجتمع بالتدريج واضحت الشخصية الوحيدة من اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى تستقطب الانظار. فهو الولد الوحيد من بين ابناء الامام الحسين من على عليه السّلام الذى نجى من واقعة كربلاء الرهيبة. و حال ببقائه دون انقراض ذرية فاطمة بنت الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن طريق الحسين.

كما ان عبد اللّه بن عباس كان من الشخصيات العلمية المعروفة فى صدر الاسلام، و قد ادرك صحبة الرسول و يعد من اكبر و اوثق محدّثى عصره. و الى زمن وفاته (۶۸ ه) لم يقع اى اختلاف بين العلويين و بنى العباس، لكنه ما ان توفى حتى بدأ الاختلاف يدبّ بين الفريقين بالتدريج. ففى اوائل القرن الثانى بدأ العباسيون يفكّرون بالاستقلال عن العلويين و كانوا يدعون الناس سرّا الى انفسهم، و لكن لم يكن يحدوهم كبير امل فى النصر، و ذلك لان الناس كانوا يعتبرون آل على هم

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۹

المتبقى الوحيد من ذريّة النبى، و كان الظلم الذى تعرّضت له هذه العائلة و خصوصا بعد مأساة كربلاء قد رفع منزلتهم الاجتماعية بين الناس الى درجة كبيرة.

و كانت الثورة التى قادها زيد بن على بن الحسين عليه السّلام تأكيدا آخر على اهمية العلويين عند اهل العراق. و مع ان زيدا كان أخ الامام الباقر عليه السّلام، إلّا أن الاهمية العلمية التى كان يحظى بها الامام الباقر فى المجتمع، ادّت الى عدم حصول زيد و حركته الثورية على وقع شديد فى نفوس الناس، رغم كونه من زمرة المحدّثين و موضع اهتمام اهل العراق بسبب كونه علويا.

و فى العام (۱۱۴ ه) ارتحل الامام الباقر عليه السّلام فبدأ الامام الصادق عليه السّلام يستقطب الانظار بصفته الامام السادس من ائمة الشيعة. و فى اواخر العقد الثانى من القرن الثانى للهجرة قرر زيد- بعد سلسلة من المشاحنات و المشاجرات اللفظية مع هشام بن عبد الملك- رفع لواء المعارضة ضد السلطة الحاكمة. فأعلن ثورته فى الكوفة فى صفر من العام (۱۲۲)، و استشهد بعد يومين من المعارك «۱».

و المهم بالنسبة لنا هنا هو موقف الامام الصادق من خروج زيد و من الفرقة المسماة بالزيدية التى اعلنت عن وجودها فى العراق بعد مقتل زيد.

تذكر الروايات الشيعية ان زيدا كان من المعتقدين بامامة ائمة الشيعة و من جملتهم الامامان الباقر و الصادق عليهما السّلام كما نقل عنه انه كان يقول: «جعفر امامنا فى الحلال و الحرام» «۲».

---

(۱) هناك اختلاف حول تاريخ استشهاد زيد.

(۲) الطوسى، نفس المصدر ص ۳۶۱، راجع كتاب رجال النجاشى ص ۱۳۰/ كفاية الاثر ص ۳۲۷/ كريمان سيرة و قيام زيد ص ۴۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۰

و جاء فى رواية عن الامام الصادق عليه السّلام بحق زيد انه قال فيه: «رحمه اللّه اما انه كان مؤمنا و كان عالما و كان صدوقا اما انه لو ظفر لوفى أما انه لو ملك يعرف كيف يضعها» «۱».

و فى هذا الصدد نقلت روايات كثيرة، و لذا لا يمكن التحدّث عن زيد بمعزل عن الامام الصادق عليه السّلام كما لا يستبعد ان يكون زيد و رغم قبوله بامامة الامام الصادق عليه السّلام قد ثار غير ملتفت لاوامره و لا مدّع لخلافة لنفسه، فتزعم بحركته تلك، الثورة ضد بنى أميّة، الذين كان يعتبرهم رمزا للجاهلية، بعد ان دام الصراع و الجدال بينهم و بين عائلته حول موضوع الخلافة الاسلامية الى ما يقارب الثمانين عاما.

و قد وردت عدّة روايات عن الصادق عليه السّلام يخبر فيها مسبقا بشهادة زيد فى محلة الكناسة فى الكوفة «۲».

و جاء فى روايات أخرى ان الامام الصادق عليه السّلام اعلن عن تأييده لزيد فى مقابل بعض الشيعة الذين تبرءوا منه «۳». و قد وردت روايات كلا القسمين فى مصادر اهل السنة. و هى فى نفس الوقت الذى تبعث على الثقة و الاطمئنان الّا انها لا تعكس رضى الامام على مبدأ قيام زيد و خاصّة بسبب ما ورد فى الكافى و بعض جوامع احاديث الشيعة الاخرى من انتقاد لثورة زيد.

و من بعد ثورة زيد و فى اعقاب استيلاء بنى العباس على السلطة انفصل بنو

---

(۱) الطوسى، نفس المصدر ص ۳۸۵.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۱ باب ۲۵/ أمالى الصدوق مجلس ۱۰ ص ۴۰/ تنقيح المقال ج ۱ ص ۴۶۸.

(۳) خطط المقريزى ج ۴ ص ۳۰۷/ فوات الوفيات ج ۱ ص ۲۱۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۱

الحسن عن بنى الحسين بذريعة زيد و ابنه يحيى، و نصبوا لهم رجلا من بنى الحسن يدعى محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على عليه السّلام و التفّوا حوله. و قد التف حول هؤلاء أيضا جماعة من الشيعة اطلق عليهم فيما بعد اسم الزيدية. ثم برزت بين آل جعفر و الزيدية خلافات شديدة و صراعات حادّة جعل الزيدية فيها الامام الصادق غرضا للاتهامات المختلفة.

فقد ورد فى الحديث ان الزيدية اتّهموه بانّه لا يرى الجهاد فى سبيل اللّه فردّهم و قال: «و لكنى اكره ان ادع علمى لجهلهم» «۱».

ب- الامام الصادق و دعوة ابى سلمة و ابى مسلم.

عقد الامام الصادق عليه السّلام العزم على تربية شخصيات من اصحابه عدّوا فيما بعد من بناة التشيع من الناحية الفقهية و من ناحية الاحاديث و الروايات و كانت المساعى السياسية للامام فى تلك الظروف محصورة فى نطاق عدم الرضا عن الحكم القائم، و الاعلان عن انحصار الامامة و قيادة الاسلام باهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. و كان الامام الصادق عليه السّلام يرى انّ المعارضة المسلّحة ضد الحكم من غير توفير المستلزمات الضرورية- خاصة فى الجانب الثقافى- لن يتمخّض عنها سوى الهزيمة و الاندثار. و ان مثل هذا العمل كان يستلزم تحركا شيعيا شاملا يعتقد بالامامة لكى تبدأ الجهود المضادّة للحكومة التى يمكن بلوغ النصر من خلالها، و الّا فان الاجراء الساذج و المستعجل لن يدوم طويلا بل سيتفيد منه الانتهازيون لا اكثر. كما هو الحال بالنسبة لثورة زيد بن على و من بعدها ثورة ابنه يحيى التى قام بها فى خراسان، فقد استغلها العباسيون الى اقصى حدّ و كانوا يشيعون فى

---

(۱) فروع الكافى ج ۱ ص ۳۳۲/ التهذيب ج ۲ ص ۴۳/ وسائل الشيعة ج ۲ ص ۳۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۲

دعاياتهم بأنهم المقصودون بشعار الرضا من آل محمد، و اقترن عملهم هذا بقتل عدد من الطالبيين- كما ذكر بعض المؤرخين- الذين كانوا يدعون لنيابة ابى هاشم بن محمد بن الحنفية.

و قد اتضحت نتيجة هذا الموقف فيما بعد حيث اضحى الفقه الجعفرى نواة لتشيّع قوى. و أخذ يرتفع شامخا يوما بعد آخر، و اما الزيدية و الخوارج الذين انحصر نشاطهم بالجانب السياسى فقط فما لبثوا ان تعرّضت ثقافتهم للاضمحلال و فقدوا شيئا فشيئا ما كانوا يتمتعون به من مكانة قوية نسبيا و انحدروا نحو الافول فكانت النتيجة هى انتصار العباسيين فى تلك المعركة السياسية العسكرية و استيلائهم على مقاليد الامور. فى حين ان الشخص المرشّح عن بنى هاشم كان رجلا من بنى الحسن اسمه محمد بن عبد اللّه و الذى سنتحدث عن ثورته لاحقا.

و اما هنا فسنتناول ذلك الجانب الذى يرتبط بالامام الصادق عليه السّلام و بنى العباس فقط.

لقد كان الدور الأساس لدعوة بنى العباس منحصرا فى شخصين و هما ابو سلمة الخلّال الذى اشتهر بوزير آل محمد «۱» و ابو مسلم الخراسانى، كما سنوضح ذلك فى حينه. و كان شعار الحركة فى بداية الامر هو الرضا من آل محمد، حيث لم تكن اذهان الناس عند سماعهم لهذا الشعار لتنصرف إلّا الى احد العلويين. لكن الضعف السياسى الذى كان يسود العلويين و الجهود المتواصلة لبنى العباس قد غير مسار الاحداث الجارية وراء الستار لصالح الفريق الثانى. كما أن مجريات الامور كانت بيد ابى سلمة الخلّال الذى هيأ للسفّاح و المنصور فى الكوفة، و اخذ البيعة للسفاح من الناس بمجرد سقوط بنى أميّة، الا انه لم يلبث ان اتّهم بالدعوة للعلويين

---

(۱) الوزراء و الكتاب ص ۸۴ كان هو و ابو مسلم من الموالى.

و انه يعمل للمجيء بهم بدل العباسيين، فقتل فى تلك الظروف. و لم تكن الارضية مهيئة امام الصادق عليه السّلام بل ان ذا النفس الزكية (محمد بن عبد اللّه) الذى كان يتمتع بظروف ايجابية من الناحية السياسية لم يستطع الصمود امام العباسيين و مواصلة وجوده. و انطلاقا من هذه الحسابات، لم تكن امام العلويين ايّة فرصة لأى نوع من الجهود السياسية التى تبنى عليها الآمال.

كان الامام الصادق يرى ان دعوة ابى سلمة لا تستند الى ركائز متينة، و لذا ردّ على الكتاب الذى بعثه له ابو سلمة و قال لرسوله: «ابو سلمة شيعة لغيرنا» «۱».

و ذكر بعض الرواة أيضا ان ابا مسلم ارسل كتابا أيضا الى الامام الصادق عليه السّلام فكتب له الامام فى الجواب: «ما أنت من رجالى و لا الزمان زمانى» «۲».

و على كل حال فقد كان موقف الامام حذرا و لم يوافق على ما ورد فى الكتاب و اوصى أيضا عبد اللّه بن الحسن باتخاذ نفس هذا الموقف فيما يخص ابنه محمدا (ذا النفس الزكية).

ان وفاء ابى سلمة للعباسيين، و عدم تركه القطعى لهذا الأمر دليل على عدم جدّية دعوته. و حتى اذا فرضنا اصراره على تلك الدعوة الا أن القيام بمثل هذا الامر مع وجود اشخاص مثل ابى مسلم و العباسيين كان يبدو امرا غير عملى و كان القبول به يعنى الوقوع فى الهلكة.

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۶۹/ الوزراء و الكتّاب ص ۸۶.

(۲) راجع كتاب- حياة الامام الرضا، ص ۴۹.

ج- الموقف تجاه المنصور.

لقد تزامن الردح الاخير من حياة الامام الصادق عليه السّلام مع عهد حكومة المنصور. و كان الامام هو الشخصية المعنوية الوحيدة البارزة بين بنى هاشم «۱».

و كان يتمتع فى زمن المنصور بشهرة علمية عظيمة و اهتمام و تبجيل الكثير من علماء السنّة. و نظرا لما يكنّه المنصور من حقد على العلويين كان من الطبيعى أن يضيق عليه الخناق و لا يتيح له فرصة العيش بحرية. و كان الامام يعتقد- شأنه شأن آبائه- ان الامامة حق خاص به و ان الآخرين قد غصبوها منه، و لم يكن ليخفى مثل هذا الاعتقاد، و كان سلوك بعض اصحابه مثل ابن ابى يعفور فيما يخص كونه واجب الطاعة، يعكس مدى اعتقاد الشيعة الراسخ بهذا المبدأ، يقول الامام الصادق عليه السّلام فى حديث له: «بنى الاسلام على خمسة اشياء: على الصلاة و الزكاة و الحج و الصوم و الولاية.

قال زرارة: فقلت و اى شىء من ذلك افضل؟

فقال: الولاية افضل لأنها مفتاحهن و الوالى هو الدليل عليهن» «۲».

لقد طرحت الولاية هنا بصفتها ركنا يتوقف عليه تطبيق بقية الاركان. و مثل هذا الطرح كان بمثابة ناقوس خطر يهدد المنصور، و لهذا فقد بدأ يتحيّن الفرص حتى يغتال الامام بذريعة ما.

كتب ابن عنبة يقول: «قرر المنصور عدّة مرات قتل الامام، لكن اللّه

---

(۱) ابن عماد الحنبلى، شذرات الذهب ج ۱ ص ۲۲۰/ جهاد الشيعة ص ۱۰۴.

(۲) وسائل الشيعة ج ۱ ص ۷- ۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۵

حفظه» «۱».

و كانت نشاطات الامام فى اغلب الاحيان تجرى فى الخفاء و كثيرا ما كان يؤكد على اصحابه بضرورة كتمان اسرار اهل البيت و قد نقلت عنه فى هذا المضمار روايات كثيرة «۲». و لهذا لم يذكر التاريخ بدقّة كيفية عمل الامام، غير ان قيادة الشيعة- و كما ذكرنا سابقا- كان لها برنامج و نشاط فى الخفاء بحيث ظلّت محافظة على انسجام الامامية.

و كان الامام يرفض- إلّا بالاكراه- التردد على بلاط المنصور، فكان المنصور يلومه على ذلك «۳»، حيث قال له فى احدى المرّات: «لما ذا لا تغشانا كما يغشنا سائر الناس؟ فقال له: ليس لنا ما نخافك من اجله و ليس عندك من امر الآخرة ما نرجوك له. و لا أنت فى نعمة فنهنيك، و لا تراها نقمة فنعزّيك بها، فما نصنع عندك؟» «۴».

و بهذا الاسلوب كان الامام يعبر عن سخطه على حكومة المنصور، و كذلك كان يحذر اصحابه و اتباعه من مجالسة الملوك بهذه المقولة الخالدة: «ايّاك و مجالسة الملوك» «۵».

بل انه حذر العلماء الذين يترددون على بلاط الملوك من عملهم هذا فقال:

---

(۱) عمدة الطالب فى انساب آل ابى طالب ص ۱۹۵ ط النجف.

(۲) مستدرك الوسائل ج ۱۲ ص ۲۹۱- ۳۰۴.

(۳) مستدرك الوسائل ج ۱۲ ص ۳۰۷.

(۴) كشف الغمة، ج ۲ ص ۲۰۸- ۲۰۹/ ابو زهرة الامام الصادق ص ۱۴۱.

(۵) مستدرک الوسائل ج ۱۲ ص ۳۱۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۶

«الفقهاء امناء الرسل، فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السلاطين فاتّهموهم» «۱».

و فى احد الايام سأله المنصور: يا ابا عبد اللّه لم خلق اللّه الذباب؟

فقال: «ليذل به الجبابرة» «۲».

و نقلت روايات اخرى أيضا عن الامام الصادق عليه السّلام كقوله: «لا تحاكموا الى الطاغوت».

و هى تعكس نمط سلوكه مع السلطة الحاكمة. و اجاب على سؤال عرض عليه بهذا الصدد فقال:

«من تحاكم إليهم (السلطان او القضاة) فى حقّ او باطل فانّما تحاكم الى الطاغوت» «۳».

و قد تصوّر بعض المؤلفين بان سياسة الامام ينبغى ان تكون اما قائمة على الثورة او ان يكون على رأس السلطة. و مثل هذا التصور صحيح من وجهة نظر الزيدية، اما من وجهة النظر الشيعة، فان سياسة الامام كانت تقوم على قيادة اكثر الثورات شدة و تطرّفا ضد الحكومات الفاسدة لبنى أميّة و بنى العباس و تكون مثل هذه الثورات مع ذلك مدعومة بأسس ثقافية و فقهية متينة و ذات جذور عميقة.

و قد اتضح مثل هذا بصورة جلية فى تاريخ الشيعة و بدأ اطلاق اسم المذهب الجعفرى على مذهب الامام الصادق عليه السّلام فى عهده «۴».

---

(۱) كشف الغمة ج ۲ ص ۱۸۴/ تهذيب الكمال ج ۵ ص ۸۸/ الذهبى سير اعلام النبلاء، ج ۶ ص ۲۶۲.

(۲) نفس المصدر السابق ج ۲ ص ۱۵۸/ تهذيب الكمال ج ۵ ص ۹۲- ۹۲.

(۳) فروع الكافى ۷ ص ۴۱/ التهذيب ج ۶ ص ۲۱۸/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴.

(۴) رجال الكشى ص ۲۵۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۷

و من هنا يمكن اكتشاف الخطأ الفادح الذى وقع فيه الشهرستانى، فقد كتب هذا الرجل عن السلوك الاجتماعى للامام قائلا: «ما تعرّض للامامة قط و لا نازع احدا الخلافة قط» «۱».

و مثل هذا الكلام لا ينسجم مطلقا مع الواقع العينى لوضع الشيعة لا فى عصر الامام و لا بعده.

د- موقف الامام من محمد بن عبد اللّه بن الحسن (النفس الزكية).

نشأ الاختلاف بين بنى الحسن و بنى الحسين عند ما اعتبر عبد اللّه بن الحسن بن الحسن ابنه محمدا هو قائم آل محمد «۲»، و يبدو ان العباسيين و خاصة المنصور قد وسعوا من نطاق هذا الاختلاف لغرض استغلاله سياسيا، فبعد قيام و استشهاد زيد، اجمع بنو هاشم من علوييهم و عباسييهم على بيعة محمد بن عبد اللّه (باستثناء الامام الصادق و عدة اشخاص آخرين).

و لو أمعنّا النظر فيما نمتلكه من معلومات عن الحركة العباسية التى كانت تجرى فى الخفاء لأدركنا ان ذلك الفعل كان موقفا سياسيا صرفا او انه حصل اضطرارا. و قد نقل ابو الفرج الاصفهانى وقائع تلك البيعة بالتفصيل. فقد ذكر ان من حضر من العباسيين داود بن على و ابراهيم الامام و صالح بن على و المنصور و السفّاح. و لما جاءوا على ذكر الامام الصادق عليه السّلام قال عبد اللّه بن الحسن والد ذى النفس الزكية: «لا نريد جعفرا لئلّا يفسد عليكم امركم».

و بعد أن حضر الامام فى ذلك المجلس و اعلن معارضته لثورتهم فسر

(۱) الملل و النحل ج ۱ ص ۱۴۷.

(۲) مقاتل الطالبيين ص ۱۴۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۸

عبد اللّه بن الحسن عمله هذا بالحسد «۱».

و لم يمض طويل من الوقت حتى ثار كلا الأخوين محمد بن عبد اللّه بن الحسن فى المدينة و ابراهيم فى البصرة، و قتلا بعد معركة قصيرة مع الجيش العباسى. و كانت تلك الهزيمة بداية لسلسلة من الهزائم التى لحقت بالزيديين الذين ثاروا فى العراق و ايران، و لم تفلح سوى واحدة منها و هى ثورة الحسن بن زيد فى طبرستان التى نالت انتصارا نسبيا و استمرت مدّة زهاء النصف قرن (النصف الثانى من القرن الثالث) «۲».

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۴۰- ۴۱/ كريمان، سيرة و حياة زيد ص ۷۵ نقلا عن الارشاد ص ۲۷۶- ۲۷۷.

(۲) كشف الغمة ج ۲ ص ۱۷۲- ۱۷۳/ راجع كتاب الطبرى ج ۷ ص ۳۰۲ ط عز الدين.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُـلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹